

الدكتور عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع

الدكتور عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع

اليمن في عمور الرحالة

دار الفکر

اليمن

في
عمور
الرحالة

دار الفکر
دمشق - سورية

دار الفکر المعاصر
سبوت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الْيَمَنُ
فِي عُيُونِ الرَّحَالَةِ

الدكتور عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع



اليَمَنُ فِي عُيُونِ الرَّحَالَةِ بَارِي

دار الفكر
دمشق - سورية

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

الكتاب ٨٦٦
الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ = ١٩٩٣ م



جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل
والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من دار الفكر بدمشق

سورية - دمشق - بركة مقابل مركز الانطلاق الموحد - ص.ب (١٦٢)
برقياً: فكري - ص.ت ٢٧٥٤ هاتف ٢٣٩٧١٧، ٢١١١٦٦ - فاكس FKR 411745 Sy

الصف التصويري: دار الفكر بدمشق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لقد كُتِبَ عن تاريخ الين قديماً وحديثاً الكثير من الكتب والبحوث ولكنها لم تف بالغرض المطلوب : وهو الوصول إلى توصيف كامل للين في مراحل الزمنية المتعاقبة .

وما دام الأمر كذلك فإن تاريخ الين ليس في حاجة إلى كتابات تعنى بالسرد التاريخي - كما هو شأن معظم الكتابات التي ظهرت في العقود الأربعة الماضية - وليس في حاجة - أيضاً - إلى تلك الكتابات التي نحت نحو التمهيد التاريخي الحديث أمثال ما كتب بغرض الترويج لمذهب سياسي بعينه .

إن تاريخ الين في أمس الحاجة إلى دراسات تعنى بالبحث الجاد عن جذور وأعماق الأحداث والأشخاص والقيم لتتضح من خلاله الصورة التاريخية للين في عصوره المختلفة .

وينبغي أن تُراعى - في تلك البحوث والدراسات - منهجية البحث وأصوله لا من ناحية الشكل الفني والإخراج ، ولكن من ناحية المضمون والمركزات الأساسية لمنهجية البحث .

فينبغي أن تُراعى - أولاً - عدم مقابلة الوثائق والوقائع والروايات - مادام قد صحت - بمقررات مسبقة نابعة من تصور فكري لم يكن موجوداً أثناء حصول تلك الوقائع .. وإنما نرجع إلى الأصل الفكري والتصوري الذي كان يوم ذاك

يتحكم بحياة الناس السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وعلى ضوء ذلك نحاكم الوقائع والأحداث والأشخاص مستندين إلى تلك الأصول الفكرية والتصورية ، لأن الشيء فرع عن تصوره ، ولا يعني هذا تحيزاً ، أو أنه يخلو من الحيّدة ، وإنما العكس هو الصحيح ، لأننا إذا لم نتخذ هذا المنهج ، فإننا نكون قد ولجنا في بوتقة التحيز وعدم الحيّدة لإقدامنا على محاكمة أحداث تاريخ مضى بأفكار جيله وما يتصف به من أفكار وقيم ومثل وتصورات وسلوك بأفكار وقيم وتصورات لم يكن يعرفها ذلك العهد ، فأين النصفة والحيّدة من هذا المنهج المتبع .

فاتباع المعايير الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تمارس في وقتنا الحاضر - مثلاً - وتطبيقها على الدراسات التي تعالج جوانب من التاريخ الإسلامي في حقبه الأولى هو ضرب من العبث ينبغي الترفع عنه ، لأنه يخرج بالبحث عن جدّيته وورزاته .

وينبغي - ثانياً - تجنب إقحام المصطلحات الغريبة في الحقبة التي تكتب حولها سواء أكانت مصطلحات نبتت من حضارات وأمم سابقة .. أم مصطلحات محدثة لها ظروف نشأتها وظلال معانيها . لأن إقحام المصطلحات في غير محلها يخرج بالدراسة والبحث الجاد عن مساره ، ومن ثم يصبح بحثاً موجهاً وليس بحثاً مجرداً . نعم ممكن أن نستخدم المصطلحات الفنية البحتة التي ليس لها خلفية فكرية أو فلسفية ، كالمصطلح الفني الخالي من أي ظلال تصورية فهذا لا غبار في استخدامه . ومن هنا فإن استخدام المصطلحات التي كان يتعامل بها الناس في ذلك العصر هو الأسلوب المنهجي الصحيح ، وليس هناك مانع من التصرف بتلك المصطلحات وتقريب فهمها إلى ذهن القارئ الحديث بمصطلح شائع كأن نعرف ديوان الجند مثلاً بأنه يقارب في عمله وزارة الدفاع أو الحرية .

وينبغي - ثالثاً - ألا نعالج القضايا التاريخية لجزء من دار الإسلام من

زاوية انفصالية بحجة ، فرحين بما يتوفر لدينا من معلومات انفصالية عن الاتجاه العام لدار الإسلام أو الخلافة الإسلامية ، لأن هذه النظرة الجزئية أو الانفصالية لم تنبت إلا على أرضية فكرية استعمارية حديثة ، وقد حاولوا تعميقها ، وربط الحوادث بالوطن الجزء ، وفصله عن الأم ، لكي تصبح دار الإسلام وهي متحدة - والتي أقضت مضاجعهم في القرون الماضية - عبارة عن مزق تدعى بالأوطان المستقلة أو الدول المستقلة . ويعرف الكثير أنها دعوى تفتقر إلى دليل .

وهناك أمر آخر - ينشأ من اتباع النظرة الانفصالية أو الجزئية - وهو أننا لن نفهم كثيراً من الجوانب والأحداث التي ستقابلنا في أثناء البحث إن نحن أخذنا بتلك النظرة الانفصالية ، ذلك لأننا سنحاول تفسير الحدث بناءً على المعطيات الداخلية لهذا البلد أو ذاك ، بينما هي مرتبطة بعري منبثقة من هوية الأمة وتوجهها وبظواهر ممارستها الأمة في دار الإسلام عموماً فتأثرت بها أجزاء دار الإسلام شاءت أم أبت .

وينبغي - رابعاً - أن نعتمد على الأسلوب التحليلي للأحداث واستخراج الخبوء من ورائها ، وهذا لا يعني أن نجعل التخمين والظن والحدس والافتراض يقيناً ، ونبنى عليه مقومات دراساتها ، بل المرجو أن نلجأ إلى تعددية وتنوع المصادر . ونحاول أن نكتشف الصورة التي كانت في الأصل دون أن نقحم تصوراتنا المسبقة لأن المراجع الثانوية أو المعلومات التي تتوفر في غير مظانها ، كمثل كتب الفقه أو الرحلات تعطينا معلومات في غاية الأهمية وهي التي تستكمل الصورة على حقيقتها .

فإذا مارعين ذلك في بحوثنا لدراسة التاريخ الإسلامي فإننا سنصل إلى فهم هذا التاريخ على حقيقته وليس معنى هذا أن الوصول إلى ذلك سيكون ميسوراً بل دونه العنت ، والجهد للضي ، وستقابلنا صعوبات أثناء جمع المعلومات لندرة

المصادر أو عدم تنظيمها ، وتوزيع المعلومات في غير مظاهرها ، وصعوبات أثناء الصياغة ، لأن الباحث يحتاج إلى معرفة بتصورات الناس في تلك الحقبة وقيمهم بل وحالاتهم النفسية ، لكي يطابق هذا مع ما جاء في المصادر التاريخية .
ودارس تاريخ اليمن الإسلامي سيلقى معاناة أكبر ، وغنتاً أوسع .

فمن ناحية ، لم يهتم اليمنيون بتدوين تاريخهم إلا في عصور متأخرة .. وما دون - وهذا من ناحية ثانية - إما تعاورته يد الزمن فأصبح لا يذكر إلا عرضاً في كتب للتأخرين عن زمنهم ، وإما احتجزته أجزاء من الكتب الخاصة أو العامة السيئة الإعداد الرديئة الحفظ ، المعدة كوجبة شهية للحشرات الضارة . فلم يعمل أصحابها أو المشرفون عليها على إخراجها بأنفسهم ، أو أتاحوا الفرصة لغيرهم ليباشر العمل فيها ليخرجها إلى النور .

ومن هنا جاءت مجموعة البحوث والدراسات هذه التي لأزعم أنها قد ألمت بتاريخ اليمن في عهده الإسلامي ، ولا أنها تفي بالغرض ، ولكنها تسد ثغرة في المجال التي طرقته متحرية الصدق والجديّة ، نابذة السرد التاريخي أو المذهبية الفكرية للتاريخ .

ومعظم بحوث هذا الكتاب اعتمدت على مصدر تاريخي غفل عنه الكثير وهو أدب الرحلات الجغرافية التي تضمنت النادر من المعلومات السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية .

وقد حاولت - في بعض الأحيان - تعزيز ما جاء في كتب الرحلات بمعلومات تضمنتها مصادر أخرى للمبرهنة على صدق ما كتب في أدب الرحلات .

وسيلحظ القارئ هنا في هذه البحوث أن اللجوء إلى استقراء ما كتبه الرحالة عن اليمن في القرون الأولى للهجرة هو نوع من البحث عن مصادر جديدة لتجميع

المعلومات ووضعها في مكانها لتتناسق الصورة المطلوبة لرسم تاريخ الين الإسلامي .

ولا يغيب عن بال القارئ أن معظم بحوث هذا الكتاب قد نشرت في مجلات متخصصة ، وأملّي ألا يكون هذا أدعى إلى العتاب أو تخيباً للآمال ، ولكنني أقدمت على نشرها مجتمعة مضيفاً إليها ما يتناغم معها ويتألف من موضوعات مع جزئياتها ، لعلمي أن اجتماع هذه البحوث مرتبة ومنسقة ليراها القارئ بين يديه حزمة واحدة دون عناء هو هدف مطلوب لذاته ، يتمناه الباحث للمتخصص والقارئ العابر على السواء .

ولقد أشرت - في بداية كل بحث نشر سابقاً - إلى مكان وزمان نشره حتى يتسنى للمباحث أن يرجع - إن شاء - إلى المورد الأول الذي نشر فيه البحث .

ولم أكف بطبع مانشر سابقاً دون إعادة نظر في بعض الجوانب ، بل لقد أضفت أشياء وحذفت أشياء حسب ما تقتضي الحاجة .

فأرجو أن أكون في هذا الاتجاه قد أضفت جديداً إلى المكتبة التاريخية اليمنية خاصة ومكتبة التاريخ الإسلامي عامة .

فإن كان التوفيق قد حالني ، فهذا فضل من الله يستوجب الشكر والحمد له سبحانه ، وإن جازبني التوفيق فحسبي أنها محاولة جادة أرجو ممن وجد في نفسه القدرة أن ينمي هذه المحاولة ويجعلها تؤتي ثمارها المرجوة ، فهو مانصبو إليه ونتناه .

ومن الواجب هنا أن أقدم بالشكر إلى كلّ من أعانني على فهم مصطلح هنا ، أو بلد هناك ، أو دلّني على مصدر يوضح ما غمض ، أو أمدّني بملاحظاته القيّمة .

ومن هؤلاء وأولئك الأستاذ المتخصص بالتراث اليمني عبد الله محمد الحبشي ،
والشاب الطامح داود بن داود عبد الهادي المندعي الذي ألح على تقاطيع وجهه
تباشير النبوغ راجياً له مستقبلاً زاهراً .

لهم جميعاً مني الشكر والدعاء ... ونرجو من الله للجميع القبول والساداد .

الدكتور

صنعاء رمضان ١٤١٣ هـ

عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع

مارس ١٩٩٢ م

أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد

رئيس قسم التاريخ

كلية الآداب

جامعة صنعاء

الوضع السياسي في اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين

كان القرنان الثالث والرابع للهجرة - في دار الإسلام بصفة عامة - يمثلان مرحلة خطيرة على المستوى العام في شتى المجالات والاتجاهات ، ولعلّ اليمن كان يمثل نموذجاً للرقعة الإسلامية كلها التي أصابها الاضطراب والتزق .

تلك الحقبة عاصرت دولاً قامت ثم انتهت ، وخلفتها دول أخرى . وبرزت فيها زعامات تداولت المواقع مع غيرها تارة في سدة الحكم وتارة في غياهب السجون ، ثم اختفت وقامت على إثرها زعامات أخرى ذات ميول مختلفة .

ونظراً لظهور أفكار ومعتقدات ، وحركات قامت على أساس تلك المعتقدات كالشيعة الزيدية ، والشيعة الاثني عشرية ، والشيعة الإسماعيلية أو القرمطية .

ونظراً لوضع اليمن كجزء من دار الإسلام التي كان يحكمها خليفة واحد في بغداد ، حيث كان لهذا الخليفة دوراختلف مداه وأثره وطبيعته مع تعاقب الزمن وتطور الأحداث ، سواء أكان دوراً فعلياً أو دوراً اسماً ، أو حتى شعورياً .

نظراً لذلك كله ، فإننا لكي نرسم صورة واضحة عن الوضع السياسي في اليمن ، ولكي نعرف القوى التي أدّت دوراً على المسرح السياسي في تلك الحقبة ، فإنه لا بدّ لنا من تقسيم الموضوع في هذه الدراسة إلى (اتجاهات) تنضوي تحت لوائها عدة قوى مختلفة الزعامات متباعدة الأزمان والأماكن .

ويمكن أن نحصر تلك الاتجاهات فيما يلي :

أ - الاتجاه العباسي أو الولاء للخلافة العباسية . وسنشهد في هذا الاتجاه :

١ - نفوذاً عباسياً مباشراً بإرسال الولاة من عاصمة الخلافة بالجيش المصاحبة له سواء لإدارة شؤون البلاد ، أو لإخضاع الحركات التي تحد من هذا النفوذ . وهذا الجانب لن يواصل معنا طوال هذه الحقبة بل سينقطع في الربع الأخير من القرن الثالث .

٢ - وسنشهد - أيضاً - في هذا الاتجاه ولاء للخلافة ، سواء من أفراد أحسوا أنهم ظلموا فلبثوا إلى الخليفة ، أو قوى قبلية تستنصر ضد قوى أخرى .

٣ - وسنشهد في هذا الاتجاه كذلك ولاء اسمياً كان متعارفاً عليه في ذلك العصر بل هو من سمته مكتفين بالدعاء وبالمكاتبات التي تعد من قبيل الرسائل الرسمية ، أو الرسائل الإخوانية ، وقد يستمر معنا هذا النوع من الولاء بين الحين والآخر حتى أواخر القرن الرابع ، وقد يستبدل أحياناً بالولاء للدولة الفاطمية .

ب - الاتجاه الشيعي . وهذا الاتجاه على الرغم من تميزه بعنوان واحد وهو (التشيع) إلا أنه مختلف في حقيقته متباعد فيما بين أطرافه ولذا سنجد :

١ - اتجاهاً شيعياً زيدياً سيفاجئنا منذ بداية القرن الثالث ثم يختفي ليظهر في الربع الأخير منه ليكون له الصولة والجولة طوال بقية الحقبة التي نؤرخ لها .

٢ - اتجاهاً شيعياً اثنا عشرياً ، وكان هذا الاتجاه أساساً أو رصيذاً لاتجاهات أخرى كان لها دور في خلخلة البلاد لفترة طويلة .

٣ - الاتجاه الإسماعيلي . ذلك الاتجاه الذي بدأ موحداً توجهه قيادته في العراق ثم في الشام ثم في المغرب ، وقد حاول ابتلاع الين كله بتنسيق وتخطيط دقيق ، ولكنه انقسم على نفسه فظهر :

٤ - الاتجاه القرمطي الذي ظهر معارضا للإسماعيلية فجأة ، ثم اختفى بالسرعة نفسها التي خرج فيها .

ج - الاتجاه القبلي . وهذا الاتجاه هو أكثر تلك الاتجاهات تعقيداً ، فهو لا يقوم على عقيدة محددة أو مبادئ معروفة ، بل هي زعامات تقوم هنا وهناك ، وأحياناً تعطي ولاءها للأقوى من حولها .

وسنلاحظ في هذا الاتجاه قوى قبلية تظهر ثم تختفي بظهور أحد زعمائها واختفائه ، وسنجد أيضاً قوى قبلية بدأت قوة صغيرة موحدة ، ثم تعاظمت ثم تناحرت زعاماتها وتضاءلت مثل (اليعفرين) .

وسنجد قوى قبلية كانت تغير ولاءها من جهة إلى أخرى كما يغير المرء ملابسه . هذه الموضوعات الثلاثة هي أركان بحثنا هذا إن شاء الله .

أولاً - الاتجاه العباسي

كان النزاع الذي حدث في عقر دار الخلافة بين ابني هارون الرشيد : الأمين والمأمون (من سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م إلى سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م) دافعاً قوياً لكل طامع أو طامح للخروج على الدولة العباسية .

فما أن وضعت الحرب بين الأخوين أوزارها ، حتى تحرك الخارجون واضطربت الأمور ، ليس في المناطق البعيدة فحسب بل في بغداد نفسها ، ولعل من المدهش أن أحداث الناس اليومية في (بغداد) و (خراسان) لم تضبط - في هذه الأثناء - إلا من قبل الأهالي أنفسهم ، حيث أقاموا منهم متطوعة لحفظ حقوقهم^(١) .

فهذا الوضع في مركز الخلافة انعكس أثره - بداهة - على أطراف الدولة فكانت فرصة للطامحين من الشيعة للخروج ، ونقض العهود والعمل على الانفصال

(١) ابن خلدون ، التاريخ ٥٢٤/٥ ، ٥٢٥

عن الدولة . وقد وصلت بهم الجراة إلى الخروج في (الكوفة) ، مصر القريب من دار الخلافة أثناء الخلاف بين الأمين والمأمون . وكان على رأس هؤلاء محمد بن إبراهيم المعروف بـ (ابن طباطبا)^(١) .

ولذا تميّز عصر المأمون بكثرة الخارجين من (العلويين) في كثير من البلدان^(٢) ، وسنعود لهذا فيما بعد .

وكان لابد أن يتأثر الين بهذا الجو ويعاني من نتائج الاضطراب في مركز الخلافة .

وأقرب مثل على هذا أنه في عهد المأمون تعاقب على الين أربعة عشر والياً^(٣) . وربما كان هذا لكثرة الأحداث وتتابعها ، ونتيجة لكثير من المتغيرات التي سنشير إلى بعض منها فيما بعد . وبعضها كانت الظروف تحتم وجودها ، فأحياناً كانت تظهر حركة مناوئة للخلافة فيترتب عليها إرسال قائد أو وال لمواجهةها . وتارة كانت السياسة تقتضي إقرار الخارج على الخليفة والياً على الين لامتصاص حركته مثل (إبراهيم الجزار) الذي كان يدعو لأخيه ابن طباطبا وهكذا .

فالين كان من أول الأمصار التي دخلت في طاعة (المأمون) وخلعت (الأمين)^(٤) طواعية ، ولكنه مالبت أن أصبح ميداناً للعلويين الذين خرجوا

(١) ابن طباطبا : محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن عبي بن أبي طالب ، من أئمة الزيدية ، كان مقبلاً بالمدينة ، ثم خرج داعياً إلى نفسه بالكوفة ، ثم تراجعت عنه شيعته ، فعاد إلى المدينة ولكنه توفي في الطريق إليها سنة ١٩٩ هـ / ٨١٤ م [المحلى ، الحداق الوردية ١٩٧/١ . الأشعري ، مقالات الإسلاميين ٥٦ ، ١٥٧ . والزركلي ، الأعلام ، ١٨٢/٦] .

(٢) ابن خلدون ، التاريخ ٥١٤/٥ - ٥٤٢ . وابن الديبع ، قرة العيون بأخبار الين لليمون ١٣٨/١ - ١٤٩ .

(٣) ابن الديبع . قرة العيون ١٣٨/١ - ١٤٩ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ٤٤١/٨ ، تولى الأمير يزيد بن جرير القسري إخضاع الين للمأمون .

بمكة أو الكوفة أو في اليمن نفسها^(١) .

وعلى الرغم من تشييع الكثير من القبائل اليمنية إلا أن تهور واندفاع بعض زعماء الشيعة ، مثل إبراهيم الجزار - كما سيأتي -^(٢) أدى إلى إثارة عصبية كان لها أثرها البعيد ضد العلويين^(٣) ، بل إن العصبية التي عصفت بالموصل بين اليمانية والنزارية^(٤) كانت لها ردود فعل في اليمن ، حيث تولى القيام بها أحد الولاة على اليمن وهو إسحاق بن العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الذي كره القحطانية أو اليمانية وتبعهم ونكل بهم بالحق والباطل^(٥) .

ووجدت الزعامات اليمنية أيضاً متنفساً في هذا الجوليكي تشق عصا الطاعة وتحارب قوة الخلافة لتستفرد في الأمر كما حصل من إبراهيم بن جعفر المناخي^(٦) ومن الخطاب بن الوضاح بن إبراهيم الحوالي الذي كان أحد ولاة المأمون في اليمن^(٧) ، لتبدأ قوة آل يعفر بالظهور تحت زعامة يعفر بن عبد الرحمن الحوالي سنة ٢١٤ هـ / ٩٢٩ م^(٨) ، وسأأتي لتفصيل هذا .

وكما حصل أيضاً من أحمد بن محمد الغمري - نسبة إلى عمر بن الخطاب - الذي خرج أيام المأمون ، فأرسل إليه سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م أبا الرازي محمد بن عبد الحميد (قتل سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م) للقضاء عليه ، ثم لمحاولة القضاء على

(١) ابن خلدون . التاريخ ٥١٩/٥

(٢) انظر : ص ٢٣ من هذا البحث .

(٣) الهمداني . الإكلیل ٣١٦/١ - ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٤٢٤ . والإكلیل ١١٩/٢ - ١٣١ .

المعالي ، سيرة المهدي إلى الحق يحيى بن الحسين ، ١٩٥ - ١٩٨

(٤) ابن خلدون ، التاريخ ، ٥١٤/٥

(٥) مجهول . تاريخ اليمن (ق ١٦٧) .

(٦) الجندي ، السلوك .

(٧) الهمداني ، الإكلیل ، ٢١٣/١٠ . وقصيدة الدامغة ٤٦٧ ، ٤٦٨

(٨) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ٢٤٧/٢ ، والهمداني . الإكلیل ٧١/٢

إبراهيم المناخي^(١) . إلا أن آل المناخي ظلوا متمردين إلى أن اكتسحتهم الحركة القرمطية في نهاية القرن الثالث الهجري .

إذن كان عهد المأمون أرضاً صالحة لبذر الكثير من الأحداث التي كان لها أثرها على مدى القرنين الثالث والرابع سواء على المستوى العلوي (الشيعي الزيدي) أو غيره ، أو على المستوى القبلي من ظهور زعامات وقوى وعصبيات ساعدت على تمزيق المجتمع اليمني ، بالإضافة إلى أن عهد المأمون أيضاً كان يتميز بأنه عصر إثارة القضايا الفكرية الفلسفية التي لم تجر العلماء إلى محن وابتلاءات فحسب ، بل لقد أصابت - لأقول الإسلام - تفكير المسلمين بلوثة أجنبية غريبة كان الإسلام في غنى عنها .

وكما كان عصر المأمون عصر المتغيرات في الزعامات والولاة ، والقوى القبلية ، والأفكار فإن عهدي المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤١ م) والواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤١ - ٨٤٦ م) قد ساد بها الاستقرار - إلى حد ما - فلم تكن هناك متغيرات جديدة ولكن كان هناك استمرار ، ونمو لجانب من تلك المتغيرات التي حصلت في عهد المأمون .

فالقوى القبلية تعاضمت وكبرت وخاصة آل يعفر في (شبام)^(٢) ، وإبراهيم بن جعفر المناخي في (المذيخرة)^(٣) ، إلا أن عصر (المعتصم والواثق) بالنسبة لليمن تميّز بظاهرة جديدة وهي ظاهرة إرسال ولاة بالنيابة عن الولاة

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ٤٦١/٢ ، والطبري . التاريخ ٦١٩/٢ ، ٦٢٢ . وابن خلدون . التاريخ ٥٤١/٥

(٢) شبام : المعروفة بشبام أقيس وهي قرية كانت مقر مملكة بني حوئل ويعمر وفي أعلاها . تقع قصر كوكبان (الهمداني ، صفة جزيرة العرب ص ٢٣١ ، ٢٣٢) .

(٣) المذيخرة : مدينة قرب بلاد المافر وهي مقر الملوك المناخيين الحيريين وتقع في محافظة تعز الحالية (صفة جزيرة العرب ١٠٢ ، ١٠٣) .

المعينين من قبل الخلافة ، فقد تعاقب وتبادل المواقع كل من جعفر بن دينار وإيتاخ التركي ، على ولاية الين في عهد (المعتصم والواثق) وكان كل منهما يرسل عنه نائباً أو نائبين يقومان بشئون البلاد نيابة عن الوالي الذي كان مقره بغداد ، بل إن العامل الذي يعينه الخليفة كان يولي نائباً عنه على الين ، وهذا النائب أيضاً يضع مكانه نائباً آخر .

فهذه الظاهرة - ظاهرة الإنابة - ربما نشأت من صرف النظر التدريجي عن الاهتمام بالين ، أو من اشتغال دار الخلافة بأمر أخرى قريبة منها ، أو من هدوء أحوال الين ، وإن كان هذا لم يكن كذلك لأن قوة آل يعفر كانت في نمو وازدياد وتعاضل ، ولهذا حينما تولى جعفر بن دينار الين للمرة الثانية في عهد الواثق وجد نفسه مضطراً لأن يسير بنفسه إلى الين لمواجهة قوة شابة فتية وهي قوة (آل يعفر) ليتوصل معهم بين عامي ٢٢٤ و ٢٣٤ هـ / ٨٣٨ و ٨٤٨ م إلى صلح^(١) . يعبر عن ضعف لدولة العباسية أمد قوة (آل يعفر) التي كانت تطمح للاستيلاء على الين كله ، وقد تميز هذا لضعف العباسي أمد قوة (آل يعفر) بخلاء في عهد المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٦ - ٨٦١ م) . ومن بعده ، حيث لم تقابلها دار الخلافة إلا بالإقرار لها بالسيادة على الين^(٢) ، وهي سنة سياسية اتبعتها دار الخلافة مع أي قوة تظهر في أطراف الدولة^(٣) . ولم يبق للمخلفاء إلا

(١) الطبري ، التاريخ ١٠١/٩ ، ١٠٣ ، ١٢٨ ، ١٤٠ . مجهول ، تاريخ الين (ق ٢٨ / أ) .

وابن خلدون ، التاريخ ٥٧٢/٥ ، ٥٧٤ . والجندي ، السلوك ٦٠ . وابن الديبع ، قرة العيون ١٤٩/١ - ١٥٣ . والخزرجي ، الين في عهد الولاة ١٠٥ - ١١٠ ، ويحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ١٥٤/١

(٢) الجندي ، السلوك ٦٠ ، ٦١ . الخزرجي ، الين في عهد الولاة ١٠٧ - ١١٢ . وابن الديبع ، قرة العيون ١٥٧/١ ومن بعده ، وهو يذكر أن الخلف كانوا يقررون محمد بن جعفر وهو نصيف محمد بن يعفر . ويحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ١٦٣/١

(٣) مثل الاغالبية (١٨٤ - ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ - ٩٠٨ م) . والأدارة (١٧٢ - ٢٦٣ هـ / ٧٨٨ - ٩٧٣ م) في المغرب . والظولونيون (٢٥٢ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٦ - ٩٠٤ م) في مصر والشام (أحمد السعيد =

بغداد ونواحيها ما بين دجلة والفرات^(١) .

ويرجع هذا لانشغال القادة من حول الخليفة - وهم غالباً من (الأتراك) - بالصراع حول من يتحكم بمن ؟! بالإضافة إلى المشاكل والأحداث التي كانت تعاني منها دار الخلافة^(٢) .

وبالرغم من أن (المتوكل) في سنة ٢٣٣ هـ / ٨٤٧ م ولى ابنه (محمد المنتصر) الحرمين واليمن والطفائف^(٣) ، وكان المفروض أن يفعل شيئاً لليمن ولكنه لم يفعل شيئاً .

وإذا كانت دولة الخلافة قد قويت بوجود الموفق (ت ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م) ، ثم المعتضد (ت ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م) اللذين عملا على تقليص حكم الموالي . إلا أن سعيهما لم يكفل بالنجاح لكثرة الأحداث التي كانت تحتاج البلاد الإسلامية^(٤) .

وفي ظل قوة الخلافة هذه عمل كل من (الموفق والمعتضد) على إخضاع اليمن للسيادة العباسية المباشرة . وإن كان (الموفق) قد عمل في بادئ الأمر على إقرار

= سليمان ، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ٣٣ ، ٢٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ١٢٨ ، وابن خلدون ، التاريخ ٦٢٣/٥ ، ٦٦٨ ، ٦٧٠ . وابن تقي بريدي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ٤٠/٣ ، ٤٣ ، ٥١

(١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٨٧٤/٦

(٢) المسعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ٥١/٤ ، ٥٢ ، ٧٦ ، ١١٦ ، والتنبيه والإشراف ٣١٢ - ٣١٩

(٣) الطبري ، التاريخ ١٦٢/٩ ، ١٦٣ ، ١٧٦ . ابن خلدون ، التاريخ ٥٧٩/٥ ، ٥٨٩ . الأكوخ ، لوائح السلسلة لائحة من قبل لإسلام بن سنة ٣٣٣ هـ ، ٣٣٠

(٤) من حركات لفرمضة (بدأت حوالي ٣٧٠ هـ / ٨٨٣ م) في لكوفة وسحرين . وتورة لفرج (٢٥٥ - ٢٧٠ هـ / ٨٦٨ - ٨٨٣ م) والفاطميين وغيرهم . انظر : المقرئ (ت ٨٢٥ هـ / ١٤٢١ م) ، انعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، الجزء الخاص بالقرامطة الذي حققه الدكتور سهيل زكار ضمن كتاب أخبار القرامطة ٣٢٣ ، وضيف ، العصر العباسي الثاني ، ٢٦ وما بعدها .

محمد بن يعفر بعد أبيه على الين^(١) ، إلا أن الأحداث في الين كانت تستدعي التدخل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه ، لأن قوة (آل يعفر) بدأت بالتضعف بعد مقتل (محمد بن يعفر) .

فقد تدخل (الموفق) في عهد (المعتمد) وتبعه من بعده (المعتضد) وعملاً على إرسال (وال) له شكية وحزم ومعه قوة تؤازره وقد وقع الاختيار على علي بن الحسين المعروف بـ (جفتم) الذي أرسل إلى الين مرتين : الأولى في عهدي المعتمد والمعتضد^(٢) وقد قصد بها مساعدة آل يعفر للتصدي لأعدائهم . أما الثانية فهي في عهد المكتفي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠١ - ٩٠٧ م) ، وكانت مجرد محاولة فاشلة منه للتغلب على الين معتمداً على خبرة وحنكة ونزاهة (جفتم) .

وبالرغم من ذلك فإن حنكته لم تمنعه من المصير الذي حاق به فقد قبضت عليه القوى القبلية هو وابنه وأودع السجن ثم قتل^(٣) . تنتهي بذلك محاولة فذة في إعادة السيادة العباسية على الين .

وقد أعاد المكتفي المحاولة للسيطرة على الين حينما عهد بولايتها إلى (عجم بن حاج) واليه على (مكة)^(٤) . وهذا مظهر جديد من مظاهر الضعف العباسي . فلم يعد في إمكانهم إرسال (وال) مستقل للين ، ولعل هذه المحاولة من قبل العباسيين كانت لحفظ ماء الوجه فقط .

(١) مجهول . تاريخ الين (ق ١٢٢ أ) . والأكوع . الوثائق السياسية البنية ٢٣٤ . والحدي ، السلوك ٦٢ . وكان هذا سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م .

(٢) مجهول ، تاريخ الين ١٢٤/أ . وابن الديبع ، قرة العيون ١٦٣/١

(٣) مجهول . تاريخ الين ١٢٤/أ . ١٧٠/ب . والخزرجي ، الين في عهد الولاة ١١٤ ، ١١٥ . والعلوي ، سيرة المهادي ٢٥٠ . ٢٥١ وكان هذا على يد (آل طريف) موالي (آل يعفر) و (الأكيلين) من ممدان حلفاء الأمس للعباسيين .

(٤) الهمداني ، صفة جزيرة العرب ٢٢٣ . وابن الديبع ، قرة العيون ١٧٥/١

ولكن والي (مكة) لم يتول القيام بالمهمة الموكولة إليه بنفسه بل إن الإجراء الذي قام به كشف لنا عن أسلوب جديد كانت الخلافة العباسية قد ركنت إليه . نسبة للين ، وهو تقسم لين إلى قسمين : تهامي وجبلي . فاما القسم جبلي فقد أبقاه (عجم بن حجاج) تحت سيادة آل يعفر بتجديد العهد لهم^(١) .

وأما القسم التهامي فكان يتبع إقليم (مكة) مباشرة ، ورف كان خلوه من قوة كبيرة يعتمد عليها . ولذا أرسل إليهم أحاد (المظفر بن حجاج) سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م . وكان هذا بتوجيه من المكتفي نفسه . ولم يكن هذا لتصرف من قبل (المكتفي) إلا لحماية (مكة) نفسها لأن أهلها شكوا إليه قرب (قرامطة) الذين منهم^(٢) .

وقد أدى (المظفر) هذه المهمة واستطاع التغلب على بعض القوى الموجودة بتهامة^(٤) .

(١) ابن الديبع ، قرة العيون ١٧٥/١

(٢) ابن خلدون ، التاريخ ٧٥٢/٦ . وابن الديبع ، قرة لعيون ١٧٥/١ . وقد عدّه بعض مؤرخين أنه عقد له على الين كله (الطبري ، التاريخ ١٢٨/١ . وعريب بن سعد لقرطي في صلة تاريخ لصري ٢٠ ونشر عهد بن خلدون ٧٥٢/٦) . لا . مؤرخين لبيبي فرقوا بين القسم التهامي والقسم جبلي (بن الديبع ، قرة لعيون ١٧٥/١) ونعني نوقع لعملي للأحداث يؤيد ما ذكره المؤرخون اليمنيون .

(٣) الطبري ، التاريخ ١٢٨/١٠

(٤) مثل الحكميين (اطري : لطيبي ، لتاريخ ١٣٨/١٠ . وعريب بن سعد ، صلة تاريخ الطبري ٢٥ . وابن خلدون ، لتاريخ ٨١٠/٦) . وقد توفي (مظفر) في الين ببريد سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م وتولى مكانه (ملاحظ) أجند قواده . (محمد بن عبد الملك الحمداني ، تكملة تاريخ الطبري ١٩٨) .

وهكذا ظلت تهامة بعض الوقت تابعة لسلطات مكة^(١) بينما ظلت المناطق الجبلية تعتورها القوى القبلية والشيوعية (الزيدية والإسماعيلية) طوال القرن الرابع الهجري .

وحينما دحل أحد قذرة آل يعفر سنة ٣١٩ هـ ٩١٩ م إلى (ربيع) قطع الخطة التي تعبر وحض لمعزل ضمي (٣١٩ - ٣٦٥ هـ ٩٣١ - ٩٧٥ م) صاحب معر^(٢) . مما يدل على وجود لواء لاسمي لدولة عباسية حتى ذلك الوقت في زبيد .

وأخيراً نستطيع أن نقول ونحن على ثقة أنه منذ أن استفحل التيار الشيعي سواء الزيدي أو الإسماعيلي والقرمطي في أقاليم دار الإسلام ، وكثرت الحركات التي تدعو إلى الانفصال ، فإن هذا كان بداية مرحلة جديدة وهي مرحلة انحسار الدولة العباسية ، وبداية سيطرة قوى أخرى ، ومذاهب جديدة ، فقد تغير الكثير في هذه الحقبة ، وحصل الاختلاف في الأحكام^(٣) . وبدأت الأفكار الأجنبية تتسلل إلى ديار الإسلام ، بل وتجني ثمارها .

وكثر الملقبون بالخلافة وإمامة المؤمنين في الرقعة الإسلامية كلها^(٤) .

وإذا كان الأمر كذلك ، فلا غرو أن يخرج اليم عن السيادة العباسية

(١) كان إبراهيم الحرمي أحد قواد سلطنة مكة متولياً عن زبيد سنة ٣٠٧ هـ (العلوي ، سيرة الهادي ٤٠٤) .

(٢) الخزرجي ، المسجد النبوي ٤٧

(٣) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ١٦٧/١

(٤) السعدي ، التسيه وإشرف ٣٤٦ . وابن حنون ، لتاريخ ٨٣٠/٦ - ٩٠٧ ، وكان في لأندلس خليفة وفي مصر ولعرب خليفة ، وفي بغداد خليفة ، وفي اليمن خليفة (زبيدي) ، وفي لنديم خليفة (زبيدي) . (انظر : الجنداري ، الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز (ق ١/٣٦) .

ويبقى التيار الشيعي : سواء الزيدي أو الإمامي الإسماعيلي ، ليكون هو صاحب السيادة في الين^(١) ، مع القوى القبلية التي كانت تميل إلى الأقوى من الطرفين .

ثانياً - الاتجاه الشيعي

على الرغم من تميز هذا الاتجاه بعنوان واحد وهو الاتجاه الشيعي إلا أنه يضم تحته اتجاهات متناقضة ، ولأن الين اشتهرت بولائها الشيعي منذ عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقد توجهت إليها أنظار الشيعة بشي تياراتها سواء كان :

١ - التيار الشيعي الزيدي وهو أعدل تلك الاتجاهات وأصدقها وأقربها إلى الروح الإسلامية الخالصة ، هذا الاتجاه ظهر بالين في بداية القرن الثالث فجأة ضمن ظهوره في دار الإسلام ، ثم يختفي فجأة ليعود في الثلث الأخير من هذا القرن ليتولى الإمام المهادي إلى الحق مسئولية وجوده واستقراره في الين ، وسيكون لهذا الوجود صولته وجولته بقية القرن الثالث وطوال القرن الرابع وما بعده .

٢ - أو التيار الإمامي الذي سيكون رصيذاً ثراً للاتجاه الشيعي الآخر وهو :

٣ - التيار الشيعي الإسماعيلي ذلك الاتجاه الذي كان يعمل في الخفاء وبتنظيم دقيق ، وستكون له آثاره الخطيرة على المجتمع الإسلامي كله ، سواء في الحقبة التي نتحدث عنها ، أو فيما بعدها .

٤ - وأخيراً التيار الشيعي الإسماعيلي القرمطي ، وهذا الاتجاه بدأ في أول ظهوره جزءاً من الإسماعيلية ، ولكنه ما لبث أن انفصل عنها باختلاف قياداته

(١). ابن عبد المجيد ، بهجة الزمن في تاريخ الين ٣٩

ودعائه ، وكما ظهر فجأة - في الين - اختفى فجأة كقوة مؤثرة في بقية القرن الرابع الهجري .

ولا يسعنا إلا أن نفرد كل تيار على حدة .

١ - التيار الزيدي :

ينتسب هذا التيار إلى زيد بن علي^(١) وهو اتجاه يعتمد على مبدأ الخروج للأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، كلما تحققت في أحد من أبناء الإمام علي رضي الله عنه شروط الإمامة^(٢) .

وكان المكان الأصلي (للعلويين) هو أرض (الحجاز) ، ولكنهم تكاثروا وازدادت أعدادهم إلى حد أنهم اضطروا أن يطلبوا من (الأمين بن هارون الرشيد) أرضاً خارج (الحجاز) ، فأقطعهم أرضاً تقع بين مكة وزبيد وصعدة ، فسكنوها حتى سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م^(٣) ، ولهذا كثرت خرجاتهم في القرن الثالث الهجري إلى أن خلت مكة والمدينة من سكانها ولم يبق فيها - غالباً - إلا العبيد والموالي من الحبشة وغيرهم لكثرة الفتى^(٤) .

(١) الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولد عام ٧٩ هـ / ٦٩٨ م بالمدينة ، ونشأ وتعلم بها ، ثم بالبصرة ، وقد خرج عام ١٢٠ هـ / ٧٣٧ م في عهد هشام بن عبد الملك (٧١ - ١٢٥ هـ / ٦٩٠ - ٧٤٢ م) بتشجيع من أهل الكوفة ، ولكنهم خذلوه فقتل عام ١٢٢ هـ (الزركلي ، الأعلام ، ٩٨/٣ ، ٩٩) .

(٢) من شروط الإمامة عند الزيدية - كما ذكرها الإمام الهادي إلى الحق - أن يكون من نسل الحسين ، عالماً ، ورعاً ، زاهداً ، خرج داعياً إلى الله ، مجرداً سيفه ، خائضاً للحتوف ، منابذاً للطاغين ، مقيماً لحدود الله ، رؤوفاً رحيماً على المؤمنين ، شديداً غليظاً على الكافرين الفاسقين ، شجاعاً ، سخياً .

لهادي إلى الحق حبي بن حسين ، مجموعة لفرجه ٤٩ ، ونظر ، عمري ، محاضرات في

التاريخ الإسلامي ٤

(٣) ابن الجاور ، تاريخ المستبصر ٥٧

(٤) ابن خلدون ، التاريخ ٢١١/٧ ، ٢١٢

فعلى رأس المئتين للهجرة قدم من (مكة) إلى (صعدة) إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(١) ليستهل هذا القرن بالصراع بين العباسيين والعلويين باليمن ، وكان خروجه تبيداً ومتابعة لخروج محمد بن برهية طباطبة الذي خرج بالكوفة سنة ١٩٩ هـ - ٨١٤ م^(٢) .

ويبدو أن إبراهيم بن موسى - وهو المعروف عند أهل اليمن بالجزار لكثرة من قتل - لم يتوجه إلى صعدة إلا لمعرفة بوجود قبائل شيعية ، وإن كانت تلك القبائل قد استغلت هذا الحدث بالتشفي من بعضها البعض لوجود عداوات وثارات قديمة بينهم ، وقد وقع (إبراهيم الجزار) نفسه في هذا الفخ الذي نصبت له القبائل ، حيث صدق الوشايات فقص على زعامات قبائل على الرغم من تشيعهم ، وما ذلك إلا للسعائيات من بعض القبائل المعادية لها . وكانت الحجة أنهم بغضون (أهل البيت) وهي حجة واهية ، لأن بعض هذه القبائل كانت تميل إلى (التشيع) ولكنها وقعت فريسة الوشايات^(٣) ، وكان فعل (إبراهيم الجزار) هذا هو بمثابة نار تأججت في نفوس القبائل التي أصابها الضرر فلم تفارقها^(٤) ، وقد جنى (الإمام المهادي إلى الحق) ثمره هذا العدا ، حيث أن كل تلك القبائل التي نالها جبروت (إبراهيم الجزار) هي نفسها التي وقفت في مواجهة

(١) المهداني ، الإكليل ١٣١/٢

(٢) الطبري ، التاريخ ٥٢٨/٨ ، ٥٣٦ . بن حسون ، تاريخ ٥١٢/٥ - ٥١٨ . والأشعري ، مقالات إسلاميين ١٥٦ ، ١٥٧ . ونحو . خدائق لوردية ١٩٧

(٣) المهداني ، الإكليل ٣١٦/١ - ٣١٨ ، ٣٢٢ ، ٣٣٣ ، ٤٠٤ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ١٣١/٢ - ١٣٧ فقد انحارت إليه سوسنة نكاية في الإكبيين ونسب شهاب وحير بالرغم من بعض هؤلاء كانوا يميلون إلى الشيعة .

(٤) ذكر الحلي في الخدائق لوردية ٢٠٤/١ عن تلك القبائل وهي : بسو خدات سحر ، والساميون ، بعض ، والنعمانيون بريدة ، والكربلاء ، والآلة بظهر ، وخوالبون بيت ذخار ، وبنو يافع بسرو حير .

(الهادي إلى الحق) وحاربتة^(١) . وظلت تقف في صف كل من يهاض (العلويين) لاعتقاده أن شدة (الجزار) هي عصبية لقبيلة ضد أخرى ، فتتج من هذا أن غرست دارت وحزازات وأحن لدى بعض القبائل التي ظلت تتطوع إلى اليوم الذي سيأخذون فيه ثأرهم من (العلويين) لالكونهم يمثلون (الشيعة) ولكن لأنهم - حسب رصدهم للأحداث - يعتبرونهم ممثلين للعصبية القبلية لقسوة العدنافية بينما اليمانية لهم عصبيتهم القبلية القحطانية .

وحينما تصدت القوات العباسية (للجزار) في اليمن لم تتغيب عييه لأ بسعدة القبائل اليمنية المتصرزة من شدة (الجزر) ونحيزه إلى بعض القبائل^(٢) .

وقد أدى هذا التحالف إلى هزيمة (خزار) سنة ٢٠٢ هـ ١١١ د . وبهرنته انتهى لدور (الربيعي) سكر - نبي . وكان خليفة المأمون السرخسي ترقى سحب السط من تحت قدمي يهرهم فجر رحيم ولاد عن أبي^(٣) لا يحكم الس العلويين ولكن الس العباسيين . وتقي حركة الس حتى ع ٢١٢ هـ ١٢٨ د . فأفقه هذا تأثيره كدعية (لربيع) من آل محمد أو ك استعبد الس بعض لتأثيرت الزيدية على بعض القبائل المتحدرة إلى الس السدة من (آل) فطيمة (زعماء بني سعد في) صعدة (.

وحق المحاولة التي قام بها بعض العلويين في تهامة اليمن سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م لم يقدر لها البقاء لأن الخليفة المأمون وأذاها مبكراً^(٤) .

وبعد هذا لم نجد أثراً للعلويين الزيديين في اليمن إلا في حدود سنة

(١) العلوي ، سيرة الهادي ١٩٥ - ١٩٨

(٢) الهادي ، الإكليل ١٣٢/٢

(٣) الحسيني . السنوك ٥٩ . وخررجي . بين في عهد لولاد ٩٨ . وحيي س الحسيني . عية لامي ١٤٩/١

(٤) الطبري ، التاريخ ٥٩٣/٨

٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م بظهور الهادي إلى الحق ، على الرغم من أن العلويين في غير اليمن
كثروا خروجهم منذ سنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م^(١) .

وقد كان للهادي دعاة في اليمن أو شخصيات متأثرة به عملوا على التمهيد له
وتهيئة الأجواء لمقدمه ، ومن هؤلاء وزير الأمير أبي العتاهية أمير صنعاء الذي
دفع أميره لأن يدعو الهادي للقدوم إلى اليمن في سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م^(٢) ، ولم تفلح
هذه المحاولة لأن الهادي لم يلق الحماس من الناس حسب ما كان يتوقع ، فعاد إلى
المدينة المنورة^(٣) ليعيد ترتيب أموره من جديد ، ومن الراجح أن هذا الاستدعاء
والمحاولة كلها لم تكن قد عرفت عند العباسيين ومن ثم لم تسبب له المتاعب وتمكن
من العودة إلى المدينة ليدبر خطة محكمة أخرى للوصول إلى تحقيق أهدافه في
اليمن .

وقد مهد لمقدمه بإرسال الدعاة أولاً ليعملوا على تهيئة الناس لقبول
دعوته^(٤) ، مستفيداً من تجربته الأولى التي فشلت .

وعملوا على تشجيع (آل بني فطيمة) زعماء بني سعد الصعديين للبروز ،
وغذوا فيهم حماسهم للعلويين ولذا كانوا هم - هذه المرة - الذين أقبلوا على الهادي
ودعوه للدخول إلى اليمن ليتولى أمرهم^(٥) .

وحينما قدم في السادس من صفر سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م إلى صعدة بدأ بأول

(١) السعدي ، مروج الذهب ١٤٧/٤ - ٣٠٨

(٢) أي لرحل مضع لدور ومع نحور ١٢٩١ ونو لعتاهية هو عند الله بن ستر

الروية وكان متغلباً على صنعاء (الجرافي ، المقتطف من تاريخ اليمن ١٠٤

(٣) المحلي ، الحقائق الوردية ١٩/١ ، ٩٠ لعلوي ، سيرة الهادي ١٣٦ - ١٤٠ ، والجنداري ، الجامع

الوجيز (ق ٢٩/ب) .

(٤) العلوي ، سيرة الهادي ٦٥ ، ٨٠

(٥) المصدر نفسه ٣٥ - ٣٨ ، الجنداري ، الجامع الوجيز (ق ١/٣٠) .

عمل له وهو التأليف بين قبائلها المتنافرة ليضع بهذا أول لبنة في بناء الدولة الهادوية التي أراد لها أن تكون شبيهة بدولة النبوة ، وقد حرص كاتب سيرة الهادي أن يقارن بين خطوات الهادي وبين ما فعله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في بناء الدولة^(١) .

وكان على الهادي أن يواجه العديد من القوى المتشابكة المتحالفة أحياناً والمتخالفة أحياناً أخرى .

أولى تلك القوى هي القوة العباسية أو بقاياها وقد يطلق عليها (الجفاتم) نسبة إلى آخر الولاة لعباسيين في اليمن وهو علي بن الحسين المعروف (بجفتم) ولعلهم استوطنوا اليمن وأصبحوا يشكلون طائفة في صنعاء لها وزنها السياسي ، وكان إرسال علي بن الحسين هذا - كما عرفنا آنفاً - ما هو إلا لحفظ ماء وجه العباسيين . وهؤلاء لم يحموا للهادي إلا حينما دخل صنعاء ولكنه سرعان ما تخلص منهم . لأن^(٢) قوتهم لم تكن ذات جذور قبلية كبيرة وليس لهم من المدد ما يطيل بقاءهم . ولم تحمهم كفاءة علي بن الحسين وحنكته ما لم تكن مسنودة بعوامل النجاح الأخرى حتى أن حلفاءهم بلأمس كا (لأكيليين) من همدان لم يتخرجوا من نفوذ أيديهم منهم ويصعدوا إلى صفوف أعدائهم^(٣) .

وكان العباسيون يراقبون ما يحدث في صنعاء . إلا أنهم لم يقدموا شيئاً لـ (للجفتم) ولا لحلفائهم التقليديين وهم (آل يعفر) المواليين لهم ، واكتفت بتلقي التقارير من (مكة) عن حالة اليمن بعد أن أراح العباسيون أنفسهم بجعل اليمن ولاية تابعة لولاية مكة .

(١) المصدر نفسه ، ٤١

(٢) الجنداري ، الجامع الوجيز (ق ٣٠/ب) . المحلى ، الحقائق الوردية ٢٢/١ . الهمداني ، الإكليل

٣٣٢/١ ، ٣٣٤ . ابن خلدون ، التاريخ ٧٤٣/٦ ، ٧٤٤ . العلوي ، سيرة الهادي ١٩٥ - ١٩٨ ،

نشان الحميري ، الحور العين ١٩٦

(٣) العلوي ، سيرة الهادي ٢٥٠ ، ٢٥١

وبالرغم من أن الوالي العباسي المقيم مكة حاول بسط نفوذه على تهامة كلها بما فيها تهامة الحجاز وتهامة اليمن بحكم قربها وسهولة السيطرة عليها ، إلا أنه لم يفعل شيئاً للتصدي للهادي ، وإن كان أهل نجران يترقبون فعل أي شيء في هذا السبيل ، ولكنه خيب آمالهم^(١) ولم يخط خطوة واحدة لصالحهم .

ومن هنا فإن القوة العباسية لم يكن لها الدور المؤثر في مواجهة قوة الزيدية .

القوة الثانية التي واجهها الهادي : هي القوى القبلية ، تلك القوة الحقيقية التي ظل يصارعها طوال حكمه ، وقد عانى منها الأمرين ، وإذا كان لقي في مبدأ أمره ترحيباً من بعض القبائل^٢ جعله يشتعل حماساً ، وعلى أثره دانت له معظم اليمن حتى أصبح يطمح بمد انتصاراته وحركته إلى خارج اليمن^(٣) .

إلا أنه ما لبثت تلك القبائل نفسها أن وقفت له بالمرصاد وتربصت به الدوائر ، وظل يندب حظه ويعلن أنه لولا خوفه على الإسلام ما أقام في اليمن^(٤) ، خاصة وهو يشاهد القبائل لا تسعى إلا وراء مصلحتها^(٥) .

ولكن صراعه مع القبائل لم يكن منشؤه من جانبهم إلا النزاع القائم على العصبية والثأر الذي حصل بين بعض القبائل المؤيدة والمناوئة ، أو لهوى بعض

(١) المصدر نفسه ٣٤٦ . كان ترقبهم هذا عام ٢٩٥ هـ .

(٢) العلوي ، سيرة الهادي ٦٦ - ٦٨

(٣) المصدر نفسه ، ١٤٨ ، ١٩٢

(٤) المصدر نفسه ، ١٠٨

(٥) صطر لهدي أن يصرب لمقود بموصفت خاصة بحيث تكون دت بريق حص ، وتصرف

دنيبره مدراهم أكثر من مثيلاتها في ذلك العهد ليستبين بها لقائس (نظر : الهمداني ، لجوهرتين

العنقيتين ١٧ ، ٧٧ . والمقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ٩٩ . وابن رسته ، الأعلام

النفيسة ١١٢

قاداتهم ، أولاً أن بعض لتجمعات القبلية حصلت منها بعض تجاوزات ، فكان يرى أن تلك القبائل عاصية خارجة فقاتلها ، أو لقرب بعض القبائل من الهادي واستشردهم . وتعبس بعض قاداته منها ، ثم أصدر منهم مائة نصيبية . وهذا كله هو بعض العوامل التي أدت إلى انحسار قوة الهادي ^(١) .

ولاشك أن القبائل التي تصررت من إبراهيم خمر في مصنع القرن ثلثت فحري . كانت هي نفسها التي وقفت لتدمير الخمر مع هادي في نهاية القرن الثالث ومطلع القرن الرابع .

ونعد قوة آل يعفر أقوى من تصدي الهادي . وإن كان قد ترحح موقفه . ففي سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠٠ م ، وأودع قاداتهم السجن ^(٢) .

وسرعان ما ثقل الوضع حيث تدخل آل يعفر الإصلاقي من هادي لئلا يشرته بعض القضاة سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م . وصححو بذلك على علاقة ودية ونعوان مثير . وتوفي أسعد الخوالي - بعد موت ناصر من هادي - تفتت أسرته ومساعدتهم على البقاء في صعدة ^(٣) .

وتقد على ناصر - هو الآخر - لأمرين من جانب قضي . وكان كما أصبح شيئاً فسدوه . وإذا أخذ عليهم عهد نقضوه . وإذا أمر معروف نكروه .

(١) الحمداي ، الإكليل ٤٢٥/١ . العلوي ، السيرة ٤١ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٢ ، ١٢٦ ، ١٦٨ ، ١٧٥ ، ٢١١ ،

(٢) الجنداري ، الجامع الوجيز (ق ٣٠/ب) . الحمداي ، الإكليل ١٨٥/١ . الحمداي ، الجوهرتين العتيقتين ٤٧ . حصل تنافس واسع بين الهادي وآل يعفر حول مناجم الذهب والفضة .

(٣) العلوي ، سيرة الهادي ٢٧٠ - ٢٧٢

(٤) المسعودي ، مروج الذهب ٢٤٠/٢ . الحمداي ، الإكليل ٤٢٦/١ . ٤٢٨ .

(٥) مجهول ، تاريخ اليمن (ق ٩٤/أ - ٩٦/أ) . العلوي ، السيرة ٤٧ وما بعدها .

وتكرر منهم تقض بيعته وعهده بين الفينة والفينة . وقد أوصله هذا إلى اعتزالهم ، ورفض أخذ زكاة أموالهم ، وأحياناً يحاول إرسال زعماء آخرين للتفاهم مع المعارضين ، ودائماً ما يعبر عن ضيقه من تصرفاتهم^(١) .

وهكذا انتهت دولة الهادي كما بدأت . فقد قامت على مساعدة قبائل ، وانتهت كذلك بعد وفاة النصر بن الهادي (ت ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م)^(٢) تخلي قبائل عنها حتى تدث القبائل التي أرزت الهادي وناصرته كقبائل صعدة .

أما القوة الثالثة فهي قوة الإسماعيلية : التي كانت شوكة في جنب الهادي سوء تحت لواء علي بن الفضل - لذي أثر (القرمطة) - أم تحت لواء (منصور المين) - الذي ظر محتفظاً بولائه (للمهدي الفاطمي) في (المغرب) - .

وإذا كانت مصادر لم تبين مواجهة ماتت بين الهادي وبين منصور المين^(٣) . إلا أنهم لم تتوانى عن شرح المواجهة التي تمت مع علي بن الفضل منذ سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م^(٤) ، ولعل ذلك لأن منصور المين كان يسير وفق سياسة لثريث وأحكام القضاة والتربية على وفق تفكيراته الإسماعيلية ، بينما علي بن الفضل - مثل الهادي مع الفارق - انخدع بالانتصار السريع فسار بسرعة نحو نهايته ولم يخلف شيئاً .

ويستثنى من هذا التعميم تلك المواجهات التي حصلت بين الهادي وبعض دعة الإسماعيلية في (غرنا) كان يطلق عليهم مصطلح (القرامطة) ، وهم في

(١) مسلم اللحجي ، كتاب فيه شيء من أخبار الزيدية باليمن ، (ق ٤٩ / ب) . مجهول ، تاريخ اليمن ، (ق ٩٣ / ب) .

(٢) الهمداني ، الإكليل ٤٢٦/١ . والعلوي ، سيرة الهادي ٤٠٧ - ٤٠٩ .

(٣) حمدي . كشف سرر لدسية وأحبار قرمطه ٢٧ . ٢٨ . والخرجي . المعجد لسوك ٣٧ .

(٤) الخرجي ، المعجد المسبوك ٤٠ . والعلوي ، سيرة الهادي ٢٣٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٥ .

الحقيقة أتساءل (منصور البين)^(١) . ومع هذا فهي مواجهة فردية مع الهادي تتداخل مع النزاعات القبلية . أما في عهد الناصر بن هادي (ت ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م) فكانت معظم حروبهم مع الخنث لإسماعيلي أي منصور لين وأتباعه^(٢) . خاصة بعد لقضاء على زعيم قرامضة عبي بن الفضل وقاعدته (المذيخرة) سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م^(٣) .

القوة الرابعة الخوارج : كانت بعض قبائل مغرب صنعاء على مذهب الخوارج (الإباضية)^(٤) . وحيث استولى منصور البين (على معظم (مغرب صنعاء) دخلت تحت نفوذه قبائل (الخوارج) وظل يقاتلهم دولة هادي وحتى بعد تقلص نفوذ الإسماعيلية طلت هذه القبائل تقاتل الناصر كقوة وريثة لملك الإسماعيلية المنقرض . وصار يطلق عليهم (قرامطة) في بعض الكتب . وهذا بعيد عن الصحة لأن الناصر - إلى جانب إشهار لسلح في وجوههم - ألف كتب لتفنيد وهدم أفكارهم التي صرح بأنها تقوم على أصول مذهب الخوارج^(٥) .

عوامل انحسار دولة الهادي :

بالإضافة إلى ما قامت به تلك القوى السابقة من جهد في تقويض دولة الهادي نضيف عامل الاعتماد على قوة الشخصية ، والغفلة عن التربية للأفراد

-
- (١) العلوي ، سيرة الهادي ٣٣٠ ، ٣٤٠
 - (٢) مسلم اللحجي ، كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٤/ب - ٥٦/أ) . والحلي ، الحقائق الوردية ٤٩/٢ - ٥٢ . العلوي ، سيرة الهادي ٤٠٤ - ٤٠٧
 - (٣) العلوي ، سيرة الهادي ٤٠٣ . نشوان الحميري ، الحور العين ٢٠٠
 - (٤) لإسماعيلية فرقة من فرق خوارج (بصر) . كتاب لشيخ لعمري ليس في العمر لمهدي لمحمدة الإسلامية) .
 - (٥) مسلم اللحجي ، كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٠/أ - ٤٤/ب - ٤٥/ب) . والحلي ، المحدثين لوردية ٤٦٣ كل من عظم قبائل خوارج تبين أن قدم وصلبه) . ولاصطخرن ، مبادئ الممالك ٤٥

و حدد قدمت مؤمنة - المفكرة تحفظ على كبر الدولة . فشحسية هادي نفوية
سعدت على قف - دولته متسكة مادد حيب . ونوته عدم ٢٩٨ هـ ٩١٠ د (١)
نمرط عقد نفوى لتي كانت قد جمعت . وصارت كل قوة تعص على ل يكون
لها كيانها المستقل (٢) .

ويعد ضعف شخصية ابنه المرتضى عاملاً ثالثاً ، ولذا أثر الاعتزال سنة
٣٠١ هـ ٩١٢ د (٣) . شارك الدولة بتقددهم لأعصير دول ل يقوم أي لتي .
لمحافظة عليها .

ولاشك ل اعبر له هذا فقد الدولة هيته . وه تفنح محوثة الناصر . بعد
ل تولى بعد حيه عدم ٣٠١ هـ ٩١٢ د مقبلد للأمور . لإعدة هيته الدولة - لبرغ
من عدمه على قوة شحسيته كوند ... وسالبرغ من حصاعه لبعض القائل .
وفل الكثير من قوة (الباطنية) (٤) .

وم لعدم لآخر فهو م نكل استخلاصه من مسد لريسة . فلهادي ل
يعهد لى أحد من ناته . وكملت المرتضى ونصر لى هادي (٥) . وهذا ساع من
مسد (لريدية) الذي يحس على أنه لا يستحق (الإمامة) لآ من توفر فيه
شروط الإمامة (٦) . وخرج دعي لى مسه . وهو مبدأ لاعبر عليه . لآ أنه
خطير . لأن لهوى قد يتحكم بدقة الأمور . وسيبرز كل مستحق وغير مستحق

(١) المحلى ، الحقائق الوردية ١٣/٢ - ٢٥

(٢) مسلم اللحجي ، كتاب من أخبار الزيدية (ق ٣٩ ب) .

(٣) المحلى ، الحقائق الوردية ٤٤/٢ - ٤٦

(٤) الجنديري ، الجامع الوحيز (ق ٢٤/أ - ٢٦/أ) غالب أهل اليم يطلقون - في الغالب - على
القرامطة والإسماعيليين لفظ الباطنية .

(٥) المحلى ، الحقائق الوردية ٤٤/٢ ، ٤٥

(٦) (ذكرت في : ص ٢٢ من هذا البحث) .

لبنادي بنفسه إماماً ، ومن هنا ستجر الأمور إلى الفتن والقتال بين الأئمة ، ولعل مصداقية هذا واضحة بعد وفاة الناصر عام ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م حيث قام بعده ابنه المنصور يحيى بن الناصر ، وادعى الإمامة ، فعرضه أخواه لقاسم (المختار) ، والحسن ، وكان خرب صعدة على أيديهم ، وقد انتهزت لقبائل لفرصة فذهبت تقتل أحفاد الهادي هنا وهناك وهم في تفرق وتمزق^(١) .

ومثل هذا حصل لمن بعدهم ، فما قام يوسف بن يحيى بن الناصر (المتوفى عام ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) ، ودعا إلى نفسه سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م قام في مواجته أئمة آخرون منهم المنصور القاسم بن عبي العيني في عام ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م ، وقام دعة آخرون ينفسونه وينافسون لقاسم العيني (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٢ م) ، سواء في عهده أو في عهد ابنه الحسين (ت ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م) الذي ادعى الإمامة بعد أبيه^(٢) ، بعد أن تسربت إليه بعض أفكار (الشيعة لإمامية)^(٣) ، التي ستكون مثاراً للجدل والقتال بين أطراف الزيدية في القرن الخامس الهجري وما بعده ، وهكذا حملت لدولة الهادوية كنفه بيسه ، وكما بدأت في أواخر القرن الثالث شابة قوية ، كانت في آخر القرن الرابع قد أصابتها الشيخوخة فأكل بعضها بعضاً .

٢ - الاتجاه الشيعي الإمامي - الإسماعيلي :

لقد سبق أن ذكرنا أن الشيعة - غير الزيدية - لم تكن الدولة العباسية

(١) زيارة ، أئمة الين ٦٥/١ ، ٦٦ ، ومجهول ، تاريخ الين (ق ٩٤ ب - ٩٦ أ) . والعلوي ، سيرة الهادي ٤٠٧ - ٤٠٩ ، والجندي ، الجامع الوجيز (ق ٣٦ أ) .

(٢) ابن عبد المجيد ، هجة الزمن ٤٣ ، ٤٤ ، ومجهول ، تاريخ الين (ق ٩٦ ب - ٩٧ ب) . والحلي ، الحقائق لوردية ٦٠٢ ، ٦٤ ، وس أي رحال ، مطبع نسور ٥٢ : ٥٦ . وزيارة ، أئمة الين ٧١/١ - ٨٦ ، والجندي ، الجامع الوجيز (ق ٤٠ أ - ٤٢ ب) .

(٣) ابن عبد المجيد ، هجة الزمن ٤٤ ، والحلي ، الحقائق لوردية ٦٠/٣ - ٦٤ . زيارة ، أئمة الين ٨٥/١ . الجندي ، الجامع الوجيز (ق ٤٢ ب) . أحمد بن سليمان ، الحكمة الدرية والدلالة

لترهيبهم ؛ لأن الشيعة الإمامية كانوا ينتظرون الإمام المنتظر ، ولذا كانوا لا يشكلون قوة يحسب حسابها في هذا الوضع ، بل كان ينظر إليهم على أنهم فرقة من الفرق السلبية أو السلبية ينتشر أفرادهم هنا وهناك بلا عائق ولا اضطهاد .

ولكن يبدو أن طائفة منهم كانت تعمل على إيجاد منظمة سرية محكمة التخطيط تتولى العمل والتهديد لظهور (الإمام) ، وكانت أوساط الشيعة الاثني عشرية خير ميدان لجذبه إلى الاتجاه الجديد لقريهم من هذا الاتجاه ، وللملل الذي أصابهم من طول الانتظار ، وقد تولى هذا الاتجاه ما عرف فيما بعد بالإسماعيلية^(١) .

وقد اعتمد هذا الاتجاه - الاتجاه الإسماعيلي - على التركيز بأن الإمام موجود ولكنه مستور ، ولا بد من ظهور دعاة يتولون الدعوة السرية ، وإعداد الرجال ، وحرث الأرض لاستقبال الإمام .

ولا يعني هنا الحديث عن الإسماعيلية (أو القرمطية ، أو الباطنية) كعقيدة وفكر ، فهذا له مجاله الخاص وبجته المستقل^(٢) ، ولكن الذي يعني هنا حركتها الظاهرية ، وأثرها في اليمن .

لم يعهد عن الإسماعيلية حركة تذكر قبل النصف الثاني من القرن الثالث ، وإن كانت كتب الإسماعيلية تشير إلى أن (رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا) ألفها أحد أئمتهم ، أو أمر بتأليفها - كما يزعمون - للرد على حركة المأمون لتعميم الفلسفة^(٣) ، وتوحي كتبهم بأن أئمتهم ظلوا في طي الكتمان ، ولكنهم كانوا

(١) لا عربة د شيه أحد مدخس حركة إسماعيلية للحركة لاسونية في نظامها الدقيق وبعض مراتبها ومصطلحاتها [انظر : القرامطة لدى خويه] .

(٢) راجع إن شئت كتابنا : النتاج العلمي .

(٣) دريس محمد نديم . عبور الأحبار وفنون لاثار . لسع الرابع ٣٦٧ ، ٣٩٠ ، ومسألة مؤلف هذه الرسائل فيه اختلاف كثيرة وبلا كل المرجح لدي أن واضعها - مادام قد أخفى اسمه - =

يبعثون الدعاة في الجزر والبحار^(١) ليحرثوا الأرض حتى يظهر الإمام .

وبالنسبة للين تفيد بعض الأحداث بوجود تنسيق من نوع ما ، بين قيادة الحركة الإسماعيلية في العراق والشام ، وبين بعض لعنصر لشيوعية في لين .

فقد كان في الين شيعة إمامية اثنا عشرية^(٢) ، وكان معظمهم في (عدن أبين) أو (عدن لاعة) ، وهم الذين استقبلوا علي بن الفضل ومنصور الين حينما قدما إلى الين سنة ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م^(٣) .

=
قوله ما حده لا خوفه وما حرف لا لأن ورءه تي . . ول هـ نتي . حضير . ولا يسعد .
والشأن كذلك أن يكون للدعاة الإسماعيليين دور في كتابة هذه الرسائل ، ويؤيد هذا تلك المعلومات التي ظهرت حول بعض الأسماء التي قيل إنها ألقتها - وكلها شيعة - (انظر : مصطفى غالب (الدكتور) ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية ١٤٩ - ١٥١ ، ط ٣ ، ١٩٧٩ م
(١) هذه بعض مصطلحات لإسماعيلية فيقسمون لمناطق معمورة على طهر الأرض إلى (حرر وبحار) ويعملون عليها دعاة . (انظر : إسماعيل قربان حسين . السلطان الخطاب حياته وشعره ٢٦٤) .

(٢) كانت لقيادة لإسماعيلية في نصف الثاني من لقرن ثلثت فحري بيد الداعي أو الحجة أو الحجاب - حسب لمصطلحات لإسماعيلية - الحسين بن عبد الله بن ميمون لقداح ، ولعه هو نفسه الإمام . (انظر : مصطفى غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية ١٥٢ - ١٥٧) . ومن للملاحظ أن هـ الاسم يتفق تماماً مع لإمام الذي أعلنته الإسماعيلية فيما بعد بأنه الذي كان معاصراً للقداح هذا ، وهو الحسين بن أحمد (ويعرف بعبد الله) ، (إدريس عماد الدين ، عيون الأخضر ، لسبع لربع ٤٠٣) ، وهو ولد لعبد الله المهدي ، وهذا يخالف ما ذكره ابن خلدون في تاريخه ٧٥٧/٢ حيث جعل أباه محمداً الحبيب .

(٣) كل عبي بن عيسى عبي مذهب لاثني عشرية (بطر : لوصافي . لاعتصار في التواريخ والآثار ٢٣ . والحادي ، كشف أسرار الباطنية ٢١

(٤) لمصطفى السمعاني . رسالة فصح لدعوة ٤٤ ، ٤٥ . وإدريس عماد الدين . عيون الأخضر . السبع الخامس ٣٦ ، ٣٧ . وابن خلدون ، التاريخ ٧٦٠/٦ ، ولا يتعارض هذا مع ما نسب إلى ابن حوشب منصور الين من أنه أول من نشر مذهب الإسماعيلية بالين ، وأن ابن الفضل أول من سن (القرمطة) في الين (نشوان الحميري ، الخور العين ١٩٧ ، ٢٠٠) .
=

ويتأكد لنا أن سفر علي بن الفضل إلى العراق سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م قد اتفق عليه سلفاً ، لأن (الإمام الإسماعيلي) كان يتوقع قدومه بين لحظة وأخرى ^(١) ، وحيما قدم وأعادته إلى الين مع (ابن حوشب) المعروف (منصور الين) حدد لها مواقع نزولها بالين م يدل على الترتيب المسبق والمعرفة الواضحة بتركز الإسماعيلية بالين .

ولما قدم (ابن حوشب) إلى الين صرح (الشيعة) الذين استقبلوه أنهم كانوا ينتظرون مقدم (داعي المهدي) ^(٢) ، كل هذا يدل على الاتفاق المسبق بين القيادة في العراق وبين فروعهم أو حلاياهم في الين ، ولم يكن ينقصهم إلا وجود أحد الدعاة الأقوياء ليتولى قيادة تلك (الخلايا) ، وقد وقع الاختيار على أبي القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن رذان - الذي عرف بمنصور الين - وأشرك معه علي بن الفضل الحنفرى الذي خرج إلى العراق ، لمقابلة الإمام لإعطائه تقريراً عن الوضع في الين ^(٣) ، وليسند إليه الدور الجديد ، وهو دور الإعداد والاستعداد للظهور ثم الانقضاء .

فقد دخل الين عام ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م ، واستقر ابن الفضل في مدينة

= عدن مين : هي مدينة عدن المعروفة الواقعة في حوب الين ، والمبهاء المشهور ، وعرفت بعدن أمين لأن أمين بن زهير الحميري قام بها ، ولأنها كانت من أعمال غلاف أمين المشهور [الحجري ، مجموع بلدان الين ٥٥/١ و ٥٨٢/٣] .

عدن لاعة : لاعة : بلد من أعمال حجة لوقعة في لندل العربي من صنعاء إليها نسب عدن لاعة ، وقد خربت عدن هذه في الوقت الحاضر [الحجري ، مجموع بلدان الين ٦٧٧/٤ - وعرفها الأكوخ في تحقيقه لكتاب قرة العيون ١٨٢] .

(١) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٢٢

(٢) إدريس : عماد الدين ، عيون الأخبار ، السبع الخامس ٣٦ ، القاضى النعمان ، افتتاح الدعوة ٤٤ ، ٤٥

(٣) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٢٢

(جيشان) في جنوبي شرق اليمن ، واستقر منصور اليمن في (عدن لاعة) ساحية (مسور) في شمال الغربي لليمن ، وفي كلب المظقتين كان لها شيعة^(١) ، ولم تبين المصادر أن لقاء تم بينهما بين عامي ٢٦٨ هـ / ٨٨١ م و ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م ، أي بين دخولهم اليمن وسقوط صنعاء تحت أيديهم إلا أنه من البدهة ألا تكون لصفة مقطوعة طوال هذه المدة ، ولا نستبعد أن تكون بينهما مراسلات سرية^(٢) .

وقد اتفقت وسيئتها في التوصل إلى قلوب الناس وهي الاستتار والرهبة والتعبد ولتنسك ، والابتعاد عن الناس ليقربو إليهم ببعض الوسائل والطرق . وعملا على الاستعداد ببناء الحصون ، والقيام ببعض المناوشات مع من يحيطون^(٣) .

وأشهر أمرها في وقت واحد هو سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م ، وبكيفية واحدة وهي الاستيلاء على أحد الحصون من حولها تم الاقتضاض على القوى الصغيرة أولا بأول^(٤) .

وكما لاحظنا آنفاً فلا نعرف عنها شيئاً بين سنتي ٢٦٨ ، ٢٩٠ هـ / ٨٨١ ، ٩٠٥ م ، حتى الكتب الإسماعيلية وهي التي استقيننا منها معظم معلوماتنا ليس لديها أي شيء عن هذه المدة .

(١) لقاضي النعمان . فتوح لدعوة ٥٠ : إدريس عماد الدين ، عيون لأخبار ٣٦٥ ، ٣٧ . تروج ابن حوشب ابنة أحد قادتهم وهو أحد بن الخليل النقي مات في سجن آل يعفر .

(٢) من المشهور عن الإسماعيلية أنهم كانوا يستعملون الحمام الزاجل في مراسلاتها [ابن النديم ، الفهرست ٢٦٤] ، وقال كل واحد منها لصاحبه حينما افترقا : أعلمني بأمرك وما يكون منك (الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٢٤) .

(٣) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٢٥ ، ٢٨ . إدريس عماد الدين ، عيون الأخبار ، السبع الخامس ٣٧

(٤) إدريس : عماد الدين ، عيون الأخبار ٣٧ ، والوصافي ، الاعتبار ٢٢

وإن كانت تلك المصادر قد قررت ظهورهما عام ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م^(١) ، إلا أنها لا تفسر الصمت الذي ظل بعد ذلك حتى عام ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م ، ويمكننا تفسيره بأن تلك المدة انقضت في الإعداد والاستعداد ، وأنها أظهرت (السلوك) أو (العقيدة) ، ولكن ظهور (القوة) و (المواجهة) لم تتم إلا في عام ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م .

ولا أظن صحة ما قاله أحد المؤرخين من أن بعثتها إلى اليمن كان في سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٣ م^(٢) ، لأن الإمام الذي أرسلها كان مقيماً في العراق في عام ٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م ، ولم يأت عام ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م إلا وقيادة الدعوة قد انتقلت إلى الشام ثم إلى المغرب^(٣) .

بالإضافة إلى أن (المهدي) - الإمام الفاطمي - خرج من الشام سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م وكان عازماً على التوجه إلى اليمن^(٤) ، وما كان ليتوجه إليها إلا وهو يعلم أن الظروف مواتية له .

كان معظم صراع منصور اليمن مع آل طريف وآل يعفر وبعض القبائل في مغرب صنعاء ، وقد استطاع الاستيلاء على معظمه^(٥) ، ولكن في وقت طويل إذا ما قورن بما حققه (ابن الفضل) في الزمن نفسه ، لأن هذا لم يأت سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م إلا وهو يدق أبواب صنعاء الجنوبية في (ذمار) وما حواليتها . عازماً على التقدم نحو الشمال للسيطرة على صنعاء عاصمة اليمن ، بعد أن أنهى دولاً

(١) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ٤٤ - وإدريس ، عيون الأخبار ، السبع الخامس ٢٧

(٢) يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ١٩١/١

(٣) دي خويه ، القرامطة ٢٧

(٤) إدريس : عماد الدين ، عيون الأخبار ، السبع الخامس ٩٠

(٥) الحمادي ، كشف أصرار الباطنية ٢٦ ، ٢٧ ، إدريس : عماد الدين ، عيون الأخبار ، السبع

الخامس ٣٧ - ٣٩ . الجندي ، السلوك ٦٤ . العلوي ، سيرة الهادي ٢٨٩ - ٤٠٣

كاملة كانت تسيطر على معظم مناطق الشق الجنوبي من اليمن ، وهي (دولة المناخين) في (المذيخرة) ، و (دولة الكرندي) في (المعافر)^(١) ، و (دولة أبي العلاء الأصبحي) في (يافع) ، وكانت انتصاراته هذه تتم باسم الدولة العلوية هكذا على وجه الإطلاق .

وبعد سقوط صنعاء تحت سيطرة علي بن الفضل سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م^(٢) ، التقى هذا بمنصور اليمن وتبادلا الرأي في خطتهما المقبلة فاحتدم الخلاف بينهما . فقد كان رأي منصور اليمن أن يحتفظ كل واحد منهما بما تحت يده لإصلاح شؤونه سنة كاملة ثم يفكرون بعد ذلك في خطوة أخرى . ولكن (ابن الفضل) كان مصراً على التوجه نحو (تهامة) والسيطرة عليها ، ولم يرضخ لرأي رفيقه وأميره المقدم عليه حسب تعليمات الإمام الإسماعيلي بل سارع بالزحف نحو تهامة واكتسح مدنها كالمهجم وزيد^(٣) .

ولقد أسكرت (ابن الفضل) نشوة النصر فداخله الغرور ووجد نفسه في نقص إن لم يسيطر على بقية اليمن كلها ، ولحسابه الخاص ، لا (للمهدي العلوي) ، ولا لغيره ، ولا بد من الخلاص من (منصور اليمن) نفسه . ولعل مخالفته ودخول تهامة كان بداية لهذه الخطوة . وقد اتبعها بخطوة أخرى وهي أنه كتب إلى منصور اليمن قائلاً : « إنما هذه الدنيا شاة ، ومن ظفر بها افترسها ، ولي

(١) المعافر هي : المنطقة المعروفة اليوم بالحجرية وهي ضمن لواء تعز .

(٢) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٢٨ - ٣٢ . الجندي ، السلوك ٦٤ - ٦٦ . عمارة ، تاريخ

اليمن ٦٤ . الرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ٢٦٣ . والهمداني ، الإلكيل ٤٨/٨ ، ١٠٨ .

(٣) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٣٢ ، ٣٣ . والجندي ، السلوك ٦٤ - ٦٨ ، أشار في الكشف أن

ابن الفضل قتل مظفر بن حاج أمير زيد ، بينما الطبري في تاريخه ١٢٨/١٠ . وغريب بن سعد

القرطبي في صلة تاريخ الطبري ٢٠ . ومحمد بن عبد الملك الهمداني في تكملة تاريخ الطبري ١٩٨

اتفقوا على أنه مات موتاً في زيد وحمل إلى مكة ودفن بها .

بأبي سعد الجنابي أسوة لأنه دعا إلى نفسه : وأنا أدعو إلى نفسي ، فيما نزلت على حكيم ودخلت في طاعتي ، وإلا خرجت إليك »^(١) .

وبمحاولة ابن الفضل هذه للإجهاز على صاحبه انقسم الصف الإسماعيلي إلى شقين ، ولعل هذا لم يكن في الين فحسب ، بل كان ناتجاً عن خلافات وانقسامات في قيادة الدعوة الإسماعيلية ذاتها^(٢) ، كما أشار ابن الفضل نفسه ، فظهر بهذا ما عرف بحركة (القرامطة) .

وقد أشارت كتب الإسماعيلية إلى أن السبب الذي أفسد ابن الفضل عن قيادته الإسماعيلية هو وصول أحد الدعاة المقربين من القيادة الإسماعيلية ويدعى (فيروز) الذي كان يعد (باب الأبواب) إلى الأئمة ، فقد وصل إلى الين مغاضباً (للمهدي) الذي توجه نحو مصر بعد أن كانت وجهته إلى الين ، وقد حاول (فيروز) استالة (منصور الين) ولكنه أبى ، فتوجه نحو ابن الفضل فاستجاب له^(٣) .

ويمكننا قبول هذه الرواية ، مع إضافة الغرور القبلي ، ونشوة النصر التي طغت على مشاعر ابن الفضل ، ووجود نموذج آخر قد سبقه إليه وهو أبو سعيد الخبائي الأمير القرمطي في البحرين ، وكلاهما يستند إلى أسس المذهب الإسماعيلي الباطني وليس من اختراعها .. ولعل هذا السبب هو أقوى الأسباب المؤدية إلى الاختلاف ، فالقرامطة تقوم بإظهار كل المبادئ الإسماعيلية والعمل على

(١) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٣٣ . وستر صاحب عيون الأخبار . السبع الخامس ٤٢ أن منصور الين هو الذي نابذ ابن الفضل الحرب ، ولعل الحمادي كان أصوب لأن ابن الفضل هو الطامع في السيطرة .

(٢) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٣٠ . إدريس عماد الدين ، عيون الأخبار ، السبع الخامس ٤٠ ، ٩٠ .

(٣) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ١٤٩ . إدريس : عماد الدين ، عيون الأخبار ، السبع الخامس

تطبيقها ، بينما القيادة الإسماعيلية كانت ترى التريث في الأمر ، ويتضح هذا من التقرير لذي بعثه أحد رس (المهدي) لصلح بين الطرفين فقد قال : إن القوم قد أظهروا البطن ، وعملوا به وفطنوا له ، وتشاتقوا ، وتفاضحوا بينهم^(١) .

وكان مظهر هذا هو ما ذكرته المصادر غير الإسماعيلية من تحليل المحرمات . وارتكاب الفواحش^(٢) ، وهي ليست بعيدة عن مبادئ الإسماعيلية التي توجد فيها مصطلحات (ليلة الإفاضة) أو (قيام القيامة) ، التي يباح فيها كل شيء^(٣) .

وأياً كان ذلك السبب الذي أدى إلى الاختلاف ، فإن منصور الين لم يرضخ لتهديد ابن الفضل فتجهز هذا لإخضاعه بالقوة . ولكنه لم يفلح واكتفى - لحفظ ماء الوجه - بأخذ ابن منصور الين (رهينة) والعودة إلى (المذبحرة)^(٤) بعد أن دخل صنعاء للمرة الثانية عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م تاركاً خلفه أسعد بن أبي يُعفر الحوالي نائباً عليها^(٥) .

وكان ابن الفضل بحركته هذه قد أثار نقمة كل الأطراف عليه ، وسعى كل طرف للخلاص منه ، ومن هنا كان ذلك الخلاف المتشعب حول موته عام ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م^(٦) .

(١) عبد الجبار لهمداني ، تثبيت دلائل السوء الصم مجموعة أخبار لقرامطة ، تحقيق / سهيل زكار (١٤٩) .

(٢) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٣٦ . والعلوي ، سيرة الهادي ٣٩٢

(٣) زكار ، أخبار القرامطة ٢٣ ، ٩٧ ، ٢٣٠

(٤) محمدى ، كشف أسرار الباطنية ٣٥ ، ٣٦ . وقد أعدد بن الحسن لرهينة بن منصور الين بعد أن أكرمه وبره وطوقه بطوق من ذهب .

(٥) العلوي ، السيرة ٢٩٧ ، ٢٩٨ . والرازي ، تاريخ صنعاء ٣٠٩ ، ٣١٠ . ويحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ٢٠٢/١ .

(٦) بقول مدرس عماد الدين - في عيون الأحرار لسبع جلد ٢٣ :- إن المهدي رسل إليه من =

وما أن مات ابن الفضل حتى تجمعت كل القوى وشارك بعضهم عملياً في تجمع ضخم بقيادة أسعد بن أبي يُعْفِر الحوالي وبعض القوى شاركت بالحياد ، أو بالرضا . وتجمعت أيضاً حول أسعد فلول القيادات والزعامات التي تساقطت تحت ضربات (ابن الفضل) الكاسحة وجاءته الإمدادات من (زبيد) وحاصر (المذيخرة) ، ثم أخربها على رؤوس أصحابها ، وسبى النساء وفرقهن بين أصحابه^(١) ، لتنته بذلك أول دولة للقرامطة في اليمن .

بل انقرض التيار الشيعي الإسماعيلي سواء كان قرمطياً أم غيره من القسم الجنوبي لليمن الذي سيطر عليه ابن الفضل ، وتكرس الوجود الإسماعيلي في الشمال ، وما ذلك إلا لاهتمام منصور اليمن بالتربية ، وإيجاد المحلصين للمبدأ قبل التوسع في الرقعة ، بل كانت (مسُور) - في اليمن - مركزاً لتربية الدعاة الذين أرسلوا إلى خارج اليمن^(٢) .

وبالرغم من هذه الخطة البعيدة الأثر إلا أن المواجهات بين بقية الإسماعيلية ومناوئتهم تركزت بعد سقوط المذيخرة عام ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م في مناطق الشمال . فقد حصلت مكاتبات واتفاقات بين (أسعد الحوالي) في صنعاء ، و (الناصر) في (صعدة) ، وإبراهيم بن زياد في (زبيد) ، للتناصر والقضاء على القرامطة

= يقتله بالمسم . وجاء في سيرة الهادي ٤٠٣ أنه تفجر من أسفل بطنه فمات ٣٠٢ هـ / ٩١٥ م . بينما قال لوصافي في الاعتصام ٢٤ : إن لعبد بكر و فخر بن فضل قدموا له - على سبيل الاختبار فمات - وهي رواية ساذجة - ومنهم من نسب قتله إلى آل يعفر (الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٣٧) ، وقد تصدق هذه الرواية لأن المتضرر المباشر لاجتياحه هو أسعد بن يُعْفِر . والغريب أن رواية تقول : إن الذي قتله كان مرسلأ من الخليفة العباسي (الجندي ، السلوك ٦٦) . وهذا بعيد لأن جميعه كان متعولاً - هو أم وعمه - حول مقر حكمه وعدننة دولته .

(١) نثوان الحميري ، المحور العين ٢٠٠ . ويحيى بن الحسين ، غاية الأمان ٢٠٩/١

(٢) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ٥٨ ، ٦٠ ، ٦١ . إدريس : عماد الدين ، عيون الأخبار ، السبع

الرابع ٤٤ ، ٤٥ ، والسبع الخامس ٣٧ - ٣٩ ، ٤٤

(الإسماعيلية) ، حيثما وجدوا^(١) ، وقد تولى الناصر ذاته إدارة المعارك مع أنصار المنصور في مواقع كثيرة^(٢) .

ويبدو أن منصور الين لم يطل عمره كثيراً بعد القضاء على دولة القرامطة جنوبي الين . وقد وردت رواية بأنه توفي عام ٣٠٢ هـ / ٩١٤ م . وهذا يعني أنه توفي قبل ابن الفضل ، إلا أن هذه الرواية غير مقبولة ولا مستساغة ، لأن الحمادي^(٣) الذي أورد تلك الرواية هو نفسه يعطينا خبراً مناقضاً لها وهو أن خليفة منصور الين عبد الله بن عباس الشاوري ، أرسل إلى (المهدي الفاطمي) يعلمه بموت (المنصور) وهو يومئذ بمدينة (المهديّة بالمغرب) ، مع العلم أن (المهديّة) اختطها (المهدي) سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م ، وانتقل إليها سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م^(٤) . ومن ثم فإن وفاة منصور الين كانت عام ٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م أو بعده .

وبوفاة المنصور حصل الانشقاق بين خليفته (الشاوري) - الذي عينه (المهدي) على (الدعوة الإسماعيلية) في الين - وبين الحسن بن المنصور الذي وصل به الأمر إلى قتل (الشاوري) وتولى الأمر بنفسه ، لاليواصل مسيرة والده . بل يُتراجع عم كان عليه . ويقتل أتباعه ويصبح عام ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م

(١) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٢٨ ، ٣٩

(٢) مسلم اللحى ، كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٩ ، وما بعدها) . والعلوي ، سيرة الهادي ٤٠٤ . ويحيى بن الحسين ، غاية الأمانى ٢٠٦/١ - ٢٠٨

(٣) كشف أسرار الباطنية ٢٨ ، ٣٩

(٤) إدريس ، عيون الأحرار ، لبع الخامس ١٣٦ . وما يؤيد تأخر وفاة لمنصور بعد من الفصل بزم طويل ما ذكره إدريس في عيون الأخبار ، السبع الخامس ٤٤ ، حيث قال : « واستمر أمر المنصور في الين بعد مقتل هذا اللعين (ابن الفضل) ومملك أكثر مدة من السنين » . وانظر همداني . الصليحيون والحركة الفاطمية في الين (من سنة ٣٦٨ إلى سنة ٦٢٦ هـ) ٤٩

قوة عشائرية ضمن القوى القبلية في اليمن^(١) ، ولكنه قتل على يد أصحابه ، ليقسم أملاكه زعيمين من زعماء اليمن ، وتتبع أتباع المذهب الإسماعيلي (الباطني)^(٢) ، ووثب المسلمون على أبناء المنصور وأحفاده فقتلوه صغيراً وكبيراً ، وسبوا حريمهم ، ولم يبق منهم أحد إلا جعفر بن منصور الذي هرب إلى (المهدي) في (المغرب)^(٣) .

وهكذا انتهى دور الوجود الإسماعيلي وانتقلت الدعوة الإسماعيلية في اليمن إلى الكتمان والسرية وسط قبائل (يام وسنحان وجنب) ، حتى ظهرت الدولة الصُّلَحِيَّة في الربع الثاني من القرن الخامس ، وبالتحديد سنة ٤٣٩ هـ / ١٠٤٧ م^(٤) .

ثالثاً - الاتجاه القبلي

حينما تختف القوة المركزية في أي بلد ، فإن التكتلات البشرية في ذلك البلد تظهر ويصبح لها وزنها وثقلها ، وإذا واثت الظروف إحدى القوى لكي تتحكم ببقية القوى ، فإنها تكون حقبة مؤقتة ، لأن عوامل نشأة كتلة أخرى تعدّ كامنة في أعماق المجتمع .

فإذا كان هذا ينشأ في أي مجتمع ، فإن المجتمع اليمني كان أسبق المجتمعات لبروز تلك الظاهرة ، لأن الطبيعة الجغرافية والانقسامات القبلية القائمة على الثأر

(١) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٣٩ - ٤١ . ويحيى بن الحسين ، أنباء الزمن في تاريخ بين (ق ٣٥) ، ومسلم اللحجي ، كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٦) .

(٢) الزعيمان هما ابن العرجي وإبراهيم بن عبد الحميد السباعي .

(٣) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٤٠ - ٤٢ . ويحيى بن الحسين ، غاية الأمان في ٢٢٠/١ ، ٢٢٢ .

والأنساء (ق ٢٤) . والمؤيد في الدين ، ديوان المؤيد ٦ . وإدريس : عماد الدين ، عيون الاخبار . السبع الخامس ٤٤ ، ٢٧٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ .

(٤) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٤٤

والحروب ومحاولة الغلبة ، ووجود النزعة المتردة لأتفه الأسباب ، وأحياناً معظمها أسباباً مادية بحتة ، بالإضافة إلى انتشار الأفكار الشيعة المتفرقة ، فإن اليمين يمكننا جعله في مقدمة المجتمعات التي تتفرق وتتمزق حينما تتلاشى القوة المركزية الضابطة .

وهذه الظاهرة وحدته في اليمين حول ظهور الإسلام ، فقد كان اليمين محزاً إلى وحدات قسمة متفرقة ، كل زعيم قبيلة أو عشيرة يطبق على نفسه ملكاً^(١) .

وهناك ظاهرة أخرى وهي أنه بمجرد وجود قوة مركزية تظهر في اليمين سواء من داخلها ، أو من خارجها ، وسواء كانت قوة بشرية عسكرية ، أو قوة فكرية ، كان بمجرد وجود تلك القوة المركزية - أيّاً كانت هويتها - تتجمع تلك القوى أو التكتلات وتنضوي تحت لوائها وتعلن لها الولاء ، ولكن سرعان ما تنقض ذلك الولاء لأي سبب من الأسباب ، حيث تسعى كل كتلة للانقضاض على الأخرى ، وتظهر الحزازات والإحن . وتبدأ مرحلة جديدة من الحن والابتلاءات التي تنزل بالجميع .

وهذه الظاهرة - مرة أخرى - نلاحظها بوضوح بعد الدخول في الإسلام فبمثل السرعة التي دخلت فيها تلك القبائل في الإسلام خرجت بعضها منه بدوافع قبلية وحصلت الردة^(٢) .

هاتان الظاهرتان مترافقان في الحقبة التي نحن بصدد الكتابة عنها .

ولتعدد تلك القوى والتكتلات ، فإننا لانستطيع أن نبرزها دون أن نحددها في أطر وحدود لنتمكن من رسم صورة دقيقة عنها .

(١) ابن سعد ، الطبقات ١/ ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ . والهمداني ، صفة جزيرة العرب ١٧٦ .
والسهيلى ، الروض الأنف ٧/ ٤١٣ - ٤١٥

(٢) انظر : اليمين في صدر الإسلام ٢٠١ - ٢٣٣ ، لصاحب هذه الدراسة .

ولذا لابدّ من النظرة إليها من خلال تقسيم جغرافي للين ، فنجعل صنعاء مركزاً أو محوراً ، ثم نحدد بقية المواقع بالنسبة لها شمالاً ، وجنوباً ، وشرقاً ، وغرباً . ذلك لأن صنعاء عاصمة الين ولأنها عاصرت قوى قبلية تعاورتها بين التمكن والتدمير . ولذا فهي القسم الأول في حديثنا . ويدخل فيه كل من آل يعفر وآل الضحاك وآل الدعام .

- والقسم الثاني هو غربي صنعاء وسنلمّ بالحديث عن : آل الشراحي ، وآل زياد ، وآل حَكَم ، وبني مَجِيد وبني وائل ، وأبي العلاء في لُحْج ، وآل المُنتاب .

- والقسم الثالث جنوبي صنعاء : وسيضمّ المُناخييين ، وآل الكرُندي ، وآل الهَيْثَم وغيرهم .

- والقسم الرابع شرقي صنعاء : وسيحتوي على همدان ، وآل الرّوية من مَذْحِج .

- والقسم الخامس شمالي صنعاء : ليجمع بعض قبائل هَمْدان ، وخَوْلان ، وجُماعة ، وبني الحارث ، وبني عَبْد المَدان ، ويام بنجران .

أولاً - صنعاء

لقد جعلنا صنعاء قسماً مستقلاً لأنها كانت مطمح كل خارج ، وقد تعاورتها ثلاث قوى قبلية (همدانية) كانت كل واحدة منها ترنو إلى السيطرة على القوى الأخرى وهي : (آل يُعْفِر) ، وآل الضَّحَاك ، وآل الدَّعَام .

ثم جاءت قوة من خَوْلان ، وهي قوة ابن أبي الفتوح الخولاني . وسيدور حديثنا عن هذه القوى تفصيلاً إن شاء الله .

آل يعفر الحواليون :

بدأ ظهور أسرة ذي حوال في أول القرن الثالث حينما ولى (المأمون)
- الخليفة العباسي - أحد عماله في اليمن وهو : الخطاب بن النعمان بن الوضح
الحوالي^(١) ، ولم يجعله كذلك إلا لمعرفة بكفائه وزعامته ، ومن هنا فإن هذه
الزعامة دفعته إلى الخروج على المأمون نفسه^(٢) ، ولم تجبنا المصادر على تساؤلات
مهمة : متى خرج ؟ هل كان قبل التولية فاستقطبه المأمون حسب سياسته في
استرضاء الخارجين عليه ؟ أم خرج على المأمون بعد أن ولاه على اليمن ووجد في
نفسه الزعامة والقوة التي تؤهله للانفصال عن لدولة الأم مستغلاً ظروف المأمون
العصية المتمثلة بكثرة الخارجين عليه ؟ وما هي النتائج التي حققها من حركته
هذه ؟

كل هذه التساؤلات لم نجد لها إجابة فيما بين أيدينا من مصادر .

وفي عهد المأمون - أيضاً - ظهر يُعفر بن عبد الرحمن الحوالي الذي نسبت
إليه الدولة ، وأصبحت تعرف بالدولة (اليُعفرية) . وقد ظهر باعتباره زعيماً
من زعماء (آل حوال) ساعياً إلى الانفصال عن الدولة العباسية وإقامة دعائم
دولة قبلية جديدة ، وقد أعلن عن ذلك في شهر رمضان ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م^(٣) ،
وسعى إلى تحصين نفسه ، فبنى قلعة (بشام) وجعلها لتتسع للآلاف من الرجال
والدواب ، وبنى حولها سوراً محصناً^(٤) . ولم يأت عهد المعتمد

(١) الهمداني ، الإكلیل ٢١٣/١

(٢) الهمداني ، الدامغة ٤٦٧ ، ٤٦٨

(٣) الحمدي ، الإكلیل ٧١٢ ، ٧٢ . وكانت عاصمته دونند في اليمن . دولة (آل شترحي) في
(عركبة) ناحية (تهامة) ودولة (المناخين) في الجنوب (الهمداني ، الإكلیل ٦٦/٢) .

(٤) ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ١١٣ . الهمداني ، صفة جزيرة العرب ٢٣١ . والإكلیل ١٥١/٨ .
شبهه تعرف شدم فيل وشدم خير وشدم كوكس لمتفرق بينهما وبين ثلاثة بلدان تحمل
لاسم دته . وشدم هما يقع سدم جبل كوكس في لعرب لشدي من صعداء عسافه ٣٤ ك
(الحجري ، مجموع بلدان اليمن ٤٤١/٢ . اللقحفي . معجم البلدان والقبائل اليمنية ٣٥٠) .

(٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٢٣ - ٨٤١ م) إلا وقد أصبح قادراً على المواجهة مع ولاية الدولة العباسية ومقاتلتهم^(١) .

وحينما تسلم الوثائق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤١ - ٨٤٦ م) مقاليد الحكم كان (يُعْفَر) قد صار متغلباً على مخاليف صنعاء^(٢) ، فاضطر الوالي العباسي (جعفر بن دينار) لعقد الصلح مع (يُعْفَر) وإقراره على ما تحت يده^(٣) ، وكان هذا الإقرار يعبر عن تفاقم قوة (يُعْفَر) من ناحية ، واستكانة الدولة للأمر الواقع من ناحية أخرى .

ويبدو أن الأحداث وشيخوخة (يُعْفَر) دفعت أبناءه للتربع على عرش أبيهم حتى صار محتفياً عن إدارة الدولة ، وأقوى أبنائه هو : محمد بن يُعْفَر الذي تغلب على الأمر^(٤) ، ولعل تغلبه الحقيقي والفعلي كان بعد أن خلع أخوه أحمد ، وقتل الخليفة العباسي المتوكل (سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) .

ولما تولى (المعتمد) الخلافة سنة ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م بعد فترة من الاضطرابات وعدم الاستقرار منذ مقتل المتوكل سارع محمد بن يُعْفَر وبإيعاز للمعتمد وخطب له ، فأرسل إليه الخليفة - مكافأة له - كتاباً في الحرم من سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م وبموجبه عين رسمياً نائباً على اليمن^(٥) . ليكون بهذا قد كسب شرعية البقاء من ناحية وشرعية المطالبة بمد سلطانه على بقية اليمن من ناحية أخرى ، ومن هنا سارع إلى

(١) الجندي ، السلوك (ق ٥٩) .

(٢) ابن سعد ، الطبقات ٢٤٧/٦

(٣) الجندي ، السلوك (ق ٦٠) . ومجهول ، تاريخ اليمن (ق ١٦٨ / أ ، ب) .

(٤) نشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٦٥ . الوصافي ، تاريخ وصاف ١٨ ، ١٩

(٥) الحدي ، السدوك (ق ٦٢) . مجهول ، تاريخ اليمن (ق ١٢٣ / أ) . والأكوع ، الوشائيق

السياسية ٣٣٤ . وكان محمد بن يُعْفَر على صلة خاصة بـموفق الذي كان يقوم بالأمر في عهد

المعتمد (انظر : الهمناني ، الإكليل ١٨٢/٢) .

بسط نفوذه على صنعاء وخند وحضرموت^١ ، وقد توسع سيطرته حتى أصبح أقوى قوة في اليمن ، ومما يوضح سعة ملكه ما وصل إليه من أرقام لإيراداته السوية ، فقد كل يصل إلى حزينه في الأسوع حوالي : (١٠٠٠) من الفضة وحدها ، ومقداره عتروا ألف درهم تقريبا ، ومعنى هذا أن يرده لسوي من الفضة كل بالتقريب ألف ألف درهم^٢ . (أي بالمصطلح حديث ميسور درهم) . هذا من الفضة فقط ، وهذا يعني أن الإيرادات الأخرى من ذهب ومزروعات ، وثروات حيوانية هي ضخمة ، تقيس إلى ضخمة لمبالغ الواردة من الفضة .

ومدت سيطرته على الرعمات القسبية في معظم بين ما عدا (المدحى) في (المديخرة)^٣ . وعمل على تتبع التحركات (النسيعة) و (الأخر) (السبعة) لإزالة عينية وجس زعماءهم^٤ . ولكنه ما لبث في خر عمره لعتل عن ممارسة حكم وثاب إلى الإخات ولتست فقرت إليه نعمه . وجمع كتب حديث^٥ . وخرج إلى مكة (حاد مستحف به برهم) . فم عاد بين عامي ٢٦٥ و ٢٦٨ هـ ٨٧٨ و ٨٨١ م لم يعد له في الحكم من حاحة^٦ . ليصبح به برهم هو المدير لأمور الدولة ، ولكن تقدر ممدل محمد بن يغفر من جهه لمدل دولة الإخوانين قبل اسمه إبراهيم حمد كل ما ساء نوه وحده . فقد قتل أبه وعنده

(١) الجندي ، السلوك (ق ٦٢) . ونشوان الحميري ، ملوك حمير وأقبال اليمن ١٦٥

(٢) الحمداي ، الجوهرتين العتيقتين ٤٦

(٣) الحمداي ، الإكليل ٣٧٩/٢ . والحمداني ، صفة جزيرة العرب ٢٠٦ ، ٢٠٧ . ونشوان الحميري ،

ملوك حمير وأقبال اليمن ١٦٥ ومنهم (آل الهزلي) بحضرموت و (آل المكرمان) (ببيحان) ،

و (آل الكرندي) في (العافر) ، و (آل الزوية) في (مذبح) ، و (الدعام) في همدان

(٤) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ٤٥

(٥) الحمداي ، الإكليل ١٨٢/٢

(٦) القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ٤٢ . والجندي ، السلوك (ق ٦٠) .

٢٧٠ هـ . في لحظة سكر^(١) - كما تزعم الروايات - والأقرب للصواب أن سبب قتلها
يمكن في شخصية إبراهيم المتجبرة الطاعية .

وبالرغم من هذا فقد أقرته الدولة العباسية على الين بعد أبيه . إلا أن حكمه
الغاشم لم يؤهله للبقاء . وخرجت الشكوى إلى الخلافة العباسية . فُرسل
(الموفق) رسائل إليه يحاول كبح جماحه . وأرسل إلى بعض زعماء الين للعمل
على الخلاص منه مبرراً دعوته هذه بوصفه بأنه ارتكب المنكرات وأخذ أموال
الرعية وسفك الدماء^(٢) . وهو في الحقيقة كان كذلك بشهادة معاصريه . ومما
يضاف إلى تجاوزاته وحكمه الغاشم أنه غيّر نظام الزكاة وفرض على الين مئتي
ألف دينار^(٣) في كل عام كضريبة . مما أثار الناس ، فأدى هذا كله إلى أن ابتعد
عنه الأعوان وانتقض ملكه . وأصبح كل زعيم من زعماء القبائل مستقلاً عن دولة
اليُفُفُريين^(٤) . وكان الدّعام بن إبراهيم الهمداني - وهو ممن راسله (الموفق) - من
أخلص المقربين إلى محمد بن يُفُفُر . ولكنه تصدّى لإبراهيم وتولّى زعزعة عرشه
واستلب ملكه وسيطر على صنعاء ، وتملك فيها . وجيبت إليه الين إلى ساحل
(عدن)^(٥) ، وباسمه لا باسم الدولة العباسية .

ومن هنا لجأت الدولة العباسية ممثلة (بالمُوفق) الذي يدير الدولة باسم
الخليفة (المعتمد) إلى إرسال علي بن الحسين الوالي العباسي المعروف (بجفتم)

(١) الهمداني . الإكليل ١٨٣/٢ . وبعض الروايات تقول إن الذي دفعه إلى هذا جده يعفر
(الخزرجي . الين في عهد الولاة ١١٢ ، ١١٣) وهو أمر غير مقبول لأن الهمداني لم يشر إلى
شيء مثل هذا وهو الأقرب عهداً والأعرف بتاريخ دولة (آل يُفُفُر) .

(٢) عجول ، تاريخ الين (ق ١٤٢ ، ١٧٣) . والأوكوع ، الوثائق السياسية اليمنية ٢٢٦ ، ٢٢٧

(٣) ابن رسته ، الأعلام النفيسة ١١٢ ، وقد اعتبر الذي قام بهذا الفعل هو ابن يُفُفُر ولكن كتاب
تاريخ الين (ق ١٢٩/أ) حدّد الاسم بأنه : إبراهيم أبو يُفُفُر وهذا هو الأصح .

(٤) الخزرجي ، الين في عهد الولاة ١١٢ ، ١١٣

(٥) الهمداني ، الإكليل ١٧٩/١٠

ليحافظ على ما يمكن المحافظة عليه من الولاء للدولة العباسية .

ولم يصل (جفتم) إلى لبنان إلا وقد تغيرت أوضاعه . فقد تملاً بعض موالي (آل يُعْفَر) على قتل إبراهيم فقتلوه في (شبام) في محرم من سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م . وتولى مكانه ابن عمه عبد القاهر بن أحمد ، ودخل (جفتم) صنعاء وكان في مبدأ الأمر على وفاء مع (السَّعد) إلا أنهم اختلفوا فتقاتلوا . وكانت الهزيمة من نصيب (السَّعد) واستقر (حُفتم) يحكم صنعاء حتى سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م عندما عاد إلى العراق دون أن يسري سبب ذلك^(١) . إلا أن استنتاج من لوضع العدن احتلالاً تم . حصل في اليمن لم يكنه من بسط سلطانه وفرض إمارته عليه مما جعله يعود إلى العراق .

وفي هذه الأثناء كانت قوة منصور الين قد تعظمت واستغل وضع (آل يعفر) المضطرب فهاجمهم في عقر دارهم (بشبام) ، وقتل عبد القاهر بن أحمد بن يعفر^(٢) ، وانتقلت قيادة (آل يُعْفَر) إلى أسعد بن إبراهيم وعثمان بن أحمد وأقرهما المكتفي (٢٨٧ - ٢٩٥ هـ - ٩٠٠ - ٩٠٧ م) على ولايتهما^(٣) . إلا أنهم لم يكونوا على وفاء . ولهذا كانت هذه الحقبة الممتدة من عام ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م بعد مقتل إبراهيم إلى عام ٣٠٤ هـ بعد سقوط (المذخرة) والقضاء على دولة الين الفصل هي حقبة مضطربة غير مستقرة (آل يُعْفَر) . فقد كان الصراع متشعباً بين أسعد وعثمان^(٤) ، ثم كان الصراع محتدماً بينهما وبين (منصور الين) في

(١) مجهول ، تاريخ الين (ق ١/٢٩) . والهمداني ، الإكليل ١٨٠/١٠ ، ١٨٢ . والخزرجي ، الين في عهد الولاة ١١٤ عاد (جفتم) مرة أخرى إلى الين في عهد المكتفي (انظر : ص ١٩ من هذا البحث) .

(٢) الهمداني ، الإكليل ١٨٣/٢

(٣) مجهول ، تاريخ الين (ق ١/٢٤ ب) .

(٤) المصدر نفسه (ق ١/٢٩ أ) حيث تخلص منه أسعد بعد قتل (جفتم) سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م . والعلوي ، السيرة ٣٨٨ . وكان هنا سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م

معرب صنعاء^(١) . وحرّج عن (آل يُغفر) مؤنّسهم (آل طريف) الذين تعمّسوا
على صنعاء^(٢) . وكان (آل بُروية) مدحجيو قد تعمّسوا على صنعاء بعد لوقت
قصير^(٣) .

كذلك كانت دولة الهادي قد نشأت في صنعاء ، ثم اتجهت نحو صنعاء ،
وتغلّبت عليها فعلاً ، وطاردت (آل يُغفر) وأخذ كل من أسعد وعثمان سجينين
عند الهادي ، ولم ينقذهما إلا خصمه القديم وهو (الدّعام)^(٤) .

ومن أخواب كانت لقرمطة تضيق على صنعاء ، وحرّحو منها (آل يُغفر)
كما ذكرنا نادياً^(٥) وضلّت صنعاء في فتن متوالية حتى أن السلطة حاكمة فيها
كانت هويتها الخاب إلى فرض (خطر التحول)^(٦) . فمع الخروج من الممار
من بعد صلاة العشاء حتى الفجر^(٧) ، وتشرّب الخدع واستعملت التحجّر
لعرقون وفارس ولشامون ومنهم من فرّخو من وراءه لأرباح بضاعة^(٨) .

في هذا الجو المضطرب لم يكن (آل يُغفر) دولة بالمعنى الصحيح لأنهم تخلّوا
تحت وطأة الهزائم - حتى عن (شبنم) عصمة ملكهم . ولكن في هذه الظروف
كان أسعد الخواوي يعمل جهده لجمع الشمل وإعادة ملكهم فقد تخلص من ابن عمه
عثمان بن أحمد وحاول طرد لقرمطة من صنعاء سنة ٢٩٧ هـ - ٩٠٩ م^(٩) .

(١) الهادي ، كشف أسرار الباطنية ٢٦ ، ٢٧ .

(٢) الهمداني ، الإكليل ٢٣٩/٢ (الهامش) و ١٨٢/١٠ . والعلوي ، السيرة ٢٤٥ ، ٢٥١ . ومجهول ،
تاريخ الين (ق ١٢٩/أ) .

(٣) ابن أبي الرجال ، مطلع البدور ١٢٩/١ .

(٤) الهمداني ، الإكليل ١٨١/١ ، ١٨٢ ، ١٨٥ . والعلوي ، سيرة الهادي ١١١ ، ٢٥٠ ، ٣٩١ . توسط
(الدّعام) لها عند الهادي فأطلقها .

(٥) انظر : ص ٣٨ من هذا البحث .

(٦) ابن رسته ، الأعلام النفيسة ١١٣ .

(٧) الهمداني ، الجوهرتين ٤٧ .

(٨) مجهول ، تاريخ الين (ق ١٢٩/أ) .

وصححت له دلة عند المذبح الذي كان له مكية عند المذبح^(١) . وتلقى عهد من الخليفة العباسي المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٧ - ٩٣٢ م) يقلده فيه « أعمال حرب وبنوعين والأحداث جميعاً » . وهمج . ومنذخرة . ومجلفينها . وعس . وأبين ولحج وما يتصل بها »^(٢) .

ومع هذا كله فقد خضع مقهوراً لعلي بن الفضل عام ٢٩٩ هـ / ٩١١ م ، بعد أن دخل صنعاء للمرة الثانية ونجح أسعد خوئي - ابن علي بن الفضل - على صنعاء وقطع الخطبة لبني العباس^(٣) .

ولكن بالرغم من ذلك فقد تهيأت ظروف ونعوامل لأسعد خوئي لكي يغير هذا الوضع وليعيد لنفسه السيادة على معظم اليمن .

فأدبر بن المهدي ترابطه بأسعد خوئي علاقات وذية^(٤) . ومنصور بن ودوئته في (مسور) في عداء مستحكم لابن الفضل ودوئته . وقادة (تهامة) التابعين لموئي العدسي في (مكة) يأمنون في التحلص من (ابن الفضل) بتقدم منه . وم من قبيلة من القبائل الممتدة من (حصرموت) حتى شمل صنعاء . ولا وتضررت من الاحتياج (القرمطي) بقيادة (ابن الفضل) . ولذا كانت تنتظر من يتصدى له كي تقف إلى حواره . وأخيراً توجت هذه العوامل بوفاء ابن الفضل حيث كان هذا الحدث هو الحافز الأخير للاجتماع والتقدم صوب (المذبحرة) - مركز ابن الفضل - وتزعج أسعد خوئي هذا لتجمع وبحث إليه القيسيين ولا دون . وحدثته الموت القسوية من كل صوب . وضرد القرمطة عدما كاملاً من ٩

(١) المهدي ، الإكليل ١٨٥/١

(٢) مجهول ، تاريخ اليمن (ق ١٢٣ ب) . الأكوخ ، الوثائق السياسية ٢٢٧

(٣) الجندي ، السلوك (ق ٦٦) . الخزرجي ، المسجد المسبوك ٣٩ . والرازي ، تاريخ صنعاء

٣٠٩ ، ٣١٠

(٤) سبق أن ابرزت هذا الجانب في ص ٢٩ من هذا التمهيد .

رجب سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م حينئذ خرج أسعد من صنعاء ، وحتى دخل
(المذْيَخِرَة) قهراً في ٩ رجب سنة ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م ^(١) .

وعادت السيطرة لأسعد الحوالي على معظم الأراضي الواقعة حول صنعاء
وجنوبها ، حيث رتب الولاة وأعاد الزعماء القبليّة التي حرمت من زعامتها
بظهور ابن الفضل ، وأصبح ملكه ممتداً من حضرموت جنوباً حتى صنعاء شمالاً
ماعدا (صعدة) التي كانت تحت دولة ابن الهادي ، و (تهامة) التي كان عليها في
هذه الحقبة قواد من قواد سلطان (مكة) التابع للعباسيين ^(٢) ، وكان (أسعد)
نفسه يقدم ولاءه للعباسيين ، ويخطب باسمهم ، ولذلك كتب بعد فتح
(المذْيَخِرَة) إلى (المقدّر) يهنئه بهذا الفتح الذي هو نصر لأمر المؤمنين ودفاعاً
عن دولة الخلافة ^(٣) .

وبعد هذا الحدث نستطيع أن نقول في الطمئنان : لقد تلاشت دولة آل يُعْفَر
الأولى على إثر مقتل إبراهيم بن محمد بن يُعْفَر . وبدأت دولة آل يعفر الثانية على
يد أسعد الحوالي من مطلع القرن الرابع الهجري ، ولم يستقر في (شبام) كما كان
أبوه وجده بل اتخذ (كَحْلان) مقراً له وحصنها ، ثم انتقل إليها سنة
٣٠٦ هـ / ٩١٨ م وظلّ فيها حتى توفي سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م ^(٤) .

(١) العلوي ، سيرة الهادي ٣٩٨ - ٤٠٣ . وشوان الحميري ، الخور العين ٢٠٠ . والوصافي ، تاريخ

وصاب ٢٥ . وابن الديبع ، قرة العيون ٢٠٧/١ - ٢٠٩ . ويحيى بن الحين ، غاية الأمان ٢٠٩/١

(٢) الخزرجي ، المسجد للسبوك ٤٥ . ويحيى بن الحين ، غاية الأمان ٢٠٦/١

(٣) مجهول ، تاريخ الين (ق ١٣٥) . وانظر : الأكوع ، الوثائق السياسية اليمنية ٢٤٢ - ٢٤٦

(٤) العلوي ، سيرة الهادي ٤٠٤

رسم كحلان : وهي مترك لعديد من المدن موحودة في الين ولندي يعيب ، هــ كحلان
حضور قرية من عزلة الثلث ناحية الرضمة ، بالشرق من يريم ، لمسافة ٢٣ كم ، وفي هذه
منطقة حص يمال له (كحلان حـ) ويسمى (كحلان الحداد) وكان أول من حسده أسعد
الحوالي . وهو من أمع حصون الين ليس له إلا طريق واحدة (الحجري . مجموع بلدان الين
٦٦٢/٢ ، للقحفي ، معجم البلدان ٥٥٠) .

ولم يعكر صفو ملكه إلا حسان بن عثمان بن أحمد بن يُعْفَر الذي كان يرى أن أسعد سلب ملك أبيه ، ولا بدّ من إعادة ماسلب منه ، وقد بدأ عمله والياً من ولاية أسعد ، ثم تحرك يجمع القبائل ويعطي لهم الأموال . واستولى على (نجران) التي كانت تحت حكم (الناصر) . وقد دارت مواجهات بينها . ثم انتهر (حسان) موت (الناصر) في سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م فتوجه إلى (صعدة) . واستولى عليها وطرّد أبناء (الناصر) ، وهنا دارت المعركة بين (أسعد) . وبين (حسان) بواسطة أبناء (الناصر) أنفسهم ^(١) .

ولكن (أسعد) لم يكن متحمساً للاستمرار فاستقرّ في (كحلان) . واكتفى بما قد فعله في مستقبل العمر ، وقرر الاحتجاب عن الناس إلا عن المقربين إليه إلى أن توفي سنة ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م ^(٢) .

وبوفاته اضطرب الأمر على بني يُعْفَر ^(٣) إلى أن قام عبد الله بن قحطان الحوالي ليجدد للدولة اليعفرية شبابها ، فوحد ما كان قد تفرّق من ملك (آل يعفر) ، واستولى على (صنعاء وكحلان) ، ثم توجه نحو (زبيد) وأخضعها سنة ٣٧٩ هـ / ٩٨٩ م ، وخطب للمعز الفاطمي - صاحب مصر - واكتسح (مخالف جعفر) ^(٤) . وما لبث أن وافقته المنية سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م ليأت ابنه

(١) الحمداني ، الإكليل ١٨٨٢ . ومجهول . تاريخ اليمن (ق ٩٣ - ب ١٩٦) . ومستم النحوي . كتاب من أخبار الزيدية (ق ٤٠ ب) .

(٢) السعودي ، مروج الذهب ١٩٨/١ ، ١٩٩ .

(٣) الواسعي ، تاريخ اليمن ١٥٧ .

بعد أن توفي أسعد قام بعده ابنه سبعة أشهر . ولم توفي نورع ملكه بين (مولى) لأن يعمر يسمى (علي وردان) ، وأمر س أبي الفتوح الحوالي ، وبني الصحاك ، ولم مات علي وردان سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م أصبحت السيادة لابن أبي الفتوح إلى أن قام عبد الله بن قحطان .

(٤) الخلاف جمعه محاليف وهي عند أهل اليمن كالأجداد لأهل الشام ، والكور لأهل العراق . والرسانيق لأهل الحمال (ابن منظور ، لسان العرب ١٢٣٥ ٢) . ويشه الإقليم أو الحفظة أو اللواء حالياً .

أسعد) وقد دار رعية منه للإمام القاسم العياني الزيدي وخطب له صنعاء .
وم. لم تأسد مات سنة ٢٩٢ هـ ١٠٠١ م لتكون السيطرة المباشرة لمتيبار
الزيدي^(١) ، ولتنتهي دولة آل يعفر تماماً .

م. آل الضحالك الحمدانيين الذين كل مقرهم (ريدة) ، فكانوا من أكبر
مؤنسين لآل يعفر ، وحكمة بعد وفاة (أسعد بن أبي يعفر) ، وكانوا يندولون
معهم لسيطرة على صنعاء ومع حولانيين الذين كانوا في شرقي صنعاء وسلاط
حولان . وشركتهم لقوى لزييدة متفرقة سواء بوسف المدعي (أو) القاسم
العياني^(٢) .

وعل أحسن تصوير لحال صنعاء في أواخر لقرن الرابع مذكره ابن
أبي الرجال^(٣) حيث قال : وكانت صنعاء وعمالها (كأخرقة) أخيراً بين
(لأجداء) ^٤ كل سنة أو شهر سلطان عائب عليها حتى ضعف أهلها
وانتجعوا إلى كل صقع ، وتولى عليها أخرب وقلة العمارة في كل أربعين من
الهجرة حتى انتهى عدد دورها إلى حونيف وألف دار فقط بعد أن كانت دورها
في كل المائتين من الهجرة في زمان هارون الرشيد وابنه لمأمون نحواً من مائة ألف
دار وعشرين ألف دار .

(١) الجرافي ، المقطف ٦٢

(٢) الحزرجي ، المسجد المسبوك ٤٦ . وابن الديبع ، قرة العيون ٢٢٠/١ - ٢٢٤ . ويحيى بن
الحسين ، غاية الأمان ٢٢٢/١ ، ٢٢٣ . والحمداني ، الإكليل ٦٧/١٠ . والرازي ، تاريخ
صنعاء ٥١٦

(٣) مطلع البدور ٥٥/٤

(٤) الأجداء : جمع جد وهو لذكر من ولاد مدخر . وجمع جد على أحد واحد ، ابن لعر
٥٧٢ . وأخرقة الحمراء هي مدخل أحر ستخدم عند مصارعة لثبر . لأن لليون لأحر
يبيجها ، ويبدو أن الجداء كذلك ينجها اللون الأحمر فتتقص عليه تمزيقاً وتقطيعاً .

ثانياً - غربي صنعاء

هذه الجهة تعورنها في القرون لتلت وربع لمحررين قوتس قميتس بعد انتهاء النفوذ العباسي المباشر أو غير المباشر :

حدهم : قوة آل ريد ، وسنفرده هؤلاء دراسة حصة تتحرى فيها نشأته ودوره وسندف من حلاله إلى بعض القوى القسمة التي كان لها وجوده ومشاركته في بسط النفوذ على تهامة ومنها :

والقوة القبلية الأساسية الأخرى هي : قوة السباعيين الذين حكموا إلى عيين في نفوذهم بعد تقصير الإمارة عيين ونسحبهم إلى حرار ، وكان إبراهيم بن عبد الحميد السبعي الدور الأكثر في سيطرة على معرب صنعاء وربط العلاقات ودفع آل ريد من تهامة وحضب إلى السباعيين وسبع الإمارة عينية قتلا وتثريم ، ولكن سرعان ما حثف مع آل ريد واستقر عنهم ، وما جاء منتدب بن إبراهيم بن عبد الحميد السبعي صل على سياسة أبيه إبراهيم في تتبع الإمارة عينية ، وبن عمر في وأحرار يمه على الاتصال بالمعاطمين في مصر مرة أخرى^(١) .

ثالثاً - جنوبي صنعاء

كانت المنطقة الواقعة جنوبي صنعاء تتحكم فيها أكثر من قوة قبلية ، كل قوة أخذت لها جزءاً من هذه المنطقة ، ففي أقصى الجنوب في منطقة حضرموت كانت تابعة للولاة العباسيين ، ولم أرادوا الخروج عن آل يُعفر - المثلين للعباسيين - عملوا على إخضاعهم وإعادتهم إلى الحظيرة العباسية ، فكانوا تحت ال زياد تارة

(١) الحمادي ، كشف أمرار الباطنية ٤٠ ، ٤١ . يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ٢٢٠/١ ، ٢٢١

وتحت آل يعفر تارة أخرى^(١) . ودخلوا أيضاً تحت النفوذ القرمطي حينما اجتاحتها معظم المناطق الجنوبية لليمن .

وإلى جوار ذلك وجدت بعض القبائل التي اتخذت لها كياناً وكان لها وزن في إدارة حلبة الصراع في هذه الحقبة . هذه القبائل أو القوى هي : المناخيون وآل الكرندي والوائليون والمخائيون ، وبنو الهيثم .

فأما المناخيون :

فهم ينتسبون إلى (ذي مناخ) أحد ملوك حمير^(٢) . ويطلق عليهم (الجعافر) ملوك (الكلاع) في الإسلام ، ويشتهرون (بالتجعفر) في الجاهلية والإسلام^(٣) ، ولا غرابة إذن أن ينسب إلى أحد (جعافره) مخالف جعفر أحد (مخالفيف) اليمن المشهورة^(٤) .

وبينما كانت قوة (الحوالمين) في (شبنام) في الشمال الغربي لصنعاء . كانت قوة المناخين تتواكب مع ظهور (آل حوال) في العقد الثاني من القرن الثالث الهجري . وبالتحديد فقد كان إبراهيم بن جعفر المناخي في سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م متصدراً لمناوأة الخليفة المأمون العباسي في أغلب المناطق الجنوبية لصنعاء ، حتى

(١) الكمي ، اللطائف السية في أخبار الممالك البسية ١١ ، واس زكن ، حواهر تريح الأحفاف ٢٣/٢

(٢) نشوان ، ملوك حمير ١٦٧

(٣) الهمداني ، الإكليل ٩٣/٢ ، ٩٤

(٤) نسب نشوان في المصدر السابق ومن تبعه مثل الحرجي في العسجد المسوك ٣٩ ، نسوا مخالف جعفر إلى جعفر بن إبراهيم الذي كان معصراً لعلي بن الفضل وقتل على يده . ولكن لهمداني في الإكليل ٩٣/٢ يؤكد أن أسرته يطلق عليها لقب جعفر ، فلا مانع أن يكون اسم المخلاف قد أخذ من اسم الأسرة نفسها .

أما الكلاع : فهي قبيلة من قبائل حمير ، وأطلق الاسم على بلاد كبيرة في سروحير ، وتقع حالياً في محافظة إب (الحجري ، مجموع بلدان اليمن ٦٦٥/٢) .

غزا (الجند) وسيطر عليها بعد إخراجها وإجلاء أهلها ، وذلك في رمضان سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م ^(١) .

وكان (المناخيون) هم القوة التي لم تدخل تحت طاعة الخلفاء العباسيين ^(٢) ، وظل إبراهيم بن جعفر مناوئاً للولاة العباسيين طوال حكمه ^(٣) .

ثم خلفه ابنه جعفر الذي حكم قرابة ثلاثة وأربعين عاماً من سنة ٢٤٩ هـ / ٨٦٣ م إلى سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م . حينما قتل على يد علي بن الفضل القرمطي ^(٤) .

وكان (جعفر المناخي) من القوة والشراسة بحيث أصبح مرهوباً غالباً في معظم الأحيان ، وكان يعاقب عقاباً غاشماً ^(٥) ، وكانت له وقعات مع (الحواليين) نال في معظمها النصر والتكين ^(٦) .

مع العلم أن (المناخين) كانوا على وفاق مع الهادي إلى الحق العلوي . لقرباتهم بالمصاهرة من قبائل صعدة الموالية له ^(٧) ، ولميل (جعفر) الواضح للتشيع ، وقد ظهر هذا في قصيدة فخر أنشأها من مائتي بيت يشيد فيها (بآل البيت والعتره) .

أما علاقته بعلي بن الفضل فكانت علاقة مصلحة محضة في بداية الأمر ، فقد

(١) الرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ، ٢١١ . والحندي ، السوك ٥٩ . ويحيى بن الحسين ، عاية الأماني ١٤٨/١ ، ١٤٩ .

(٢) نشوان ، ملوك حمير ١٦٧ . الوصافي ، تاريخ وصاب ١٠٢ .

(٣) الجندي ، السوك ٥٩ .

(٤) الخرجي ، العهد المسوك ٣٩ . وفي الإكليل للهمداني ٩٣/٢ ملك قرابة خمسين عاماً .

(٥) الحمادي ، كتف أشرار الباطنية ٢٩ . يقال إنه قطع أيدي ثلاثمائة رجل دفعة واحدة .

(٦) المصدر نفسه ٣٠ . والجندي ، السوك (ق/٥٩) .

(٧) العلوي ، السيرة ٢٤٠ .

كان (جعفر) في عدااء مع (ابن أبي العلاء) أمير (الحج) ، وحينما ظهر علي بن
 'فصر كانت أول قوة وجهها هي قوة ابن أبي العلاء ، فدخل جعفر مع
 بن الفضل في تحالف ضد عدوهم المشترك على أن يقتصم الغنم بالسوية ، ولكن
 هذا التحالف انتهى إلى صراع مرير ، ثم طرد جعفر من مقر ملكه (المدخنة) ،
 حتى خاض (تهمة) طلب المدد لدي لا يمنع عنه قدره حيث سقط قتيلًا في عام
 ٢٩٢ هـ في آخر معركة له مع علي بن الفضل ^(١) .

وبسقوطه انتهى عهدهم لذهبي ، ولم تنفع المحاولات التي قام بها أولاده من
 بعده لإعادة ميث بآئهم ، فقد قتل أحدهم على يد (لقرامطة) وهو في طريقه
 إلى لعرق ، مستجدًا بخليفة العباسي (المكتفي) ، واستقر بعضهم في صنعاء
 عازقًا عن الملك ، وانضم الآخرون تحت لواء أسعد بن أبي يعفر الحواري حينما عمر
 على محاصرة (المدخنة) ، وعلى الرغم من عدتهم إليهم بعد فتحها ، إلا أنه لم
 يعد لهم ملك ظاهر ، وإن كانوا قد استمروا كما قيل حتى رُفِعَ عبي بن محمد
 الصليحي في القرن الخامس الهجري ^(٢) .

آل الكرندي :

هم من ولد أبيض بن حمال المأربي ^(٣) ، من جهة النساء ، أم من جهة الآباء
 فهم من (بني ثمة) من ذرية (سب الأصغر) ، وهم ملوك (المعافر) ، ولعلهم
 كانوا أصحاب ملك وسلطان ، في عهد الهمداني حتى بداية النصف الثاني من القرن

(١) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٢٨ - ٣٠ . والهمداني ، الإكليل ١٩٣/٢ . والحزرجي ، المسجد
 السبوك ٣٩ . وابن الديبع ، قرة العيون ١٩٢/١ ، ١٩٣ . وجعل قتله عام ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م .

(٢) الهمداني ، الإكليل ٩٣/٢ - ٩٥

(٣) نشوان الحميري ، ملوك حمير ١٦٧ . والهمداني ، الإكليل ٩٥/٢ (تعليق الأوكوع) .

(٤) أبيض بن حمال المأربي أحد أصحابه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،
 وينسب إلى مدينة مأرب . (الهمداني ، الإكليل ٢٤٠/٢ . ونشوان ، ملوك حمير ١٧٠) .

الرابع لهجري لأنه أنشأ قصيدة في مدح أحد ملوكهم^(١) ، وقد انتزع علي بن الفضل ملكهم ، فانضموا إلى آل يعفر ومن حالفهم للقضاء على قوة ابن الفضل^(٢) . فاستعادوا مملكتهم في كل من (المعافر) ، و (لحج) ، و (الجند) ، ولا يبعد أن ولاءهم كان (للحواليين) في حال قوتهم .

ودام ملكهم إلى ما بعد انقضاء المئة الرابعة ، ولم ينزع عنهم الملك إلا (آل الصليحي)^(٣) ، في النصف الأول من القرن الخامس الهجري .

ولكن - للأسف الشديد - لا نملك أي معلومات عن هذه الدولة ولا اسم واحد من ملوكها ، أو وجهائها ، لأر المصدر التي بين أيدينا ليس فيها من المعلومات أكثر مما ذكرنا آنفاً .



وكان بحوار الكرنديين بعض القوى القبلية الصغيرة التي كانت تمارس سلطانها بعيداً عن التبعية لأي قوة أخرى ، وتدرية يمثلون بعض القوى ذات التأثير والنفوذ في البلد .

فالوالمليون : هم بطن من (ذي الكلاع) من (حمير) . وكان مقرهم في (مخلاف شاحط)^(٤) ، وقفوا مع (الحواليين) لاستئصال شأفة علي بن الفضل ثم دانوا لهم .

(١) الهمداني ، الإكليل ٣/٢٤١ ، ٢٧٩

(٢) ابن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن ١٠٥

(٣) الوصافي ، تاريخ وصاب ٢٠ . وابن خلدون ، التاريخ ٧/٤٧٥ ، ٤٧٦ . والعريشي ، بلوغ المرام في شرح ملك الحتام ٢٠

(٤) ابن خلدون ، التاريخ ٧/٤٧٩ . وشاحط : مدينة باليمن ولها عمل واسع ، ياقوت الحموي . معجم البلدان ٣/٣٠٤ ، وجاء في مجموع الهجري ٣/٤٣٩ أن شاحط بلاد ريمة ولا أطن هذا صحيحاً . وإنما هي من أعمال العدين (معجم المتحفي ٣٤٥) لأن العدين هي نفسها مركز بلاد الكلاع .

ولقد شاركهم هذا الموقف (الأنبوع)^(١) ، وهم قوم من قبائل حمير ،
ويقطنون سروحير^(٢) ، ويطلق على تجمع قبلي وليس على عشيرة مفردة^(٣) .

وفي (التّعكر) - ويسمى اليوم جبل (شمسان) في (عدن)^(٤) - كان
المخائيون الذين أصبحوا ممثلين (للحواليين) بعد سقوط القرامطة ، ثم خلفهم
(بنو الهيثمي) من عام ٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م ، وسرعان ما شكلوا قوة مستقلة أطلق
عليها مصطلح الدولة ، حيث استمرت خمساً وثمانين سنة^(٥) . وما ذلك إلا بعد أن
ضعف النفوذ اليعفري بعد وفاة أسعد الحوالي .

رابعاً - شرقي صنعاء

أما في شرقي صنعاء فقد تحدثنا عن زعامة (الدعام) لبعض قبائل همدان ،
ونفوذ (آل الضحّاك) الهمدانيين الذين تناوبوا السيطرة على صنعاء والوصول إلى
مشارك صنعاء . وظهرت إلى جوارهم زعامة خولانية تولّاها الأسمر (أو
أسعد) بن يوسف بن أبي الفتوح الخولاني عام ٣٤٥ هـ الذي تولى النفوذ على
صنعاء ومشرقها متحالفاً تارة مع دعاة الهادوية وتارة يختلف معهم وقد دخل
صنعاء سنة ٣٥٨ هـ . وظل في صراع مرير مع من حوله من القوى إلى أن قتل

(١) ابن سمرّة ، طبقات فقهاء اليمن ١٠٥

(٢) يدعى همدى في الإكليل ٤٤٩ ، ٢ على . لكثير من قبائل حمير تأتي على صيغة . فعول
ويؤكد نقدي بن عبد لاكوع على . صيغة . لافعول هذه الصيغة لاستعمال في مراكز
القبائل الحميرية (مجلة الإكليل عدد ٢ ص ٩) .

(٣) الهمداني ، الإكليل ١٢٤/١

(٤) عمدة . تاريخ اليمن ١٦٤ . عبق الأنبوع . وشعكره غير حسن . تعكر سدى عى في رمن
ذي الكلاع من مخلاف جعفر (انظر : المقحفى . معجم البلدان ١٠٨) .

(٥) ابن سمرّة ، طبقات فقهاء اليمن ١٠٥ . والهمداني ، الإكليل ٢٢٩/١

على يد غلمانه سنة ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤ م^(١) ، وبجوار خولان شرقاً ظهرت زعامة مذحجية اتخذت من مأرب مقراً لها ، وكان سيدها (أبو العشرة) ، وأخوه (الربيع) ابني (الروية) ، وهم أصحاب رئاسة من أيام الجاهلية ويشتهرون بدار للضيافة وبمناجم للذهب التي لا يشاركون فيها أحد^(٢) .

ولكن هذه المناجم - والمعروفة بمعدن الرضراض - نكبت سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م بالخراب والدمار والنهب بعد مقتل محمد بن يعفر الحوالي ، فهرب العمال الذين كان ابن الروية يستخدمهم وجلهم من الفرس وتفرقوا في البلاد ، بل إن المزارع التي كانت مصدراً رئيسياً لصنع أصيبت هي الأخرى بالخراب في هذه الفتنة^(٣) .

وكان (ابن الروية) ممن وقف إلى جانب الهادي إلى الحق وناصره وأزره وجهاز جيوشاً - بمساعدة (المناخين) - قتلت معه ، وتصدى (لال الدعام) في عهد (الناصر) ، وأحبط ما كانوا يحكيونه من مؤامرات ضده^(٤) .

ولا ندري إلى متى استمر ملكهم لشح المصادر التي تمدنا بالمعلومات الكافية .

خامساً - شمالي صنعاء

فبالطبع أن شمالي صنعاء وبالذات في صعدة كانت الدولة الهدوية التي استمرت تتخذ منها عاصمة لها وتمت نفوذها حينئذ إلى صنعاء جنوباً ، وخراسان شمالاً . ولكن إلى جوار هذه القوة التي استمرت طوال القرنين الثالث والرابع الهجريين كانت هناك قبائل همدان كال دعام وال ضحاك وقد تحدثت عنها

(١) ابن أبي الرجال ، مطلع البدور ٥٥/٤ . الواسعي ، تدريخ اليمن ١٥٧ ، يحيى بن الحسين ، غاية الأمان ٢٢٢/١ - ٢٣٤

(٢) ابن رسته ، الأعلام النفيسة ١١٣ ، والعلوي ، السيرة ٢٤٠ ، والهمداني ، صفة جزيرة العرب ٢٣٦

(٣) الهمداني ، الجوهريتين العتيقتين ٤٥ - ٤٧ ، وصفة جزيرة العرب ٢٢١

(٤) العلوي ، السيرة ٢٤٠ ، وابن أبي الرجال ، مطلع البدور ١٠٤/٢

نف ، بالإضافة إلى قبائل (خولان) ، وعى رأسهم ابن أبي لفتوح الخولاني .
لذين كان لهم نفوذ في الشمال والشرق من صنعاء ، ونضيف هنا قبيلة (جَمَاعَة)
من خولان . لذين كان لهم نفوذ على بعض القبائل من حولهم ، فيأخذون
الأتاوات منهم ، ويفرضون سلطانهم عليهم ^(١) .

وعلى الرغم من وجود قوة (الحوالبين) في صنعاء ، حيث كان يمتد نفوذهم
حيناً إلى صنعاء ، وتوجد دولة الهادي من أبنائه إلا أن قبائل صنعاء نفسها
لا تخلو من صراع مرير فيما بينها مثل (سعد) و (الربيعه) ، وقد أشرف إلى
ذلك سابقاً ^(٢) ، ولم يكبح جماح ذلك الصراع إلا الهادي إلى الحق ، وإن لم تدم
تلك الحالة حيث عاد الصراع في عهد بنيه وأحفاده ^(٣) .

وإذا امتد بنا السير نحو الشمال فإن قبائل (بني الحارث) و (يام) تقطنان
(نحران) ، فكانت (يام) ركيزة لدعوة الباطنية الإسماعيلية بغية القرن الثالث
وطول القرن الرابع ^(٤) ، بل لقد نسب إليهم - فيما بعد - فرقة من الفرق
(الباطنية) ، وهي فرقة (اليامية) ^(٥) .

وما (سو حارث) وعى رأسهم (بسو عبد مدان) ، فقد كان ولاؤهم
أخقيقى لبني لعاس ، وذلك لعدة أسباب ، منها : أن (أبا العباس السفاح)

(١) الحمداني ، الإكليل ٤١٨/١ ، ٤١٩ . نلفت نظر القارئ إلى أن (خولان) بطن من كهلان ،
ونفسه بن خولان قصعة وهؤلاء يفتضون السبل ويتحدون من صنعاء عاصمة لهم وحوالان
نعلانية و يفتضون نبرتي صنعاء . ومن أبي لفتوح من هؤلاء (انظر : ليس في صدر الإسلام
لصاحب هذه الدراسة ص ٤٠ إن شئت التوسع عن خولان) .

(٢) (انظر : ص ٢٦ من هذا البحث) .

(٣) مجهول ، تاريخ اليمن (ق ٩٢/ب) .

(٤) عمارة ، تاريخ اليمن ١٠٣ (تعليق الاكوع) .

(٥) الكرمل ، فهرس كتاب بلوغ المرام للعرشي ٣٤٤

كان متزوجاً من (بني عبد المدان) . ومنها أن (بني العباس) كانوا كثيراً ما يولون عمالاً على اليمين من (بني عبد المدان)^(١) ، ولهذا ناصبوا الهادي إلى الحق العدا ، وكانت أكثر حروبه معهم ، وكانوا يتطلعون إلى أي قوة تأتيهم من (بغداد) للانضمام إليها .

وبعد فيلاحظ القارئ أننا حاولنا تتبع شوارذ المعلومات والربط بينها لتجميعها والعمل على رسم الخريطة السياسية لليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، فأرجو ألا أكون قد أتعبت القارئ معي في هذا الجهد اللاهث .

(١) ابن أبي الرجال ، مطلع البدور ٨٧/٣

نشأة الدولة الزيادية

بين الحقيقة والخيال (*)

لقد اهتمت المصادر اليمنية بدولة بني زيد التي - كما حسبوا - كان لها نفوذ في تهامة منذ إشراقه القرن الثالث الهجري .

وأقدم هذه المصادر التي اعتمد عليها المؤرخون في بعد ، هو تاريخ اليمن لعمره اليمني (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م) ، وكل من جاء بعده نقل عنه حرفياً كل تفاصيل تاريخ بني زياد ، وفي طبيعة المؤرخين الذين نقلوا عن عمارة : الحندي (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) ، والخزرجي (ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م) .

وبالرغم من تقرير وموافقة المؤرخين اليمنيين المتأخرين لما جاء عند عمارة ، فإن الحقيقة التي ينبغي أن نفق إليها هي أن هناك الكثير من الأخبار والقرائن والدلائل التي تؤكد على عدم الوثوق بما جاء عند عمارة اليمني في روايته لنشأة هذه الدولة .

وقبل أن أورد هذه الدلائل التي تقرر هذه الحقيقة يحسن بنا أن نضع بين يدي القارئ صورة موجزة لأخبار الدولة الزيادية كما جاءت عند عمارة (١) والمصادر التي أخذت عنه وإليكموها :

(١) تحت سرفي عمدة لإكليل لبيبة لعبد لتاني ، لسنة لتسعة . (١٧) ص ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .

(١) - عمارة ، تاريخ اليمن ٢٨ - ٨٤ .

- والجندي ، السلوك ٦١

- والخزرجي ، المسجد المسبوك فين ولي اليمن من الملوك ٩٦ - ١٠٤

- والوصافي ، الاعتبار في التواريخ والآثار ٢٢ - ٢٦

في عام ١٩٩ هـ / ٨١٤ م قدم على المأمون - الخليفة العباسي - قوم فيهم بعض من بني أمية . وقد سلط عمدة الأنواء على ثلاثة منهم ، فسمى أحدهم [محمد] ونسبه إلى (زيد بن معدوية بن أبي سفيان) . وفي الثاني فله يسمه ، ولكنه نسبته إلى (هشام بن عبد الملك بن مروان) . ولا حرام يسمه أيضاً . ولكنه نسبته إلى (تغلب بن وائل) . وقد أكرمهم المأمون وعهد إلى وزيره برعايتهم .

وفي عام ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م ورد إلى المأمون كتب من عامل اليمن [يلاحظ أن العامل لم يعط له تعريفاً ولا ابناً] يخبره فيه بخروج (الأشعر وعث) في تهمة عن الطاعة ، فشير على المأمون أن يرسل الرجال لثلاثة هؤلاء إلى اليمن ليكون المنسوب إلى (زيد) أميراً ، والمنسوب إلى (هشام) وزيراً ، والمنسوب إلى (تغلب) حاكماً ومفتياً .

فخرج ابن زيد على رأس جيش وحج عام ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م وسار إلى اليمن ففتح تهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب بها (هكذا حروب بينه وبين العرب ، وكان هذا القادم ومن معه ليس من العرب) . واختط زبيدا في شعبان ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م ، وفي عام ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م حج من اليمن (جعفر) مولى ابن زياد (وهذا هو وزيره المنسوب إلى هشام بن عبد الملك ، ولا أدري كيف ورد اسمه هنا ، ثم كيف أصبح مولى ابن زياد ؟) .

المهم أن جعفرأ هذا خرج بعد الحج إلى العراق فالتقى بالمأمون وكرر راجعاً إلى اليمن عام ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م ومعه ألفان من الفرسان فعظم أمر ابن زياد وملك إقليم اليمن بأسره ، الجبال والتهائم . وقد نسب إلى جعفر هذا (مخالف جعفر) .

= - وباعزيمة ، تاريخ ثغر عدن ١٦/٢ ، ١٧ ، ٥٩ - ٦٢ ، ١٥ ، ٢١٥ ، ٢١٦ .

- وابن الجاور ، تاريخ المستبصر ٦٦ - ٦٨ .

- وابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ٥٤/٧ .

ثم سرد العديد من المدن التي امتلكها ابن زياد في التهائم والجبال حيث لم يبق من اليمن مدينة إلا استولى عليها .

وكان ابن زياد مرتبطاً بالدولة العباسية ارتباطاً اسماً ، حيث كان يذكر الخلفاء العباسيين في الخطبة . وقد خلفه من بعده إبراهيم بن محمد عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م . ثم ابنه زياد عام ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م ، ولم تطل مدة حكمه حيث خلفه أخوه أبو الجيش إسحق بن إبراهيم الذي دام ملكه ثمانين سنة !!! ولم يكبر وأسن وتشعبت عليه الأطراف وانفصل الأمراء المستقلين عنه ، ومنهم الهادي في صعدة . وتوفي أبو الجيش عام ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م وقيل عام ٣٧١ هـ / ٩٨١ م ، ولم يخلف رجالاً من صلبه ماعدا طفلاً اختلف في اسمه^(٢) كان في كفالة أخته ، وعبد لأبيه يدعى (رشيداً) ، ولهذا العبد (وصيف) يسمى حسين بن سلامة^(٣) ، الذي لقب بالقائد . ولما توفي (رشيد) تولى حسين بن سلامة القبض على زمام الأمور وعمل على إخضاع الأمراء المتغلبين على الحصون والمخالف ، وعادت إليه مملكة ابن زياد الأولى واختط مدناً مثل (الكدر ، والمنقر) . وقد دام في الملك ثلاثين سنة إلى أن توفي عام ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م .

هذا - باختصار - مآصيره عمارة (اليمن) ومن جاء بعده عن دولة (بني ريد) ، ولكن كل ما جاء في المصدر المعاصرة لهذه الحقبة أو المتأخرة من معلومات متناثرة تشكك في تلك الصورة إن لم تهدمها تماماً .

وسنحاول هنا تقديم هذه لإشارات وترتيبها لتكون دلائل بين أيدينا توصلنا إلى تقرير الحقيقة التي نتوخاها من الإدلاء بهذه الدلائل ورصدها .

(١) هذا لاختلاف حد من الصحيف في لمخوصات حيث سمع ونسج في رسمه حتى واحد ولعدم وجود نقاط الإعجام كان اللبس .

(٢) اسمه عبد الله ، وقيل إبراهيم ، وقيل زياد ، وأخته اسمها هند .

(٣) النسبة إلى أمه وهي من أصل نوبي .

وسنلاحظ أن بعضاً منها استخلص من نص عمارة اليني نفسه وبعضها من خلال
القرائن والدلائل الواردة في المصادر المتعددة .

إننا لونتبع المصادر الأولى التي أرخت للدولة العباسية واستقصينا أخبار
الدولة في عهد المأمون ، فإننا لن نجد إشارة - مجرد إشارة - إلى ابن زياد ، هذا
ضمن سلسلة ولاية المأمون على الين الذين بلغ عددهم أربعة عشر والياً ، ولم يذكر
منهم ابن زياد^(١) . كذلك لم يذكر في العهود التالية حتى عهد المعتمد (٢٥٦ -
٢٧٩ هـ / ٨٦٩ - ٨٩٢ م) .

وقد يرى البعض حجة تنقض هذا وهي أن ابن خلدون ذكر في تاريخه
تولية المأمون لابن زياد ، ولكن هذه الحجة تتلشى إذا عرفنا أن تشابهاً واضحاً
في العبارات الواردة عند ابن خلدون وعند عمارة اليني ، مما يدل على أن
ابن خلدون المتأخر زمنًا نقل عن عمارة نقلاً دون تحييص^(٢) .

وحيثما نتتبع - أيضاً على سبيل الحصر - جوانب الخارطة السياسية للين في
هذه الآونة فإننا سنصل إلى أكثر من حقيقة .

سنصل إلى أن إبراهيم الجزار الذي خرج في الين مؤيداً لمحمد بن إبراهيم
طباطبا الخارج على بني العباس في الكوفة عام ١٩٩ هـ / ٨١١ م استماله المأمون بعد
أن قضى على طباطب في الكوفة وولاه الين معطياً له بهذه التولية شرعية ممارسة
سلطانه باسم الدولة العباسية وقد رضي بهذا الوضع حتى عام ٢١٣ هـ / ٢٢٨ م^(٣) .

وسنصل إلى أن الحركة العلوية التي قامت في تهامة عام ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م

(١) ابن الديبع ، قرة العيون بأخبار الين للميون ١٣٨٢ - ١٤٩

(٢) تاريخ ٤٥٤/٧

(٣) الجندي ، السلوك ٥٩

- أي في زمن ومكان تواجد ابن زياد حسب رأي عمارة - ماتولى إنهاء وجودها
إلا الجيش الذي أرسله المأمون لأداء هذه المهمة^(١) ولم يكن لابن زياد ذكر فيه .

وسنصل إلى أن حركة التمدد التي قام بها أحمد بن محمد العمري^(٢) في همدان
أيام المأمون لم يعهد المأمون إلا إلى أحد قواده ليتولى التخلص من هذه الحركة
حيث أرسله إلى اليمن عام ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م كوالٍ عليها^(٣) . (ولو كان لابن زياد
وجود ما تجشم المأمون مؤونة التصدي لهذه الحركة) .

وسنصل إلى أن أكثر من قوة قبلية في هذه الحقبة كونت لها كيانات مستقلة
متميزة في مواجهة القوى الأخرى حتى قوة الدولة العباسية ، ولم تعرفنا المصدر
- حتى كتاب عمارة نفسه - أنها بالتحديد دخلت ضمن الدولة الزيدية .

من هذه القوى قوة (المناخيين) في (المذيخرة) ، فقد كان إبراهيم بن جعفر
المنخفي في عام ٢١٣ هـ / ٨٢٧ م مناوئاً للدولة العباسية في كثير من المناطق
الجبلية الوسطى من اليمن ، وزحف على مدينة (جند) - وكانت فيها الإمارة
العباسية - فأخربها وقتل الأمير العباسي^(٤) الذي ولاه المأمون لإحباط حركة
العمري ، فتمكن إبراهيم منها وظلّت هذه الدويلة في مواجهة بني العباس حتى

(١) الطبري ، تاريخ الطبري ٥٩٢/٨ ، كانت هذه الحركة بقيادة أحد العلويين ويسمى
عبد الرحمن بن محمد .

(٢) نسبة إلى عمر بن الخطاب .

(٣) يعقوب ، تاريخ يعقوب ٤٦٢ ، كان العمري قد وثق على بيت المال في صنعاء وخرج
أميرها المسمى محمد بن نافع فولى المأمون أبا الرازي محمد بن عبد الحميد اليمن . وقد تمكن من أخذ
العمري وأرسله إلى مأمون ثم كلف تلاحقه من حي وجصاعه لأنه كان هو الآخر مبرداً في
المذيخرة ولكن أبا الرازي فشل في مهمته .

(٤) الرازي ، تاريخ مدينة صنعاء ٢١١ ، الجندي ، السلوك ٥٩ . يحيى بن الحسين ، غاية الأمان في
أخبار القطر الباني ١٤٨/١ ، ١٤٩ ، يعقوب ، تاريخ ٦١/٢

قضى عليها على بن الفضل عام ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م^(١).

وظهرت منذ عام ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م بوادر قيام دويلة جديدة عرفت فيما بعد بدولة (بني يعفر) ، وقامت أول ماقامت في (شبام) وسعت عن طريق الأعمال المسلحة لبط نفوذها في مواجهة الولاة العباسيين في عهد المعتمد (٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٢٣ - ٨٤٢ م) . وأتسار ابن سعد^(٢) وهو من أقدم المؤرخين أن يعفر الحوالي عام ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م كان متغلباً على مخاليف صنعاء ولم يتر تتاً لابن زياد .

ولقد اضطرت الدولة العباسية للرضوخ للأمر الواقع ، فاعترفت في عهد
الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ / ٨٤١ - ٨٤٦ م) بالدولة اليعفرية لتكون تابعة من
الناحية الرسمية لبني العباس ، وأصبح هذا تقليداً يحتذى بين آل يعفر
وبني العباس حتى انتهى المفوذ العباسي تمامً في لربع الأول من القرن الرابع
الهجري .^(٣)

ووصلت إلينا - عن طريق أوثق المصادر اليمنية - معلومات في غاية الأهمية حيث حدد كل من الهمداني^{١٤}، ونشوان الحميري^{١٥}، والوصابي^{١٦} أن الملوك الذين

(١١) ستون العمدن ، مدون حمير وقيل لبني قبيصة ستون وشرحها ١٦١ ، نوصي ، تاريخ

وصاب ١٠٢. الجندی ، السلوك ٥٩. الخزرجی ، العسجد ٣٩. الهمدانی ، الإكلیل ٩٣/٢

(٢) ابن سعد . الطبقات الكبرى ٢٤٧/٦

(٣) الهمداني ، الإكليل ٦٦/٢ ، ٧١ ، ٧٢ . الجندي ، السلوك ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ . مجهول ، تاريخ الين

(ق ۱۲۳، ۱۱۶۸، ب.)

١٦٥. خيمة لعلمية في بين في قريش ثلاث وربع

للرجوع ٢٩٥ - ٤٧٤

(٤) الإكليل ١٦/٢ . صفة جزيرة العرب ٢٢٢ ، ٢٥٩

(٥) ملوك حمير ١٨٠

(٦) الوصافي ، تاريخ وصاب ١٨ ، ١٠١

كان لهم الدور السياسي في الين منذ مطلع القرن الثالث الهجري كانوا ثلاثة ملوك : يعفر الحوالي ، وإبراهيم الجعفري ملك (الكلاع) ومقرّه (المذبحرة) ، والشراحي ومقرّه (عركبة) . و (الشراحيون) هؤلاء هم ملوك تهامة من عهد (المعتصم) إلى أيام (المعتد) ، أي من سنة ٢١٨ - ٢٧٩ هـ / ٨٢٣ - ٨٩٢ م وكانوا ملوك زبيد من قبل (بني زبيد) ، وهم الذين سوروا مدينة زبيد ، وللشراحيين ارتباط أسمى بالدولة العباسية حتى أنهم كانوا يضربون عملة (سكة) بسم العباسيين ، بالإضافة إلى ذكر اسم الخليفة في الخطبة .

فهذه المعلومات الهامة من المصادر الموثوقة تدفعنا إلى أن نتسائل مرة ومرة : أين ابن زياد وقواته الضاربة في تهامة كما ورد عند عمارة ؟



مرة أخرى إن المعلومات السابقة ومعلومات لاحقة تجلوا لما حقائق جديدة ، فالمدن التي ادعى عمارة أنها ببيت في عهد بني زياد مثل زبيد والكدراء والمعقر هو ادعاء غير صحيح على وجه اليقين ، لأن هذه المدن هي مدن قديمة من عهد الجاهلية . وذكرت في أحداث عاصرت ظهور الإسلام^(١) . وقد ذكر الهمداني (زبيد) في أكثر من موضع وذكر (الكدراء والمعقر) بينما زعم عمارة أن الحسين بن سلامة الذي جاء بعد الهمداني هو الذي بناها فكيف يذكرها الهمداني ولم تبين إلا بعد وفاته - حسب زعم عمارة - !!؟

ومن المعلومات نفسها نلاحظ أن الادعاء بأن (مخالف جعفر) منسوب إلى (جعفر) مولى ابن زياد هو ادعاء بطل ، لأن الهمداني وغيره من المؤرخين أكدوا على أن هذا المخلاف ينسب إلى ملوك (الكلاع) ويطلق عليهم

(١) انظر : تعليقات الأكوخ على تاريخ الين لعمارة ٤٨

(الجعفر) مند عهد الجاهلية . وإن رأى البعض أن هذه السببة وجدت في عهد جعفر بن إبراهيم الذي كان معاصراً (لعلي بن الفضل) آخر القرن الثالث الهجري (١) إلا أنه لا ينسب قط إلى (جعفر الزياتي) .

ومادام قد ورد (علي بن الفضل) هنا فلا يفوتنا دليل آخر ، وهو أن المصادر المعاصرة والقريبة من هذه الحقبة التاريخية لم تذكر بني زياد في أحداث اجتياح (علي بن الفضل) لتهامة (٢) . حيث أجمعوا كلهم على أن صاحب الأمر والنهي هناك هو (مظفر بن حاج) أحد قواد الخليفة العباسي المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠١ - ٩٠٧ م) وأخ أمير مكة (عج بن حاج) حيث تولى هذا عام ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م إمرة مكة وضمّ الخليفة إليه تهامة والين ، فما كان منه إلا أن عين أخاه (مظفر) على رأس قوة عسكرية على مناطق تهامة ، وأرسل رسائل إلى (ابن يعفر) لتجديد العهد للخليفة العباسي .. ولم يذكر ابن زياد (٣) .

وأصبح (مظفر بن حاج) هو الذي يقود الأحداث حيث التحم مع الحكيمين الذين بسطوا نفوذهم على زبيد واستعانوا بالهادي في صعدة ثم استعانوا (بآل يعفر) . وأخيراً وجدوا (القرامطة) عوناً لهم فاستعانوا بهم عندما تمكنوا من دخول زبيد عام ٢٩٣ هـ / ٩٠٦ م . وهكذا ظلّ (مظفر بن حاج) معاصراً لهذه الأحداث إلى أن مات عام ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م فخلفه ابنه محمد ، ولكنه سرعان

(١) الحمدي . لإكليل ٩٣٢ ، ٩٤ . نشوان الحميري ، منوك حبر ١٦٧ . لخزرجي ، العجد ٣٩

(٢) الطبري ، تاريخ ١٢٨/١٠ - عريب بن سعيد القرطبي ، صلة تاريخ الطبري ٢٠ (ملحق تاريخ نصري . محمد بن عبد الله حمدي ، تكتة تاريخ نصري ١٩١ (منحو تاريخ الطبري) . ابن خلدون ، تاريخ ٧٥٢/٦ . الهمداني ، صفة ٣٢٣ . العلوي ، سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ١٩٥ - ١٩٨ ، وإبراهيم بن محمد الذي ورد في السيرة هو (الحرمل) .

(٣) ابن الديبع ، قرة العيون ١٧٥/١

ماعاد إلى مكة فتولى إمرة تهامة (ملاحظ بن عبد الله الرومي) إلى أن مات عام ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م فعين خلفاً له (إبراهيم بن محمد الحرمل) أحد قواد سلطان مكة التابع للدولة العباسية^(١) .

وتعاصرت مع هذه القيادة العباسية أكثر من قوة في تهامة منهم : (بنو طريف) من (الحكميين) في (عثر) ومنهم : زعيم (بني مجيد) عبد الله بن أبي الغارات الذي حكم زيبداً خمسين يوماً ، وكان ممن وقف في وجه علي بن الفضل ولم يتمكن منه ، وانضم فيما بعد لأسعد بن أبي يعفر الحوالي للقضاء على (القرامطة)^(٢) .

ومن عجائب المصادر التاريخية اليمنية أنها تأتي بالشيء ونقيضه ، فهي في بداية الأمر تراعي تسلسل الولاة العباسيين واحداً إثر الآخر حتى آخر واحد منهم المعروف (بجفتم) ، الذي تولى أمر اليمن في عهد الخليفة المعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠٠ م) ثم سرعان ما تنتقل إلى بداية القرن الثالث وتورد سرداً للقصص التي جاءت عن آل زيد بعبارة عمارة اليمن نفسه^(٣) .

فيكون التناقض واضحاً ، والاضطراب متجلياً ، في صعوبة التوفيق بين التسليم بوجود ولاة عباسيين على اليمن ، ثم وجود (آل زياد) كممثلين فعليين للعباسيين كما جاء عند عمارة .

وتناقض آخر نلاحظه من خلال كلام عمارة نفسه . فهو حينما يتحدث عن

(١) الطبري ، تاريخ ١٠/ ١٣٨ . العلوي ، سيرة الهادي ٢٢٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ . المحلي ،

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ٢٥ . للقدسي ، أحسن التقاسيم ١٠٤

(٢) العلوي ، سيرة الهادي ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٤٠٣ . ابن حوقل ، صورة الأرض ٢٢ . للقدسي ، أحسن

التقاسيم ١٠٤ . الهمداني ، الإكليل ٢٢٩/١ ، ابن سمره الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ١٠٥

(٣) خذ مثلاً على ذلك : الجندي ، السلوك ٥٩ وما بعدها .

(أبي الحيتس) وأنه ظلّ في الملك ثمانين عاماً - أي من حوالي ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م - وأنه لما عجزت تثعبت عنه الأطراف ومنها (صعدة) التي انفصل بها يحيى بن الحسين ، فكيف يقال انفصل هذا بصعدة حينما كبر (أبو الجيش) ، بالرغم من أن ظهور الهادي ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ووفاته ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م كان في وقت عنفوان شباب أبي الجيش وفي بداية ملكه حسب تحديدات عمارة !



ونجمل ماسبق بأن الدلائل الكثيرة التي توصلنا إليها سواء من خلال دراسة النص الذي جاء عند عمارة اليني . أو من استقصاء ماورد في المصدر المعاصرة للأحداث أو القرية منها - وهي مصادر موثوقة في علمها ونقلها - هذه الدلائل كلها تجبرنا على أن نلغي حوالي ثلاثة أرباع القرن من حياة دولة بني زياد كما رسمها لنا عمدة اليني . ولا نكون متجنين عليه في هذا . لأن الوثائق هي التي تكلمت وقادت إلى ذلك الحكم .. ولوثائق - أيضاً - هي التي تعرفنا بالسيادة الحقيقية لنشأة هذه الدولة . لذلك لابد من إلقاء الضوء على هذه البداية من خلال المصادر نفسها .

لقد تكذّب لنا أن (ال زيد) لم يكن لهم وجود سياسي في تهامة حتى انتهت قوة (اشراحيين) في عهد (المعتمد) العباسي . أي على مطلع عام ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م ، وأن حضورهم الفعلي في مسرح الأحداث كان بعد عام ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م عندما اشتركوا مع (الحوالياين) للقضاء على (القرامطة) . وهذا معناه أن الوجود السياسي لم يأت فجأة ، بل لابد أنه قد مرّ بمراحل حتى وصلوا إلى المستوى الذي يخوّلهم للمواجهة السياسية مع القوى المحيطة بهم .

ولكن يبدو أن قوتهم ظلّت محدودة في إطار ضيق على أطراف (مخلاف جعفر) حتى عام ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م حينما دخل (علي بن الفضل) إلى

(المذبحرة) واستولى عليها ، وفي أثناء اكتساحه طرد (آل زياد) من أطراف هذا المخلاف^(١) . والطرده هذا يأتي إما لكونهم يقطنون المخلاف ، فهربوا وأطلقوا على هذا (طرداً) ، وإما أنهم كانوا خارج المخلاف فاستولوا على جزء منه ، فلما جاء علي بن الفضل طردهم .

وظلّ بنو زياد يضربون العداء (لعلي بن الفضل) حتى جاء (أسعد بن أبي يعفر الحوالي) الذي قوي مركزه بالخلاص من منافسيه ، وبوفاة علي بن الفضل (٣٠٣ هـ / ٩١٥ م) ، وبدعم دولة الخلافة له اتخذ خطة لتجميع كل القوى التي تكن العداوة للقرامطة فراسلها فكان منهم قوة زياد بن محمد^(٢) .

ولا نشك في أن (زياد بن محمد) - وهو اسم جديد لم يرد في سلسلة (عمارة اليني) - هو الذي نسبت إليه المجموعة التي طردها (علي بن الفضل) من أطراف (مخلاف جعفر) ، وربما كان (زياد) هذا يتزعم (بطن) من قبيلة استقرت في هذه المنطقة .

وربما كان المقدسي^(٣) على حق حينما نسب (آل زياد) إلى (همدان) ، وهذا تقيض ما قاله عمارة الذي نسبهم إلى (بني أمية) ، وإذا كان الهمداني لم يذكرهم في أنساب همدان ، فربما كان ذلك لأن الهمداني عاش بعيداً عنهم مشغولاً بمحتته التي عاشها بين صنعاء وصعدة وريدة . بينما المقدسي عاش عاماً كاملاً تحت حكمهم في زبيد وعدن وهو ثقة في نقله للمعلومات ، فلا يمنعنا مانع من قبول هذه النسبة . وإذا كان (زياد بن محمد) هو أول من نسبت إليه هذه الدولة ، فإن ابنه إبراهيم صاحب الفضل الأكبر لتوطيد سلطان آل زياد ، وقد وثقت السلطات العباسية

(١) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٣٣ ، ١٤

(٢) الوصافي ، الاعتبار ٢٥

(٣) أحسن التقاسم ١٠٤

علاقاتها بآل زياد بعد أن شاركوا في القضاء على دولة (القرامطة) في (المذيخرة) ، فأُسند إبراهيم بن محمد الحرملّي - أمير تهامة من قبل العباسيين - إمارة زبيد إلى إبراهيم بن زياد بن محمد . حتى أن المسعودي الذي دخل اليمن عام ٣٣٢ هـ . ٩٤٣ م عرّف أمير زبيد إبراهيم بن زياد بأنه صاحب (حرملّي) ، وهذا يعني أن (الحرملّي) هو صاحب السلطان وهو المشهور في تهامة وأن (ابن زياد) تابع للحرملّي .

ومن هنا بدأ توطيد حكم آل زياد وأصبحت قوتهم ينظر لها ويحسب حسابها ، حتى أن الهمداني^(١) كاتب إبراهيم بن محمد بن زياد لكي يتدخل لدى أسعد بن أبي يعفر الحوالي والناصر بن الهادي لإطلاقه من سجنه ، وربما أقدم على هذا لعله بأن علاقة ودّ وصداقة ومعاودة تربط بين الأطراف الثلاثة^(٢) .

ويؤكد ما توصل إليه من أن آل زياد لم يوجدوا إلا في مطلع القرن الرابع الهجري هو أن الوصافي^(٣) حدّد مدة ملك آل زياد بمئة سنة وثلاث سنين ، وحدّد نهاية حكمهم سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م ، وهذا يعني أن بداية ملكهم الحقيقي كان عام ٣٠٤ هـ / ٩١٦ م وهي السنة التي برز إلى السطح (زياد بن محمد) حين اشترك مع (أسعد الحوالي) ضدّ (القرامطة) ، ومن ثم تلغى المائة الأولى (من ٢٠٣ هـ إلى ٣٠٤ هـ) ، ولا تدخل ضمن عمر الدولة الزيدية لأن الأحداث - بعد هذا التصحيح - يجلو عنها الغموض ، وينتفي عنها الاضطراب وتصبح متناسقة معقولة في ترتيبها الزمني ودورها الواقعي .



(١) الإكليل ٤٢٨/١

(٢) الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ٢١٦

(٣) الاغصان ٦٢ ، وكان قد ذكر في ص ٣٠ أن عمر دولة ٢٦٣ سنة ، وأن نهايتها كانت في ٤٠٩ هـ وهذا باطل لأن بدايتها سيكون عام ١٤٦ . وهذا ما لم يقله أحد ، وربما حصل تصحيف .

ولكن السؤال الذي ينبغي أن يستوقف الباحث هو : إذا كنا قد توصلنا إلى هذه الحقائق لكي نكوّن منها قناعاتنا ، فمن أين تسرب هذا اللبس إلى الأحداث التاريخية في كتاب عمارة اليني ؟ وكيف اعتمد من جاء بعده على كتابه هذا ؟

إن الحقيقة التي لا مرية فيها أن البحث يوصل إلى مزيد من البحث ، ولقد أثارتني هذه الأحداث المتناقضة ، وظللت أرقب من يكتب عنها فوجدتهم - حسب علمي - لا يخرجون عن صنفين : صنف يتبع ماجاء عند عمارة - مدركا أو غير مدرك للتناقض الواضح - أما الآخر وكان على رأسهم الأستاذ الفاضل / محمد بن علي الأكوّع الذي أورد أحداثا ترد على عمارة اليني ، ولكنه اعتبر هذه من أوهام عمارة ، لأنه ملأ الكتاب من حفظه ، وقد حرص الأستاذ / محمد علي الأكوّع أن يؤكد على أن (أبا الجيش) شخصية خيالية بحجة أن هذه الكنية جاءت في بعض المصادر بلفظ (أبي الحس) وربما - كما يقول الأكوّع -^(١) حصل تصحيف .

ولكن كاتب هذا البحث بعد عناء وحيرة توصل - وهذا فضل من الله سبحانه - إلى ممكن الداء الذي وقع فيه عمارة - بعد أن أثار الأستاذ الفاضل / محمد بن علي الأكوّع الرغبة في البحث من خلال تعليقاته القيمة على كتاب عمارة - فقد وقع في يدي كتاب عرف بـ (صورة الأرض) لابن حوقل (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) الرحالة الجغرافي المشهور الذي أغرم - بحكم مهنته - كتاجر - برصد الجوانب المالية بصورة دقيقة .

لقد تحدث عن الين في الفترة ما بين ٢٣١ و ٣٦٧ هـ / ٩٤٢ و ٩٧٧ م وذكر ثلاث دول موجودة في تهامة أكبرها دولة بني زياد ، وكان المتولي لها خلف

(١) انظر : تعليقات الأكوّع على كتاب المفيد . (تاريخ الين لعمارة) ٥٢ - ٥٤

(أبي الجيش) . ثم حدد موانئها ومافذ تجارتها . وذكر دول الجبال ومنها (اليعفرية) و (لهاوية) .. فكانت هذه المعلومات من الأهمية بحيث تصبح مفتاحاً لمعلومات لقي جاءت في المصادر الأخرى لأنه عاصر لأحداث وكتب ما كتب عن علم وبينه . حتى أن نعيه (حنف أبي الجيش) يدل على توزع السلطة بعد أبي الجيش .

ومنذ أول وهلة لفت انتباهي ذلك الشبه بين ما يقوله ابن حوقل وما قرأته عند عمرة البني فعدت لاهثاً إلى كتاب عمارة . فأذهلني ما رأيت .. لقد وجدت العمارة نفسها عند الكتّيب .. وما دام عمارة متأخراً عن ابن حوقل فقد نقل عمارة ما جاء عند ابن حوقل نصاً وحرفاً ولم يكن يمي من حافظته . ولكنه - وهذا هو لمقتل - ربما كنت لديه بعض القصص عن بني زياد فوجد معلومات ابن حوقل فخطه بها دون انتباه ولا وعي . فظهرت تلك الصورة المضطربة لأنه لم يكتف بما جاء عند ابن حوقل الذي حدد معلوماته بخبرة زمنية محددة من القرن الرابع الهجري . بل إن عمارة أخذ هذه المعلومات المتأخرة وجعلها لأن زياد في مطلع القرن الثالث الهجري وهنا كان الاضطراب .

ولكي يطلع القارئ على التشابه بين الكتّيبين أحيله إليهما وخذ مثلاً : ص ٣١ - ٣٣ ، ٤٣ من كتاب (صورة الأرض) لابن حوقل ، وص ٥٤ - ٥٩ من (تاريخ عمارة) فإن التشابه - عبارة وحرفاً وخطاً - لا يحوجنا هنا لذكر هذه النقلات .

ونكون بهذا قد رفعنا غشاوة سميكة عن تاريخ الدولة الزيادية ، وأزلنا لبساً أصاب الباحثين بالدوار والإحباط .. وأصبح تاريخ بني زياد في إطاره الصحيح وهو في حاجة الآن إلى تكوين وتجميع . ولا شك أن كتاب عمارة نفسه سيفيدنا في هذا الجانب ، وخاصة حينما يحدثنا عن الإشراقات الحضارية في زياد .

نخلص مما سبق إلى أن آل زياد يبدأ حكمهم بتولي زياد بن محمد الذي كان ينافس (المناخين) في خلاف جعفر أواخر القرن الثالث الهجري ، وقد خرجوا مطرودين في اتجاه زبيد ، ثم عادوا متعاونين مع تجمعات قبلية عديدة متحالفة ضد القرامطة في المذيخرة ، وكان هذا في مطلع القرن الرابع الهجري .

ويبدو أن زياد بن محمد لم يطل عمره كثيراً فقد خلفه ابنه إبراهيم الذي عاصر محنة الهمداني ، وقد استعان به لإطلاق سراحه من سجنه^(١) وكان هذا بين عامي ٣١٦ ، ٣٢٠ هـ / ٩٢٨ ، ٩٣٢ م^(٢) .

وقد استمر حكم إبراهيم إلى ما بعد عام ٣٣٢ هـ / ٩٤٣ م^(٣) فتبعه ابنه إسحاق الملقب بأبي الجيش ، الذي ذكرته بعض المصادر حاكماً لآل زياد عام ٣٥٢ هـ و ٣٥٦ هـ / ٩٦٣ و ٩٦٧ م^(٤) ، وقد ظل حاكماً إلى أن توفي قبل عام ٣٦٣ هـ / ٩٧٣ م . لأن ابن حوقل^(٥) حينما كان في اليمن عام ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ م تقريباً لم يخبرنا عن أبي الجيش ، ولكنه عن خلفه ، وهذا خلاف ما ذكره (عمارة)^(٦) من أن أبا الجيش توفي عام ٣٩١ هـ / ١٠٠١ م ، ولم يذكر عمارة^(٧) سوى طفلاً اختلف في اسمه ليكون متولياً بعد أبيه وظل بكفالة أخته وعبدأ

(١) الهمداني ، الإكليل ٤٢٨/١

(٢) الهمداني ، المقالة الخاصة .

(٣) المسعودي ، مروج الذهب ١٩/٢

(٤) الخزرجي ، المسجد المسوك ٤٦ يحيى بن الحسين ، أسماء الرمن (ق ٣٤) . مجهول ، تاريخ

اليمن (ق ٩٩ ب) . الهمداني ، الصليحيون ٤٥

(٥) صورة الأرض ٣١ ، ٣٢ ويؤكد هذا ما ذكره الأستاذ محمد علي الأكوع في هامش تاريخ اليمن

٦٧ ، ٦٨ بأن ابن جرير الصعدي ذكر وفاة أبي الجيش في صحيفة الخمس والعشرين من

ذي الحجة سنة ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م .

(٦) تاريخ اليمن ٦٧ وجاء في نسخة أخرى من المخطوط توفي عام ٣٧١ هـ / ٩٨١ م .

(٧) المصدر نفسه ٦٧ ، ٦٨

لأبيه ، ولذلك اكتفى ابن حوقل^(١) بإطلاق تعبير (خَلَفَ أَبِي الْجِيْش) دون تعيين . إلا أن هناك ما يدل على أن الذي خلف أبا الجيش هو أخوه علي بن إبراهيم الذي ساعد قيس بن الضحاك الهمداني ضد يوسف بن يحيى بن الناصر بن المهادي عام ٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م^(٢) ، مقابل أن يخطب باسمه على منابر صنعاء^(٣) .

ولم يظهر بعد علي بن إبراهيم شخصية تمسك ماتبقى من حكم آل زياد بل وجد طفل قيل هو لأبي الجيش - كما ذكره عمارة وأشرنا إليه آنفاً - ، وقيل هو لعلي بن إبراهيم ويسمى المظفر^(٤) ، وأياً كان الأمر فقد أسند أمر هذا الطفل أو ذاك إلى عبد من عبيدهم يعرف برشيد ، وما لث أن هلك فتولى الأمر بعده عبد له (أي عبد العبد) يعرف بالحسين بن سلامة^(٥) ، وهو الذي استطاع أن يعيد ذكر ابن زياد ، وقد اشتهر وعلا صيته وكثرت أعماله في كتب المؤرخين ، حتى غطى على كل أمراء آل زياد ونسبت إليه من الأعمال ما يفوق ما فعله آل زياد طوال حكمهم ، وسيأتي الحديث عن بعض ما فعله الحسين بن سلامة في مدينة زبيد في البحث المخصص لهذه المدينة .

وحينما توفي الحسين بن سلامة في العقد الأول من القرن الخامس الهجري^(٦)

(١) صورة الأرض ٣٢

(٢) مجهول ، تاريخ الين (ق ٩٧) .

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم ١٠٤ . الخزرجي ، المسجد المسبوك ٤٦ ، ٤٧

(٤) يحيى بن الحسين ، طبقات الزيدية الصغرى (ق ٤٨) .

(٥) عمارة ، تاريخ الين ٦٨ ، ٦٩ . الوصافي ، تاريخ وصاب ٦٢ ، ٦٣ . الخزرجي ، العجد ٩٩ .

يحيى بن الحسين ، طبقات الزيدية (ق ٤٨) .

(٦) اختلفت الروايات حول السنة التي توفي فيها الحسين بن سلامة فعارة (تاريخ الين ٧٠)

حددها - ٤٠٢ هـ . وابن الأثير (الكامل ٤٥٥/٩) حدده - ٤٢٨ هـ ، وبخزمية (تاريخ ثغر

عذر ٥٩/٢ - ٦٢) اختار سنة ٤٢٦ هـ . وقد رجح الأكوع هذا التاريخ كما ذكره في تعليقه على

كتاب تاريخ الين لعارة ص ٧١ . وقد احترا العقد الأول من القرن الخامس الهجري لأن

الدولة النجاشية بدأ حكمها عام ٤١٢ هـ / ١٠٢١ م .

لم يتسلم الحكم بعده أحد من بني زياد ، ولكن نقل إلى أسرة جديدة عرفت في تاريخ اليمن بأسرة بني نجاح ، فكان حكم الحسين بن سلامة بمثابة المرحلة الانتقالية بين حكم بني زياد وحكم بني نجاح .

المادة التاريخية لليمن عند الرحالة والجغرافيين حتى نهاية القرن الرابع الهجري^(٥)

لم يحظ اليمن - كغيره من أمصار الأرض الإسلامية - بمؤرخ يدون ويسجل الأحداث التاريخية طوال القرون الثلاثة الأولى من الهجرة . وحينما أطل القرن الرابع الهجري بأحداثه ومعارفه لم نجد مؤرخاً متخصصاً نذر نفسه لكتابة تاريخ اليمن ، ولكننا وجدنا من يكتب في مجالين فقط :

المجال الأول : السير الشخصية لقادة الحركة الزيدية في اليمن كسيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨ هـ / ٩١١ م) لعلي بن محمد بن عبيد الله (توفي في مطلع القرن الرابع الهجري)^(١) ، وسيرة الناصر بن الهادي (٣٢٥ هـ / ٩٣٦ م) لعبد الله بن عمر الهمداني وهو كتاب لم يعد له وجود ، إلا أن بعض النقولات عنه وجدت في كتب متأخرة^(٢) .

وقد ختم القرن الرابع بسيرة للمنصور القاسم بن علي العياني (ت ٣٩٣ هـ / ١٠٠٦ م) كتبها الحسن بن أحمد بن يعقوب^(٣) .

(٥) بحث قدم صر الندوة الثالثة التي عقدها قسم لتاريخ ، كلية لادب ، جامعة القاهرة في لفترة من ٣ - ٥ أبريل ١٩٨٩ م ، وكان موضوعها : العرب وآسيا .

(١) حققها الدكتور سهيل زكار ، ونشرتها دار الفكر ، بيروت ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

(٢) نظر لدراسة التي قام بها صاحب هذا البحث عن الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثابت والرابع للهجرة ٢٥٦ ، ٢٥٧ (رسالة دكتوراه في طريقها إلى النشر إن شاء الله) .

(٣) يحيى بن الحسين ، ضفقت الريدية لمعنى ٦٧ (مخطوط نخصت على صورة منه) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ٨٥/٣

المجال الثاني : في الأنساب والمفاخرات . وقد تكفل بهذا أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت ٣٥٠ أو ٣٦٠ هـ / ٩٦١ أو ٩٧١ م) الذي خاض معارك في المفاخرات ، وأعطانا معلومات تاريخية هامة ، ولكنها جاءت في معرض دفاعه عن قحطان وأنساب الين . ولا نستطيع التعميم فننكر كتابة تاريخية متخصصة للهمداني لعل كُتبه المفقودة كانت تفي بهذا الغرض ^(١) .

ومع هذا نتأكد لنا حقيقتان هامتان : الأولى : أن القرون الثلاثة الأولى لم نجد فيها مؤرخاً للين . وإن كانت هناك إشارات في بعض الكتب المتأخرة في حاجة إلى دراسة حول كتابات قديمة مفقودة .

والثانية : أنه من بداية القرن الرابع الهجري ظهرت كتابة تاريخية من خلال السير الشخصية لأئمة الدولة الزيدية وكتب الأنساب التي ألفها الهمداني . ولهذا فإننا نحصل على تنف من المادة التاريخية للين المبعثرة في بطون كتب التاريخ العام ، بل وفي كتب أرخت لأصقاع وأقاليم بعيدة عن الين كالعراق والشام ومصر والأندلس .

هذا الوضع يجعلنا نركض للبحث عن موارد لموادنا التاريخية لعلنا نعثر على ما نبتغيه من هذه الموارد .

وإن أقرب هذه الموارد وأصدقها هي تلك الرحلات التي قام بها رحالة دُونُوا ما لمسوه وشاهدوه وعرفوه في كتب خاصة بهم .. أو نُقِلَ عنهم مشافهة فدُونت بعد ذلك في كتب لاحقة .

هذا المورد الهام ينبغي ألا يغفل ، بل علينا أن نقف أثره ونكشف عن مكانه ، ونستفيد من إشارات ولحاته ولفقاته ، بعد أن نحاول تلمس مناهج هؤلاء الرحالة في مادتهم التاريخية لنستفيد منها في استنساظاتنا واعتمادنا .

(١) راجع : الحيدة عمية في الين ٣٦٢ - ٣٦٨ هـ بالإضافة إلى كتاباته الجغرافية فهي تضم معلومات تاريخية كثيرة ودقيقة .

وإذا كنا سنواجه صعوبة وهي أن بعضاً من هؤلاء الذين كتبوا في هذا المجال لا يعرف عنهم أنهم رحلوا إلى الين أو دخلوا جزءاً من الين ، فكيف نأخذ عنهم هذه المعلومات التي دوّنت عنها ؟ وهي صعوبة - ولا شك - تحتاج إلى تأنُّ في الحكم ، وقد نجد لها حلاً ، وأقرب هذه الحلول الآن في هذه المقدمة : أن بعضاً من هؤلاء الكتاب يعتمد على مصادر في نقل معلوماتهم ، ونحن في أمس الحاجة إلى توثيق مصادرهم وتحديد مدى الاعتماد عليهم .

وهذا الذي ستقوم به من خلال هذا البحث ، حيث سنحاول استعراض الهدف من الكتابة عن الجغرافيين والرحالة ، ثم المنهج الذي اتبعوه أثناء كتابتهم ، مع البحث عن مصادرهم والتوثيق منها ، ثم أخيراً نشر إلى أهمية هذه المادة والدعوة إلى دراستها .



للوهلة الأولى ننبّه إلى أن المؤلفين الذين سنتعرض لكتبهم يعيشون في حقبة واحدة هي بين آخر القرن الثالث وطوال القرن الرابع الهجريين ، ويسيرون في حلقة متعاقبة ومتعاصرة مع بعضهم .

فاليقوي (توفي بعد ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) ، وابن رُسته (توفي بعد ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) ، وابن خرداذبه (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) ، وأبو الفرج قدامة بن جعفر (توفي بين ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م و ٣٣٧ هـ / ٩٤٨ م) عاصر بعضهم بعضاً .

وابن خرداذبه ، وقدامة وأبو زيد البلخي (ت ٢٢٢ هـ / ٩٣٤ م) ، والأصطخري (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) ، والمسعودي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) ، وابن حوقل (توفي بعد ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) عاشوا كلهم في عصر واحد وفي حقبة واحدة .

والأصطخري والمسعودي وابن حوقل والمقدسي (ت ٣٩٠ هـ / ١٠٠٠ م)
عاصر بعضهم بعضاً .

هذه المعاصرة لها دور في تقارب الأفكار ، والاستفادة من بعضهم البعض ،
وربما تبادل وعرض نتائجهم العلمي فيما بينهم .

وسنلاحظ هذا في جوانب متعددة من هذه الدراسة .

فاليقوبي أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب اليقوبي
العباسي^(١) في كتابه (البلدان) الذي نشر ملحقاً لكتاب الأعلام النفيسة
لابن رسته يعدّ مختصراً للبلدان كما يقول اليقوبي نفسه^(٢) . وقد انتهى من تأليفه
في حدود ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م محدداً الهدف منه وهو الكتابة لموظفي الدولة ولمن
يبغون معرفة البلدان والسفر إليها ، رأساً لهم لوحة عامة لها ، ملتزماً بتحديداتها
حسب الجهات الأصلية الأربع^(٣) ، وهي التي اعتمدها ابن خردادبه أيضاً .

وأما أبو علي أحمد بن عمر بن رسته^(٤) فقد اشتهر بكتابه (الأعلام النفيسة)
الذي نشر الجزء الموجود منه ضمن مجموعة المكتبة الجغرافية عام ١٨٩٢ م على يد
المستشرق الهولندي (دي خويه) . ولم يحدد هدفه في مقدمة كتابه ، لأن الجزء
الموجود ليست له مقدمة ، ولكننا نلاحظ هدفه من خلال المعلومات التي وردت
في هذا الجزء . فكتابه عبارة عن موسوعة ضخمة ، وهذا الجزء الموجود هو الجزء

١- إسماعيل باشا ، يصاح لكون في ليدل على كيف الطوبى ٢١٩/٣ ، بروكلمان ، تاريخ
: ٢٣٣ كراتشكوفسكي ، تاريخ أدب خمر في ١٥٨ - ١٦١ ، ليركي ، جبر ليدس ، لأعلام
٩٠/١ ، وقد رجح تاريخ وفاته على ما جاء في كتاب البلدان ٣٧٢ من أنه نظم شعر في عيد
فطر عام ٢٩٢ هـ .

(٢) البلدان ٢٣٣

(٣) كراتشكوفسكي ، تاريخ ١٦٠/١ ، ١٦١

(٤) بروكلمان ، تاريخ ٢٣٩/٤ ، ٢٤٠ ، كراتشكوفسكي ، تاريخ ١٦٤/١ ، ١٦٥ . أحمد عطية الله ،

القاموس الإسلامي ٥٢٢/٢

السابع منها المحصص للفلك والجغرافيا^(١) ، فهو يعرض للبلدان الكبيرة وخصّص من مدن الين : صنعاء ومدينة سبأ (مأرب) ، بالإضافة إلى معلومات فلكية في الأول ، ومعلومات ومعارف عامة في الآخر .

ويلوح لنا أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (وقيل أحمد) بن خرداذبه^(٢) الفارسي الأصل ، فنذ أسلم جده على يد البرامكة أصبحت الأسرة مقرّبة إلى الخلفاء ، فوالده كان والياً على طبرستان^(٣) ، ثم صار هو أحد موظفي البريد في الدولة العباسية ، واشتهر بالأدب . وكتبه تتناول موضوعات أدبية ، وبدأت بالظهور والشهرة منذ عام ٢٧٤ هـ / ٩٢٢ م ، فقرّبه إليه الخليفة العباسي المعتمد على الله (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ / ٨٨٠ - ٨٩٢ م) ، فكان نديماً له^(٤) . وفي هذه الأثناء طلب منه الخليفة تأليف كتابه (المسالك والممالك)^(٥) الذي نشر ضمن مجموعة المكتبة الجغرافية العربية على يد المستشرق الهولندي (دي حويه) عام ١٨٨٩ م^(٦) .

وبما أنه ألّف كتابه بناء على طلب من الخليفة ، فإن الهدف من تأليف الكتاب يكن في تحقيق رغبة الدولة لمعرفة مسالك البلدان وطرقها ، لتحقيق

(١) كراتشكوفسكي ، تاريخ ١٦٤/١ . بروكلمان ، تاريخ ٢٤٠/٤

(٢) ابن النديم ، الفهرست ٢١٢ ، ٢١٣ . حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ٢٧٨/١ و ١٦٦٥/٢ ، إسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ٦٤٥/١ (ملحق بكشف الظنون) . الزركلي ، الأعلام ٢٤٣/٤ . وقد ضبط الاسم بضم الباء قبل الهاء ، وقيل بكسر الهمزة وتشديد الباء ، وقيل بسكون الهمزة وفتح الباء وسكون الهاء .

(٣) الطبري ، تاريخ الطبري ٥٥٦/٨

(٤) ابن النديم ، الفهرست ٢١٢

(٥) ص ٢

(٦) كراتشكوفسكي ، تاريخ ١٥٥/١ ، ١٥٦

أهداف الدولة ذاتها . ولم يكلف بهذه المهمة إلا لمعرفة الخليفة بأنه أقدر على أدائها ، خاصة أنه كان أحد موظفي الدولة في مجال البريد .

وللغرض نفسه يؤلف أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (توفي بين ٣١٠ و ٣٣٧ هـ / ٩٢٢ و ٩٤٨ م) كتابه (الخراج وصناعة الكتابة) بعد أن أسلم على يد الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٨ م) . وشهرته الأدبية أكبر من شهرته الجغرافية^(١) . إذ لا شك أنه كتب هذا الكتاب باعتباره أحد أعضاء الجهاز الإداري للدولة . ويظهر هذا من خلال اسم كتابه ، ومن استعراض ما وجد منه المنشور ضمن المجلد السادس من المكتبة الجغرافية ملحقاً بكتاب ابن خرداذبه ، فهو كتاب لموظفين وللخليفة أيضاً . وقد أمدت قدامة نفسه في بداية النبذة الموجودة من كتابه . والتي جاءت تحت عنوان (الباب الحادي عشر في ديوان البريد والسكك والطرق إلى نواحي المشرق والمغرب) حيث جعل يشرح أهمية هذا العلم ، وأطلق عليه (علم الصُرق) . وأن موظف البريد يجب عليه تعلم ذلك لكي يكون على استعداد لتقديم المشورة للخليفة إذا ما سألته عن الطريق لكي يسافر هو ، أو يرسل جيشاً يهيمه^(٢) .

ويتربع الأضطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي^(٣) عرش الجغرافيين في الثلث الأول من القرن الرابع الهجري . ولأنه كان تلميذاً لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي (ت ٢٢٢ هـ / ٩٣٤ م) فقد عدّ بروكلمان^(٤) كتاب (مسالك

(١) ابن النديم ، الفهرست ١٨٨ . ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ٢/٢٩٧ ، ٢٩٨ . حاجي خليفة ، كشف الظنون ١/٥٩٢ و ٢/١٩٧٣ . إسماعيل باشا ، هدية العارفين ١/٨٣٥ . الزركلي ، الأعلام ٣١/٦ . بروكلمان ، تاريخ ٢٤٣/٤

(٢) الخراج ١٨٤

(٣) إسماعيل باشا ، هدية العارفين ٦/١ . وإيضاح المكنون ٤/٤٧٣ . الزركلي ، الأعلام ٨/١٥٨

(٤) تاريخ ٢٤٧/٤

الممالك) للأصطخري ماهو إلا أحد كتب أبي زيد البلخي ، وكان للأصطخري دور الصياغة فقط . وهي مبالغة واضحة . ولكن لا ينح من أن نقول إنه اعتمد على كتابه اعتماداً كبيراً ، وربما عرض عليه عمله هذا^(١) .

ويتضح الهدف من لتأليف في مقدمة كتابه فهو يقصد التعريف ، ببلاد الإسلام بتفصيل مدب وتقسيم ما يعود بالأعمال المجموعة إليها^(٢) . وهو هدف - كما هو واضح - يرجع بالفائدة على المسلمين دولة وأفراد ، حيث يساهم لسد جوانب النقص في الجانب الثقافي للدولة الإسلامية .

ويأتي ابن حوقل ، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي^(٣) بعد الأصطخري ويشتهر برحلاته وكتابه (صورة الأرض) الذي جعل بروكلمان^(٤) أساس تأليفه هو كتاب البلخي (مسالك الممالك) الذي وضعه الأصطخري . بيننا ناشر كتاب صورة الأرض^(٥) يقول : « اطلع ابن حوقل على كتاب مسالك الممالك لأبي إسحاق الفارسي المعروف بالأصطخري . فكتبه من جديد محتفظاً بعنوانه ونسبه إلى نفسه . . وهو تعميم قريب من تعميم بروكلمان عن الأصطخري مع البلخي . ولأن كتاب الأخير ليس بين أيدينا فلا نستطيع المقارنة . أما وكتب ابن حوقل يزاحم كتاب الأصطخري في المكتبات فما علينا إلا أن نقارن بينهما لنخرج بحقيقة مفادها أن ابن حوقل اعتمد على كتاب الأصطخري حيث جعل هيكل كتبه هذا وترتيبه وقدراً كبيراً من المعلومات العامة أصلاً لكتابه (صورة الأرض) ، ثم عمد إلى بعض التعديل في الكلمات والحروف وأدوات الربط هنـ

(١) كراتشكوفسكي ، تاريخ ١٩٩/١

(٢) مسالك المالك ٢ ، ٣ ، ١٢

(٣) إسماعيل باشا ، هدية العارفين ٤٢/١ . الزركلي ، الأعلام ٣٤٤/٦

(٤) تاريخ ٢٤٧/٤

(٥) ص ٦

وهناك ، وتصرف بعد ذلك بما تفرد به من معلومات فُأُضَافَهِ في مكانه من هيكل كتاب الأَسطخري . وكأنه تكفل بالتنقيح والإضافة لكتاب الأَسطخري ليصبح كتاباً منسوباً إليه لأنه يريد كما جاء في مقدمة كتابه^(١) أن يكون له الذكر الجميل في المحالس . وبالرغم من أهمية الجديد الذي أضافه ، إلا أنه عمل شائن ذلك الذي قام به ابن حوقل في كتاب الأَسطخري ، وهو عمل يفسر لنا ذلك الحرص الذي أعلنه المسعودي في مقدمة ونهاية كتابه (مروج الذهب)^(٢) ، فقد رفع عقيرته واستخدم أقصى أسلوبه الأدبي ، يُدَعُو على كل من يبدل أو يحرف جزءاً من كتابه .

والمسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي^(٣) معاصر لابن حوقل عرف بكتابي : (مروج الذهب) ، و (التنبيه والإشراف)^(٤) بالإضافة إلى أنه كان جغرافياً ورحالة ، حيث توسع في رحلاته حتى شملت ميداناً واسعاً قُضِيَ فيها خمساً وعشرين سنة متواصلة من عمره^(٥) ، إلا أنه دخل اسمه في عداد المؤرخين لا الجغرافيين ولا الرحالة^(٦) ، وأصبح الكتابان المذكوران الموجودان يمثلان شخصية المسعودي التاريخية . وهذا يعطينا من الوقوف عنده ، لأن المهمم بالجغرافيا هو الأول بالرجوع إلى كتب المسعودي التاريخية ، يستقي منها متطلباته الجغرافية . أما المهمم بالتاريخ فكتب المسعودي جزء لا يتجزأ من مصادره الأصلية .

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ١٥

(٢) ١٨/١ و ٩٤/٤

(٣) نسبي ، ضفت لتأعينة تكري ٢٠١٢ ، حـ حي حيفة ، كتف لطمون ٢٧١ ، ٤٩٣ و ١٦٥٨/٢ ، الزركلي ، الأعلام ٨٧/٥

(٤) حاجي خليفة ، كشف الظنون ٢٧/١ و ١٦٥٨/٢ ، ١٦٥٩

(٥) الخربوطي ، للمسعودي ٤٨

(٦) كراتشكوفسكي ، تاريخ ١٨٦/١

ويُختَم القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) بـ ، أكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبة ... فلم يسبقه شخص في اتساع مجال أسفاره وعمق ملاحظاته وإخضاعه المادة التي جمعها لصياغة منظمة ^(١) . ذلكم هو محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري المقدسي ^(٢) وكتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) وقد نشره (دي خويه) في القسم الثاني من المكتبة الجغرافية العربية عام ١٨٧٧ م ونشر مرة أخرى عام ١٩٠٦ م ^(٣) .

ولا يهمننا هنا التوسع في ترجمته بالرغم من أنه يستحق الوقوف عنده كثيراً لوجود الكثير من الدراسات حوله ^(٤) .

ويهمننا هنا أن نعرّف بالهدف الذي كتب من أجله كتابه هذا ، فقد كان واضحاً أشدّ الوضوح من سبقه في تحديد الهدف حيث يقول : « وعلمت أنه باب لا بدّ منه للمسافرين والتجار ، ولا غنى عنه للصالحين والأخيار ، إذ هو علم ترغب فيه الملوك والكبراء ، وتطلبه القضاة والفقهاء ، وتجه العامة والرؤساء ، وينتفع به كل مسافر ومحظى به كل تاجر » ^(٥) .

(١) كراتشكوفسكي ، تاريخ ٢٠٨/١ ، ٢٠٩ . هذه الكلمة نقلها عن : اشيرنجر في دراسة عن المقدسي .

(٢) فرد المقدسي وكتابه دراسة عمية من قبل لاحت عدي يوسف مخصص تحت اسم . المقدسي ، لشري : حياته . مهجه ، دراسة كتبه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم من لاجبة لدرجبة ، طبع في لحت لأشرف ، لعرق ١٢٩٢ هـ ١٩٧٣ م) . لإضافة إلى محاء عند إسماعيل باشا ، هدية العارفين ٦٢/١ ، ٦٣ . وحاجي خليفة ، كشف الظنون ١٦/١ . والزركلي ، الأعلام ٢٠٢/٦

(٣) بروكلمان ، تاريخ ٢٥٤/٤

(٤) حصل اختلاف في سبته : إما المقدسي بسبه إلى السبب المُقدَّس ، وإما المقدسي بسبه إلى بيت المُقدَّس (انظر كراتشكوفسكي ، تاريخ ٢٠٩/١ . بروكلمان . تاريخ ٢٥٣/٤ هـ مش ١ .

(٥) أحسن التقاسيم ٢

لهذه الفئات كلها كتب كتبه الذي أنجاه سنة ١٣٧٥ هـ / ١٩٨٥ م^(١) .



ونستعرض معاً المنهج والأسلوب الذي اتبعه هؤلاء في كتبهم حسب التسلسل الزمني .

فاليقوي - الذي كتب كتابه موظفي الدولة - يذكر أسماء البلدان والمسافة بينها ، ومن فتحها ، ومتى فتحت ، فيخص الين^(٢) بذكر المراحل من مكة إلى صنعاء ، واصفاً هذه بأنها (المدينة العظمى التي ينزلها الولاة وأشرف العرب) ، ثم سرد الخاليف (الوحدات الإدارية) في الين والجزر اليمنية ، وبعض المدن الساحلية كعدن واصفاً لها بأنها (ساحل صنعاء وبها مرفأً مراكب الصين) .
وكان أسلوبه علمياً سهل المأخذ ، خالياً من العجائب والأساطير^(٣) .

أما ابن رسته فهو يركز على المدن العظمى ، فيكتب عن مدينتين من الين فقط : صنعاء ، ومدينة سبأ (مأرب) . وإذا كان قد ذكر مدينة مأرب باقتضاب شديد مكتفياً بالروايات القديمة ، فقد أطنب في وصفه لمدينة صنعاء حيث تفرد بهذا الوصف بين جميع من كتب عنها وأصبح مشهوراً به إلى جوار وصفه لمدينة القسطنطينية^(٤) .

وعلى خلاف ابن رسته فإن ابن خرداذبه الذي يؤلف للدولة يحدد قبلة المسلمين ، وطرق البلاد الإسلامية ، والتقسيمات الإدارية ، والمحطات البريدية

(١) المصدر نفسه ٩٠٨ ، ٦٦٠ قدم لمقدمي هذه نسخة في ل - م - ن ، ثم قدم نسخة أخرى في لف - طميين بعد ثلاث سنين ، وهي نسخة نتي رجع إليها ياقوت الحموي (نظر) .
كراتشكوفسكي ، تاريخ (٢٠٩/١) .

(٢) البلدان ٣١٧ - ٣٢٠

(٣) كراتشكوفسكي ، تاريخ ١٦١/١

(٤) الأعلام النفيسة ١٠٩ ، ١١٩ . كراتشكوفسكي ، تاريخ ١٦٤/١

بدقة متناهية تدلّ على أنه ينقل من أوراق رسمية ، متطرقاً إلى بعض الأخبار القديمة^(١) .

وشريكه في العمل قدامة بن جعفر يسير على المنوال نفسه . فحدّد المسافات من مكة إلى صنعاء^(٢) ، مما يوحى بمعرفته الدقيقة بهذا الطريق ، لأنه يعلق قائلاً : « وهذا الطريق هو الذي عليه الأميال ، وهو طريق العوامل والعمال »^(٣) فهو يريد أن يعرفنا بأن هذا الطريق حددت سكه (محطات) البريدية من قبل الدولة .

وهكذا يرسم بقية الطرق من مكة إلى كل من خولان وعمان ، ومن اليمامة إلى الين . ثم يخصص باباً للخراج الذي يؤخذ من الأقاليم ويدخل الين ضمن ذلك ، واضعاً قوائم للخراج محدداً زمن أخذها بدقة .

وللأصطخري طريقته الخاصة حيث جعل ديار العرب أول الأقاليم الإسلامية العشرين التي يذكرها في كتابه ، وجاء ذكر الين في أكثر من موضع من الكتاب سواء منفرداً أو مندرجاً ضمن الحديث عن بلدان أخرى^(٤) .

ويركز حديثه عن الين مبتدئاً بتهامة دون استقصاء أو ترتيب ، بل ذكر المدن الكبيرة كصنعاء وصعدة ونجران والمذيخرة وعدن ، وكان يتعرض بين الحين والآخر لمميزات بعض المدن ، ولقوى السياسية المتحركة فيها ، فأعطى معلومات قيمة في هذا الشأن .

ولم كان ابن حوقل نقلاً أميناً عن الأصطخري ، فمخرج عن ترتيبه

(١) المسالك والممالك ١٣٤ - ١٤٥

(٢) الخراج ١٨٧ - ١٩٠

(٣) المصدر نفسه ١٩٠

(٤) ورد الحديث عن بعض مناطق الين في كتاب مسالك الممالك في مواضع متناثرة بين ص ١٢

البتة ، إلا أنه وضع خريطة بدائية للجزيرة العربية يَبِّن فيها بعض المدن اليمنية الساحلية والداخلية ، ثم أعطانا معلومات غاية في الأهمية عن القوى السياسية الموجودة في اليمن المعاصرة له ومقدار ماتحصله هذه القوى من الضرائب ، وهذا هو الشيء الذي تفرّد به عن الأصطخري^(١) . وكما فعل هذا فعل ابن حوقل في ذكر المسافات بين مناطق الجزيرة العربية .

وكان المقدسي تاجاً على رأس هؤلاء الجغرافيين لبلوغه غاية الدقة في طرحه لمنهجه وأسلوبه وطريقته في عرض المعلومات ، مبيناً هذا كله في المقدمة ، وملتزماً به في كل محتويات الكتاب ، حيث جعل الإقليم الأول - من الأقاليم الأربعة عشر التي احتواها كتابه - (جزيرة العرب) وقسمها إلى أربع كور ، وجعل اليمن كورة ، ثم قسمها إلى قسمين ، جعل كل قسم أربع نواحٍ ، ثم استعرض مدن كل ناحية ، ويستطرد لسرد التحالف (الوحدات الإدارية) ، مبيناً قربها أو بعدها من المدن الكبرى لليمن .

ويلاحظ أنه لا يفرّد اليمن بعنوان مستقل ، ولكنه دمجها تحت عنوان : الجزيرة العربية ، فقد أنشأ عناوين صغيرة للإقليم مثل وصف المدن ، المذاهب ، التجارات ، المياه ، الأخلاق ... إلخ . ويتحدث عن اليمن كجزء من موضوع تلك العناوين^(٢) .

وله منهجه الدقيق الذي رسمه في مقدمته محدداً المصطلحات واختصرات . وكيفية تعامه مع المصادر ، وعدم بخس الآخرين ولا السرقة من تصانيفهم^(٣) . ورمزاً استخدم لسجع ليرضي بعض الناس ، ويعلى هذا صراحة لأن الأدباء

(١) صورة الأرض ٣١ - ٣٥

(٢) أحسن التقاسيم ٨٤ - ١١٢ ، الكورة : مصطلح إداري يفيد الضّع أو الناحية الكبيرة . (المعجم الوسيط ٥١٨ ، ٨٠٤) .

(٣) المصدر نفسه ٦ - ٨

يختارون النثر على النظم ، والعوام يحبون القوافي والسجع ^(١) .
ولا يضيفي الألقاب والتبجيل والتفخيم على من يرد في كتابه ^(٢) .

ولقد وجه نقداً لاذعاً إلى من سبقه من الكتاب كالبخعي وابن الفقيه
والجاحظ وابن خرداذبه ، مصوراً نفسه بطلاً مدعياً ادعاءات عريضة في بعض
الأحيان ، مع إنصاف للبعض ممن سبقه ^(٣) ، متميزاً بحساسية مرهفة حيث كان
يتلمس أي نقد قد يوجه إليه ، فيطرحه للمناقشة والرد والتحصيل ^(٤) .



إن أهم قضية في موضوعنا هذا هي معرفة مصادر الرحالة الجغرافيين ،
ويمكننا أن نصف هؤلاء لرحالة - من حيث استفادتهم من المصادر بصورة
تقريرية - إلى مجموعات أربع :

- المجموعة الأولى : ابن رسته ، اليعقوبي ، السعدي .
- المجموعة الثانية : ابن خرداذبه ، قدامة بن جعفر .
- المجموعة الثالثة : البخعي ، الأصطخري ، ابن حوقل .
- المجموعة الرابعة : المقدسي .

كل مجموعة تشترك مع الأخرى بنوع من المصادر ، وتفتقر عنها بنوع آخر .
ونستطيع أن نتبعها من خلال تقسيمها إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : كتب علماء اللغة والأدب التي دوت من خلال تتبعهم لمادة
اللغة العربية . فقد تطرقوا إلى جوانب عدة من تصاريح ومسميات اللغة ، وكان

(١) المصدر نفسه ٥

(٢) المصدر نفسه ٨ ، ٦٥

(٣) المقدسي ، آحين التقايم ٢ - ٦ ، ٤٣

(٤) المصدر نفسه ٦٨

همهم الأول إثبات هذه المسميات في كتبهم ، ومنها مسميات البلدان وأوصافها ، ولا نبالغ إن وافقنا كراتشكوفسكي في قوله : « إن الجغرافيا الوصفية التي يستفاد منها تاريخياً بصورة مباشرة نشأت أول منشآت على يد اللغويين »^(١) .

ولذا فقد صنفوا كتباً خاصة بوصف البلدان ، ولو راجعنا بعض ما جاء عن اللغويين في كتاب ابن النديم^(٢) لوجدنا مسميات جغرافية كثيرة ، حرص اللغويون على إثباتها ، واستفاد من ذلك المتأخرون أمثال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)^(٣) . وهؤلاء اللغويون هم رحالة بكل ماتعنيه هذه الكلمة .

هذا النوع من المصادر يجمع بين الأدب واللغة ، والجغرافيا والتاريخ . ولا نتردد في القول بأن من جاء بعدهم استفاد منه سواء من المؤرخين أو الأدباء أو الجغرافيين .

وبما أننا لا نملك الوصول إلى هذه الكتابات لانعدامها حتى نقارن بينها وبين ما كتب بعدهم إلا أن اليقين يظل يحوم حولنا لأن كُتِّب القرنين الثالث والرابع الهجريين استفادوا استفادة مباشرة حمة من الكتابات اللغوية . ويزداد هذا الأمر يقيناً معرفتنا أن بعض الجغرافيين كانوا في الأصل أدباء ولهم مؤلفات أدبية ولغوية^(٤) .

فاليقوي اعتمد « على مصادر أدبية ومعلومات ذكرها الرحالون »^(٥) .

(١) تاريخ ١٢٤/١

(٢) الفهرست ٧٧ ، ٨٢ ، ١٤٢ . كتب النظر بن شميل (ت ٢٠٣ هـ / ٨١٩ م) كتاب الصفات ، وهشام الكلي (ت ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م) كتاب البلدان ، والأصمعي (ت ٢١٦ هـ / ٨٣١ م) كتاب جزيرة العرب ... إلخ .

(٣) معجم البلدان ١١/١ كالأصمعي .

(٤) ابن النديم ، الفهرست ٢١٢ ، ٢١٣

(٥) بروكلمان ، تاريخ ٢٣٧/٤

ويظهر أثر هذا النوع من المصادر لدى ابن رُسْتَة بوضوح حيث أنه وصف مدينة صنعاء وصف المشاهد لها ، أو نقل عن وصفها بالمشاهدة لأن الشكوك تراودنا حول وصوله إلى الين كما سيأتي لاحقاً .

ولأن ابن خردادبه وقدامة بن جعفر برعا في التصانيف الأدبية فلا ريب من اطلاعهما على الكتب التي صنفها اللغويون حول البلدان ، ومن ثم فلا بدّ من أن يتأثرا بها ويأخذا جزءاً منها بالرغم من اعتمادهما الأكبر على الوثائق الرسمية ، كما سيتقرر هذا فيما بعد .

ولقد اشترك كل من الأصطخري وابن حوقل في معلوماتها ومصادرها حيث نلاحظ هذا - عند حديثهما عن الين - من خلال الصيغ التعبيرية التي وردت في كتابيهما . فكلمة (بلغني) تكررت عند الأصطخري خمس مرات ^(١) ، وتكررت عند ابن حوقل أربع مرات ، وفي المواضع نفسها ^(٢) .

وذكر كل منهما كلمة (يحكى) مرة واحدة في الموضع ذاته ^(٣) .

وكما هو معروف أن ابن حوقل كان ناقلأ أمينأ عن الأصطخري فيكون هذا هو الذي استقى معلوماته عن طريق الإبلاغ أو الحكاية . وربما وجد ذلك في كتب علماء اللغة ، وربما سمعها من غيرهم .

ويظلّ المقدسي متفردأ - بحق - على الجميع . فعرف كيف يستخدم معلوماته ومعارفه وذكاءه . ولا تنقصه الخبرة اللغوية في استخدام الأسلوب الأمثل ، ولا يعوزه الذكاء الذي وظفه لانتقاء معلوماته ببراعة ، محدداً مصادره بدقة متناهية ، ناقدأ للناقص ، مشيدأ بالمفيد ، منصفأ للجميع .

(١) مسالك الممالك ٢٥ ، ٢٦ .

(٢) صورة الأرض ٤٣ ، ٤٥ .

(٣) مسالك الممالك ٢٦ . صورة الأرض ٤٥ .

فهو في مقدمة كتابه (أحسن التقاسيم) يرسم معالم منهجه وطريقته في التعامل مع المصادر ، فانتقد ضمن من انتقد الجاحظ^(١) وهو أحد علماء اللغة والأدب ، وهذا يعني أنه رجع إلى مصادر لغوية وأدبية ، ولم نجد أصرح منه وهو يعبر عن هذا الرأي وأنه رجع إلى ، ما وجدناه في الكتب المصنفة في هذا الباب وغيره^(٢) وبالبداية أن من ضمن هذه الكتب مصنفة كتب أهل اللغة ولأدب .

النوع الثاني : الإسناد إلى مصادر سابقة سواء أكانت روايات مسندة إلى قائلها أم إلى مصادر مكتوبة مؤلفة من قبل مؤلفين سابقين لهم في هذا المجال ، أو سمع من أهل البلد التي دخلوها أو سألوا أهلها عن بلادهم في مناطق أخرى .

فالروايات المسندة ، غالباً ما تنقل عن الأخباريين صحيحها وسقيمها على السواء ، ولرحالة سمعوا بعض تلك الروايات التي أصبحت جزءاً من التراث الشعبي عند الناس .

ومن هذا القبيل ما أشار إليه اليعقوبي^(٣) بكلمة (زعموا) ، وابن رسته^(٤) بكلمة (ذكر أهلها) أو (يزعم أهل سبأ) .

وقد تستقى المعلومات عبر لروايات المسندة إلى قائنها كما فعل ابن رسته^(٥) .

أما الأصطخري وابن حوقل فقد ابتعدا عن هذه الأخبار كثيراً إلا في النادر حينما ذكر ابن حوقل^(٦) أخباراً يمنية قديمة .

(١) حسن تقسيم ٣ - ٢

(٢) أحسن التقاسيم ٤٣

(٣) البلدان ٣٦٦

(٤) الأعلام النفيسة ١١١

(٥) المصدر نفسه ١١٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ . انظر : الهمداني ، الإكليل ٢٤/٨ ، ٢٥ ، تحقيق / نبيه أمين فارس .

(٦) صورة الأرض ٣١

إلا أن كلمة (زعموا) و (يحكى) تكررت عند كل منها في مواضع واحدة ، وهو دليل على أن الأخير نقل عن الأول ، وأن هذه المعلومات أسندوها إلى مجهولين ، وخاصة كلمة (يحكى) التي أوردها الأضطخري ^١ عند رواية الأساطير مؤكداً على أنه « لا يستجيز حكايتها » .

ولا يخفى أن المقدسي ^٢ قد وضع طريقة تعامله مع المصادر ، فخير الذي لم يقبله أسنده إلى صاحبه أو يقول : « زعموا » .

وكانت كتب من نتحدث عنهم مصادر أيضاً لمعلومات ، فالمتقدم كان مصدراً للمتأخر . ولا نعدو الحقيقة إن وافقت كرتشكوفسكي ^٣ حينما يؤكد على قدامة واليعقوبي وابن رُسْتَه والأضطخري وابن حوقل والمقدسي والمسهودي تأثروا بابن خرداذبه .

واستقى ابن حوقل ^(٤) معلومات عن قدامة بن جعفر ، ويؤكد الخربوطي ^(٥) على أن ابن حوقل تأثر بالمسهودي ، ولم يبين مصدره إلا أنه احتمال قوي ، لأن ابن حوقل بدأ رحلته في الوقت الذي كان لمسهودي قد ألقى عصا الترحال بعد عناء ومشاق .

وكعادة المقدسي فقد وضع هذه العبارة وهو يحدد مصادره : « ما وجدناه في نكتب المصنفة في هذا الباب وفي غيره ، وما بقيت خزانة ملك إلا وقد لزمته » .

(١) مسالك الممالك ٢٦

(٢) أحسن التقاسيم ٢ ، ٨

(٣) تاريخ ١٥٨/١

(٤) صورة لأرض ٧ . كتب أحمد نعيق عن غسوطية وهو أبو القاسم محمد خوقلي البغدادي

- وكأنه من ورثة ابن حوقل - بأن من مصادر ابن حوقل : ابن خرداذبه وقدامة بن جعفر .

(٥) المسعودي ٤٩

ولا تصانيف إلا وقد تصفحتها ، ولا مذهب قوم إلا وقد عرفتها ^(١) . ورجع إلى مصادر حددها في مقدمته منها : كتب ابن خرداذبه وقدامة بن جعفر ^(٢) .

ومع هذا نجده يأخذ معلومات عن مخليف اليمين من كتب ابن خرداذبه دون الإشارة إليه ^(٣) . ولكن هذا وفق شرطه الذي يحدده بقوله : وحكيما ماسمعناه فما صح عندنا بلعائنه وأخبر لتواتر أرسلنا به القول ، وما شككنا فيه أو كان من طريق الأحاد أسدنا إلى الذي منه سمعناه ^(٤) .

وسار المقدسي ملتزما بهذه الطريقة ، ولم يحد عنها ، فهو يسترسل في سرد المعلومات دون إشارة إلى مصدره ، وإذا ما شك أسند : إما سمعنا وإما إسند رواية وإما إلى مصنف سبقه .

النوع الثالث : الوثائق الرسمية التي كانت في دواوين الدولة سواء ما يخص الأمور الإدارية أو المالية أو السياسية .

فالجهاز الإداري للبريد " خضع لتنظيم جيد في العهد الأموي ، واستدعى إعداد رسوم تخطيطية لمختلف الطرق ... ومثل هذه الرسوم قد وجد بلا ريب في دواوين الحكومة ، واستغلها بعض مؤلفي العصر العباسي في وضع مؤلفات في هذا الميدان وصلت إلينا ^(٥) .

هذا إلى جانب دواوين الخراج التي تضم العديد من الوثائق المالية ودواوين الجند وكثير من الدواوين التي أنشئت في العهد الأموي والعهد العباسي الأول .

(١) أحسن التقاسيم ٤٣

(٢) المصدر نفسه ١٠٥ ، وانظر : ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ١٣٦ - ١٤٣

(٣) أحسن التقاسيم ٨٨

(٤) المصدر نفسه ٨

(٥) كراتشكوفسكي ، تاريخ ٦١/١

هذه الأجهزة الحكومية لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون خالية من الوثائق الرسمية ، ولا يمكن أيضاً تصور أن المؤلفين لم يستفيدوا منها ، خاصة أن بعضهم إم أنه كان موظفاً في الدولة كاليقوي وابن خرداذبه وقدامة ، وإما كان على صلة بالدولة وموظفيها ، وتمكن من الاطلاع على وثائق محفوظة لديهم مثل ابن حوقل والمقدسي .

فاليقوي - الكاتب الذي عاش مع جده وأبيه وكانا من كبار عمال البريد^(١) - وابن خرداذبه - الذي كان أئوه أميراً من أمراء الدولة العباسية - يتشابه نقلهما فيما يخص مآليف الين . صحيح ليس مرتباً ترتيباً واحداً عندهم ، ولا يلتقيان في زيادة المعلومات التي جاءت عند ابن خرداذبه على غير ما هو عند اليقوي ، إلا أن هذا التشابه يثني بأنها رجعا إلى مصدر واحد في هذه المعلومات ، ولا يخرج هذا المصدر عن الوثائق الرسمية ، لأن كلاً منهما كان موظفاً في الدولة ، بل إن وظيفة ابن خرداذبه كانت وظيفة هامة ودقيقة ، كونه تولى أمر البريد الذي كان يخشاه الولاة والعمال ، لارتباطه مباشرة بالخليفة ، وكانت من مهماته تتبع أخبار الولاة وإيصالها إلى الخليفة^(٢) .

فن أين له^(٣) مثلاً : معرفة السكك (المحطات) البريدية في الين التي وصل عددها إلى ثمانين محطة برّيدية ؟

ومن أين له^(٤) أن يعرف الميزانية المرصودة لتحسين مستوى أداء البريد والإنفاق على كل ما يؤدي هذه المهمة على الوجه المطلوب ؟

(١) كراتشكوفسكي ، تاريخ ١٥٨/١ ، ١٥٩ ،

(٢) حسن إبراهيم حسن ، النظم الإعلامية ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،

(٣) السالك والمالك ١٤٣ ،

(٤) المصدر نفسه ١٥٣ ،

ومن أين لقدامة^(١) أن يعرف ويدون في كتابه تلك القوائم المالية الدقيقة التي وردت بصورة منظمة تحتوي على العديد من الأنواع والأموال الواردة إلى خزينة الدولة ؟

من أين لهما ذلك إن لم يكن مصدرهما هو الوثائق الرسمية الحكومية ؟

ولقد أشار قدامة^(٢) مرة إلى كلمة (الدواوين بالخدمة) أي في خدمة الخلافة ، وأنه رجع إليها ليأخذ منها بياناً بما ارتفع من الخراج من أراضي الدولة . وكذلك ابن حوقل^(٣) الذي أوصل إلينا بياناً بالواردات المالية للقوى السياسية التي تتحكم في اليمن في الثلث الثاني من القرن الرابع الهجري .

ولم يفر من هذا المقدسي أيضاً ، فهو يعدد أنواعاً من الضرائب والمكوس ومقدار ما يؤخذ من كل نوع من أنواع السع الداخلة إلى زبيد وعدن وغيرها . وربما استقى هذه المعلومات من ملاحظته الشخصية ، أو استفساره من التجار . ومع هذا فهو يريخذ بالاعتراف بقوله : وشحنه - أي كتابه - بفصول وجدته في خزائن الملوك^(٤) .

وهكذا نستطيع أن نقرر أن لوثائق الرسمية سواء المحفوظة في دواوين الدول الإسلامية أو المحفوظة لدى رجال هذه الدول كانت مورداً غزيراً لكل من صنف في هذا المجال .

النوع الرابع : الرؤية والمشاهدة ، ويظهر هذا المصدر عند المقدسي بصورة صريحة ، وعند ابن حوقل بقرائن مقنعة ، وعند ابن رسته بتلميحات واضحة .

(١) الخراج ٢٣٦ - ٢٥٢

(٢) الخراج ٢٣٦ ، ٢٣٧

(٣) صورة الأرض ٢١ - ٢٥

(٤) أحسن التقاسيم ٣٠ ، ٤٣

أما البقية فإن الأمل ضعيف في أن نجد دلائل أو قرائن تدلّ على وصولهم اليين أو أنهم وصفوا ما شاهدوه .

فاليقوي^(١) يريحنا من أول وهلة ، إذ يخبرنا أنه كان يدوّن المعلومات التي يتلقاها من سكان أهل البلدان ، وأنه سأل خلقاً كثيراً ، وعلماً من الناس عن كلّ شيء في أقاليمهم في الموسم وغير الموسم ، وقد جمع هذه المعلومات ليخرج كتبه (البلدان) .

إن تصريحه هذا يرفع عنا الكلفة ، إذا ما جزمنا بأنه لم يدخل اليين وإن سمع أخبارها عن أهلها القادمين إلى مواسم الحج . بالإضافة إلى الوثائق الحكومية والمصادر التي سبقته كما بيناه آنفاً .

أما ابن رُسته فإنه يوقعنا في حيرة ، فهو من ناحية لا يقول ولا يأتي بأي عبارة تدل على دخوله مدينة صنعاء .

ومن ناحية أخرى يرى القارئ وصف ابن رُسته لمدينة صنعاء وكأنه رآها رأي العين ، ولذا فهو يكتب ما رآه . يصف وصف الوثائق للاقدر الفوقية الذي لا يكتفي بالكلمات الباردة ، بل سرعان ما يشدّ القارئ بتدقيقاته وأسلوبه وأحاسيسه . دون أن تلمس إشارة إلى أنه رأى هذا الشيء أو لمسه أو قرأه أو سمعه من غيره . بل نلاحظ كأن الرحل يسير في طرقات المدينة يصف هذا ويشرح ذاك . وإذا ما اعترضته معلومة قدعة ينسها إلى (فقهاء تلك الناحية) أو (فقيه منهم) دون تحديد اسم لهذا أو ذاك . وربما يترجح لدينا دخوله صنعاء فعلاً ، على عكس بقية اليين . لأنه مثلاً حين يتحدث عن (شبام) يأتي بكلمة (زُعم) المبنية للمجهول ، أو عن (مأرب) يقول : « ذكر أهل سبأ »^(٢) ، أما

(١) البلدان ٢٣٢ ، ٢٣٣

(٢) الأعلام النفية ١١١ ، ١١٣ . شبام :- بكر الثين - وهي شبام كوكبان وتقع في الغرب

الشمالي من صنعاء (الحجري ، مجموع بلدان اليمن ٤٤١/٣) .

صنعاء فهو يصفها وصف الواثق الرائي اللامس المعاش . مما يدلّ على أنه دخلها أو أنه نقل عن مصدر آخر فيه كل هذا الوصف . إلا أنه كما صرح كان في مكة عام ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م ' فليس ببعيد أن يكون رحل إلى اليمن ، وهذا تقليد مألوف عند المسلمين في مثل هذا العمر ، مما يدلّ على رسته صاحب دائرة المعارف الموسوعة (الأعلام النفيسة) .

ويؤكد احتمال دخوله صنعاء أنه قارن بين وادي السرار (السائلة)^(١) الذي يشق مدينة صنعاء - بنهر دجلة لتوسطه المدينة ، ومما لا ريب فيه أنه رأى نهر دجلة ، ولذا جعله مشبهاً به لشيء رآه فتواردت إليه صورة ذلك النهر . بالإضافة إلى هذا ، أن المعلومات التي أوردها عن بني يعفر وسور صنعاء معلومات معاصرة لهما الكاتب بنفسه .

وأشير أخيراً إلى مرجح آخر لدخوله صنعاء ، وهو أن الرحالة المسلمين في هذه الحقبة لم تكن عندهم الرغبة في الإشادة بأنفسهم ، فلم يرددوا كلمات (رأيت هذا ، شاهدت كذا ، تفحصت كذا ، عملت كذا) لأنهم كانوا مشغولين بتدوين ما يرونه ووصفه وصفاً مجرداً ، فابن رسته هذا بالتأكيد دخل مكة والمدينة ووصف الحرمين الشريفين وصفاً في غاية الدقة ، ومع هذا لم يشر إلى نفسه بشيء ، وهذا هو نفسه الذي فعله في وصفه لمدينة صنعاء .

أما ابن خردادبه ، فإن الغالب أنه تولى مناصب إدارية مالية وبريدية في مقتبل عمره ، واتجهت رغبته حول الأدب ، ثم أصبح مشهوراً في هذا الجانب ، وقربه الخلفاء العباسيين إليهم ، وطلب منه أحدهم أن يؤلف كتابه (المسالك

(١) المصدر نفسه ٧٣ ، ٧٥

(٢) سائلة صنعاء : ود يشق مدينة صنعاء ويسعد إلى شعوب . وفيها ترمي مياه الأمطار السالكة من بلاد سنجان وما إليها (الحجري) ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ٤١٣/٣

والمالك) ، وهذا كله يدلّ دلالة كاملة على أنه لم يدخل اليمن ، ومن ثمّ فعلوماته ستقارن من مصدر أخرى غير المشاهدة وهو نفسه لم يدع هذا في كتبه .

ويشبهه في هذا الاتجاه قدامة بن جعفر فهو أديب أولاً ، وكاتب في الخراج والبريد ، أو كل ما يهم موظفي دواوين الدولة وأهمهم أصحاب البريد وأصحاب الخراج ثانياً . ولخبرته في هذا المجال أراد أن يقدم حيلة هذه الخبرة لمن بعده ، ولم يزعم لنفسه الرحلة والتجوال والوصول إلى الأصقاع البعيدة ومنها اليمن^(١) .

وإذا لم يكن للثنائي الإداري وصول إلى اليمن ، فإن الثنائي الجغرافي (الأسطخري وابن حوقل) يتشابه مع الثنائي الأول ، إلا أننا يمكننا التفريق بين الأسطخري وابن حوقل ، فالأول كان مؤلفاً مكتيباً فما قرأه أو سمعه صاغه بعبارة ليخرج كتاباً وهذا هو دوره فقط .

أما ابن حوقل فقد ندمغه بهذا الحكم للفعل الذي قام به وهو استعارة المادة العلمية عند الأسطخري لباً وقالباً ونصاً وحرفاً ، ولكن الذي يكبح جماحنا عن هذا الحكم تلك الإضافات الهامة التي وردت في كتابه عن الأحوال المالية في اليمن^(٢) . وقد افترضنا آنفاً بأنه ربما تحصل على ذلك من خلال صلاته بالدول وموظفيها .

وما دام ابن حوقل قد طاف البلدان حوالي ثلاثين عاماً ، فلا نشك في وصوله إلى مكة ، وما دام أيضاً قد أتقنا معلومات عن دول محلية يمنية ، فإن الغالب أن يكون قد وصل إلى اليمن وخاصة مدينة (زبيد) المقر الحضاري لليمن في تلك الحقبة .

(١) ابن النديم ، الفهرست ٢١٢

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ٣١ - ٣٥

والمقدسي يأتي - غالباً - كسك الختام . فيكرر في مقدمة كتابه^(١) ما يدل على المشاهدة والرؤية مثل : « وقد ذكرنا ما رأينا » ، « فما صحَّ عندنا بالمعينة » ، « وما لم يكن لي بدٌّ من لوصول إليه والوقوف عليه قصدته » ، « فانتظم كتابنا هذا ثلاثة أقسام : أحدها ما عايناه .. » ، « إن هذا يكفين دليلاً ، فما بالنّا إذا ما صرح المقدسي بأنه أقام في اليمن عاماً كاملاً^(٢) . ويكرّر القول أكثر من مرّة بأنه يصف مشاهده وعائنه من اليمن ، ويعترف أيضاً معتذراً عن عدم دخوله بعض البلدان اليمنية ، وأنه سيثبت ما سمعه من أهل الخبرة عنها^(٣) .



إن الاستطراد الذي ملأ الصفحات السابقة يدعونا لوقفه استراحة بعد اللهات الطويل ، وفي حال استراحتنا هذه نتساءل : ترى هل استفاد المؤرخون من المعلومات التي وردت في كتب الجغرافيين والرحالة ؟
الإجابة على هذا التساؤل تزعج وقفه استراحتنا هذه . ولكن لا بدّ مما ليس منه بد .

إن من الواضح أن كتب الجغرافيا الوصفية والرحلات تحتوي على معلومات حضارية [اجتماع ، اقتصاد ، إدارة ، فكر] ومن الواضح أيضاً أن كتب التاريخ الإسلامي ينصب اهتمامها على الجوانب السياسية والعسكرية بوجه خاص . ومن ثمّ فما الذي يدعومهم إلى الاستداد من كتب الجغرافيين والرحالة ؟ فلا هم يستعرضون المظاهر الحضارية المختلفة ، ولا يميلون إلى دراسة المجتمعات لأنهم ينظرون إلى الأحداث الكبيرة - في حسمهم - الظاهرة للعيان التي تؤثر في

(١) أحسن التقاسيم ٣ ، ٨ ، ٤٣

(٢) أحسن التقاسيم ٨٨

(٣) المصدر نفسه ٨٦ ، ٨٨

الأوضاع السياسية والعسكرية ، ولا يرغبون في دراسة (البنية التحتية) كما يعبر عنها أصحاب علم الاجتماع . لا يعملون على دراسة عوامل لصعود وعوامل الانحدار في المجتمع من خلال النظرة الفاحصة لما يدور في وسط المجتمع ، ربما لم يفعلوا ذلك لأنهم يشعرون أن غيرهم يفعل هذا ، وأن مهمتهم محددة ، وهي تسجيل وتدوين الأحداث الظاهرة المؤثرة ... ولكن غيرهم لم يفعل هذا بشمولية ، وإنما نلتقي ببعض الشذرات من المعلومات في غير مظانها .

وحق لا نتجنى على مؤرخينا الأفاضل وننكر فضلهم ، فإنا نعترف بوجود معلومات حضارية كثيرة في كتبهم . لاحظوه بأنفسهم فسجلوها أو رجعوا إلى كتب الرحالة والجغرافيين فاستقوها منها ، ولكنها بصورة عارضة .

وربما رجعوا إلى كتب الرحالة والجغرافيين فأخذوا عنهم المعلومات التي ترتبط بالجوانب السياسية والعسكرية وكذلك المالية .

واختتم هذا البحث بالدعوة إلى بذل الجهد لدراسة كتب الجغرافيين والرحالة دراسة متأنية ، مستعينين بعلوم عدة لتصوير الحياة الإسلامية في القرون الأربعة الأولى ، والوصول إلى عوامل النهوض والقوة في المجتمع الإسلامي ، وعوامل الانحطاط والضعف التي اعتورته أيضا وثرت في سير تقدمه .

اليمن

في عيون الرحالة المسلمين في القرن الرابع الهجري^(٥)

(الرحلة) في الحصار الإسلامية ، بالرغم من أنها كلمة لها مدلولها
"اللعوي" ، الدال على الترحال إلا أنها - وهذا هو جانب المصطلح فيها - تعد
مصطلحاً علمياً تربوياً متداولاً في وسط العلماء . فطالبت العلم يخرج من بيده
بعد أن يحصل ما فيها من علم إلى البلدان الأخرى أو المراكز العلمية المتفرقة
لتحصيل العلوم ولقاء العلماء والشيخوخت للتلقي عنهم ومذاكرة العلم معهم .
واعتبرت الرحلة من لزوميات طلب العلم^(٦) ، بل هي وسيلة من وسائل التعليم
المعروفة في تاريخ الإسلام العلمي^(٧) ، وكان العلماء يحنون لطبقة على الرحلة .
وقلما نجد بين العلماء من لم يرحل في طلب العلم^(٨) .

وهذا يجزنا لتحديد أنماط الرحلة :

-
- (٥) محاضرة أقيمت في الأسبوع الثقافي الأول بكلية الآداب / جامعة صنعاء ، أكتوبر ١٩٨٨ م .
وشترته مجلة الإكليل البنية ، العدد الأول ، السنة السابعة ، ربيع ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م .
- (١) ابن منظور ، لسان العرب ١٦٠٩/٣ - ١٦١١ ، المعجم الوسيط ٣٣٥/١ ، القاهرة ، البستاني ،
منجد الطلاب ، ٢٣٦
- (٢) السيوطي ، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ١٤٢/٢
- (٣) حس عبد لعال (دكتور) ، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١٥٦ ، ن صلاح .
مقدمة ابن الصلاح ٣٦٩
- (٤) منير الدين أحمد ، تاريخ التعليم عند المسلمين ٦٥

فقد كان المسلمون الأوائل يؤكدون على أن رحلاتهم إما ركوب الإبل إلى بيت الله للحج ، وإما ركوب الخيل في الجهاد كما عبر عن ذلك عبد الله بن مسعود^(١) . وبالطبع يكون في الجهاد التعلم والتعليم مصداقاً للآية القرآنية الكريمة : ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾ [التوبة ١٢٢] .

إلا أننا لانفعل أنماطاً أخرى من الرحلات : فهناك الرحلات التجارية . وقد امتن الله سبحانه على قريش بأن هياً لهم الأمن في وسط القبائل العربية . وأتاح لهم رحلتين تجاريتين هامتين : رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في الصيف إلى الشام ، حتى آلت قريش هاتين الرحلتين على مدار العام للتجارة^(٢) .

ولم تكف الرحلات التجارية في ظل الدولة الإسلامية سواء بين أمصار بلاد الإسلام أم بين دار الإسلام ودار الكفر أو الحرب أي بين الدولة الإسلامية وبين الدول المجاورة .

وكانت الطرق التجارية تحترق البدار شرقاً وغرباً وتقدم لأسواق التجارية الموسمية منها والأسبوعية ، ويرتحل إلى هذه الأسواق العديد من القوافل التجارية .

وبعض الرحالة الذين ستنطرق لحدث عنهم هم في الأصل يبحثون عن أرزاقهم من خلال التجارة ، ونجوار التجارة كانت لهم اهتمامات علمية جعلتهم يدونون مشاهداتهم في كتب أصبحوا بها مشهورين مثل ابن حوقل الذي ألف كتاب (صورة الأرض) .

(١) ابن منظور : لسان العرب ١٦٠٩/٣

(٢) راجع - إن شئت - تفسير سورة قريش من كتاب فتح تقدير الجمع بين فني الرواية والدراسة للشوكاني ٤٩٧/٥ - ٤٩٩

وهناك رحلات يمكن أن يُطلق عليها رحلات إدارية كان يقوم بها موظفون في الدولة الغرض منها تحديد المناطق والمراحل بينها ، ورسم صورة عن الأمصار الإسلامية ، وتعيين المسافات بينها ، وكيفية الوصول إليها ، والطرق لمسلوكة ووصفها ، لكي يكون لدى الدولة العلم الكافي عن البلاد التي تحكمها .

إن أبرز كتابين ألفا في القرن الرابع الهجري عن الرحلات الإدارية كانا لموظفين في الدولة العباسية . أحدهما كان موظفاً على الخراج وهو قدامة بن جعفر (ت / ٢٢٠ هـ) الذي ألف (كتاب الخراج وصنعة الكتاب) .

والآخر كان موظفاً على إدارة لبريد وهو المعروف بابن خرداذبة (ت في حدود ٣٠٠ هـ) وقد ألف كتاباً أسماه (المسالك والممالك) .

وكانت وظيفة البريد في العصر العباسي الثاني تعد مهمة جد . لأنها تقوم بنسج أبحر الولاة ولرعيه وإيصالها أولاً بأول إلى الخليفة . حتى مشاكل الناس اليومية وأسعار سلعهم^(١) .

وهناك رحلات عمية حاصلة إما لتتقي العلوم والمعارف ، أو لمعرفة لبلدن وتسجيل المشاهدات حولها ، وقد يدرس لرحلة عملاً حاصلاً في رحلاته هذه . ليكسب ما يتزود به . سواء أكانت حرفة مهنية أو تجارية أو شغل وظيفة في دولة من الدول التي يدخلها بصفة مؤقتة ، أو غير ذلك مثل لمقدسي الذي اشتغل في تجليد الكتب حينما استقر في عدن^(٢) . وابن حوقل (توفي بعد ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) . الذي عمل لحساب الدولة الفاطمية . فكان يتنقل في الأمصار ويدخل المناطق التي ليست تحت نفوذها ويمدها بما تحتاج إليه من أخبار^(٣) . وعرف كتابه باسم (صورة الأرض) .

(١) صبحي الصالح (الدكتور) ، النظم الإسلامية ٢٢٢

(٢) أحسن التقاليم ٨٨

(٣) أحمد رمضان ، الرحلة ١٣٦

ويدخل في إطار الرحلات العلمية نوعان :

النوع الأول : الرحلات العلمية كوسيلة تعليمية وهي المصرح بها في كتب الحديث وكتب التربية والإعداد الإسلامية ، وهذا النوع أخص إلى أنفأ ، وقد كثرت رحلات العلماء من هذا النوع من اليمن وإليها في القرون الثلاثة الهجرية الأولى ، وليس هذا مجال طرح لنماذج المتعددة في هذا الشأن ، ولكنني أريد أن أشير إلى ومضات منها ، وهي في حجة إلى جهود من الباحثين حتى يخرجوا لف وسيلة فعالة من الوسائل التعليمية التي أدت إلى نتائج باهرة لا تكاد تصدق . ويكفي أن بعد من نتاجها ذلك التلاحق الفكري والثقافي والتعليمي بين المشرق والمغرب ، وأصبحت لكتب لعمية متبدلة بين العلماء هذا وهناك^(١) .

أم النوع الثاني : فهو الرحلات لعمية جغرافية الاستكشافية وتدوين الملاحظات والمشاهدات في كتب خاصة ، وكان لأصطخري (ب ٣٤٦ هـ) ولقدسي (ت ٢٨٠ هـ) يمثلان هذا النوع خير تمثيل ، فألف الأصطخري كتابه مشهور (مبادئ المثلث) ، أما المقدسي فقد ألف كتابه الفد المعروف (بأحسن التقسيم في معرفة الأقاليم) ليكون أحسن ما ألف في هذا المضمار حتى القرن الرابع الهجري .

ولم يكن هدف هؤلاء الرحالة هو مجرد تسجيل مشاهداتهم فقط ، وإنما كانوا يرحلون من وراء ذلك إفادة الدولة في محتاج إليه ، لربطها بالمناطق ، وتلبية حاجة الحجاج في معرفة طرق سيرهم ومحطات طرقهم ، وهي أيضاً خدمة للتجار لتعريفهم بالبلدان وما تنتج كل بلد لتكون هذه الكتب كدليل لأي مسافر

(١) مير لدبي ، تاريخ التعميم ٦٧ ، والترجي ، طبقت الخوص ٥٠ ، مخزومة ، تاريخ ثمر عدن ٣٠٢ ، ١٤٢ ، ونظر حياة لعمية في اليمن في قرين لنالثل ولربع للهجرة ١٥٧ - ١٦٤ ، لصاحب هذه الدراسة .

يحملها . بالإضافة إلى أن كتب الرحالة هؤلاء عُدَّت من الكتب الأدبية الشعبية .
لأنها تعتمد على الملاحظة وحكاية ما رأوه في رحلاتهم^(١) .

والرحلة الخمسة - ابن خرداذبة ، وقدامة بن جعفر ، والأصطخري ،
وابن حوقل ، والمقدسي - سنكون بصحبته في رحلاتهم هذه . من خلال
مشاهداتهم التي دوت في كتبهم الخمسة المطبوعة - كلها - مطبعة بريل بمدينة
ليدن ، هولندا .

وسحاول رسم هذه المشاهدات بعد تقسيمها إلى مشاهدات إدارية وسياسية ،
ومشاهدات اجتماعية ، ومشاهدات عمرانية ، ومشاهدات علمية .

المشاهدات الإدارية والسياسية

بالرغم من أن الين في القرن الرابع الهجري كان من الناحية الإدارية تحت
قوى سياسية متعددة متفرقة الاتجاه ، وأن القوة التي ترتبط بالدولة العباسية
وهي (اليعفرية والزيادية) لم تكن ترتبط بالعباسيين إلا برباط سمي فقط ،
بالرغم من ذلك ، فإن لدولة العباسية وهي توجه موظفيها أو أن موظفيها أنفسهم
يجعلون الين ضمن إطار حديثهم عن التنظيمات الإدارية للدولة العباسية .

وكان أهم وأول كتاب يعنى بطرق البريد وسككه ، وتوضيح لمسافات بينها
هو كتاب (المسالك والممالك لاس خرداذبة) المعين مديراً للبريد في عهد المعتمد
العباسي (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ / ٨٧٠ - ٨٩٢ م) الذي تميز عهده بتعاش لخلافة
العباسية :

وقد ركز ابن خرداذبة حديثه عن الين من الناحية لإدارية على تحديد
المسافات بين البلدان اليمنية ، ابتدأها من الشمال قادماً من مكة مخترقاً وسط

(١) شوقي ضيف ، الرحلات ، ١٢ .

السلاسل . حتى وصل إلى عدن وحضر موت . ثم عاد من الجنوب نحو الشمال ، ولكن في مناطق ساحلية ، ثم لتصل لعري لصعد . فجعل هذه المدينة مركزاً يحدد المناطق من خلالها .

وهو لا يكتفي بذكر المسافات فقط ، بل يسرد الوحدات الإدارية المعروفة يومذاك بالخليف - جمع مخلاف - فعد ٧٦ (ستة وسبعين مخلاً) ، ويعرج بين الفينة والفينة إلى بعض ما تميز به كل مخلاف^(١) .

وهو بهذا يؤكد على ما استقر عليه الوضع الإداري لليمن ، حيث أصبح اليمن ولاية واحدة تحت إمرة أمير واحد ، ثم تنتظمها عدة مخاليف صغيرة .

وهذا ما يؤكده قدامة^(٢) المثلث عن الخراج في عهد الخليفة المقتدر بالله (ت ٣٢٥ هـ ٩٣٦ م) . حيث ذكر مجموعة من الخاليف دون ترتيب ، لأنه لم يكن هم ذكر الخاليف قدر ما كان هم حديد مدبرين أو المخططات التي يمكنهم أن يخطو فيها رحلتهم . فذكر هذه الخاليف عرضاً . وكما بدأ ابن حرددة من مكة . بدأ بقدمته من مكة فجعلها مركزاً ولكن خلافاً لاس حرددة فقد رسم الطريق منها حتى وصل إلى صنعاء فقط ، ثم اتجه إلى عمان والبحرين والعمرة ورسم الطريق بينها وبين اليمن ، ثم واصل سيره على ساحل اليمن حتى وصل إلى مكة .

بينما نلاحظ الأضطخري^(٣) لا يرى حاجة إلى ذكر المسافات والمنازل بالتفصيل ، بل يجمع إجمالاً مقتصراً على مجموع المراحل أو المسافات بين البلدان ، ويقرر أن هذا ما يحتاج إلى عمله . أما غيرها فلا تحتاج إلى معرفة فيذكر الطريق

(١) المسالك والممالك ١٣٥ - ١٤٤

(٢) الخراج وصناعة الكتابة ١٨٩ - ١٩٣ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩

(٣) مسالك الممالك ٢٣ - ٢٨

الساحلي من (عمان) حتى (جدة) ، وبعض المسافات بين المدن الكبيرة في اليمن . ومثله ابن حوقل^(١) الذي لا يزيد عما جاء به الأصطخري فتحدد لديها لطرق ومراحلها التهامية منها والجببية . وقد حصرت هذه المراحل في ما يزيد عن خمسين مرحلة . وهذا نفسه يشي بأن هذه المراحل هي محطات بريدية معروفة للمسافرين أو ينبغي أن يعرفها المسافرون ، وهذا الذي صرح به الأصطخري .

وفي إطار الرؤية والمشاهدة الإدارية - أيضا - يعطينا ابن خرداذبة خريطة بريدية يحدد فيها مسار محطات البريد في أنحاء اليمن . وهذه المحطات كانت تسمى (سكة) . وهي الموضع الذي كان يسكنه الفيوخ (جمع فوخ) . وهم مجموعة من الموظفين المرتبين في بيت أو قبة أو رباط . وكان في كل سكة بغل ومؤنة الطريق . وتكون المسافة بين السكة والسكة فرسخين وقيل أربعة^(٢) . وبهذا يمكن أن نطلق على هذه لسكة دار لبريد أو محطة البريد أو إدارة أصحاب البريد^(٣) .

وقد أحصى ابن خرداذبة المحطات البريدية في اليمن . فأنشئت خمس محطة (سكة) بريدية . ولا شك أن هذا الإحصاء نابع من خبرة ومعرفة أكيدة من خلال الوثائق الرسمية للدولة التي توفرت له بحكم منصبه .

ومما لا ريب فيه أن هذه المحطات لم تميز بمراتب مرتبة من قبل الدولة . وقد أعطى ابن خرداذبة المبلغ الإجمالي الذي تصرفه الدولة لعباسية على المحطات البريدية في الدولة كلها التي وصل عددها إلى تسعين وثلاثين (سكة) محطة .

(١) صورة الأرض ٤٦ - ٤٧ ، المرحلة من حمسة فراسخ إلى ستة فراسخ ، أي في حدود ٢٨ - ٣٢ كيلومتراً ومتوسطها ٣٠.٥ كم .

(٢) لسان العرب ٢٥٠/١ و ٣٠٥١/٢ . والفرسخ = ٥٤٤ متر ، فتكون المسافة ٢١ أو ٢٢ كيلومتراً .

(٣) منجد الطلاب ٢٢٥

وهي في حاجة إلى أموال للإنفاق على الرجال والموظفين والدواب ، فكانت الدولة العباسية تنفق على ذلك في العام ١٥٩١٠٠ دينار (مئة ألف وتسعة وخمسين ألفاً ومائة دينار)^(١) . وتعطين هذه الإحصائية رؤية واضحة للمواصلات في ذلك الوقت والاهتمام بها والحرص على تأمينها والإنفاق عليها .

وقد حصص قدامة^(٢) حديثه عن ، لسكن (محطات) التي رتبت فيها للرجال حمل الحرائط (الأكياس لمعدة حمل البريد فيها) . وجعلت رسماً للبريد ، ولكنه لا يذكر كل شيء عن سكك الدولة الإسلامية ، فيصرح بأنه ما لم نذكره من سكك لنوحي فهو للغى ما ذكرناه من المسافة بينها . وما لم يذكره هو سكك لمن . مكتفياً بذكر المسافات بين بلدانه . وكان اهتمامه الواضح في رصد الجوانب المالية كما سيأتي الحديث عنه فيما بعد .

أما المقدسي فهو بحق دق من كتب في هذا المجال فهو لا يذكر إلا ما شاهده . وقد صرح بدخوله اليمن واستقراره فيه عاماً كاملاً وما لم يدخه من البلدان يعترف بأنه لم يدخله . ولكنه يسجل ما استقر لديه وتؤكد منه^(٣) .

فيعطيا المقدسي^(٤) رؤيته ومشاهدته لإدارية بصورة دقيقة لم يسبقه إليها أحد . فيقسم الجزيرة العربية إلى أربع كور كبيرة (لكورة : الصقع أو الإقليم الكبير ويشابه الولاية و المحافظة) . وهي الحجاز واليمن وعمان وهجر . ثم يقسم الكور إلى نواح .

(١) المسالك والممالك ١٥٢

(٢) الخراج ٢٢٥ و ٢٢٩

(٣) أحسن التقاسيم ٨٨

(٤) المصدر نفسه ٦٩ ، ٧٠

فالين - وهذا الذي يعنينا هنا - يقسمه إلى ناحيتين ، ناحية تهمة ، وناحية الجبال .

أما ناحية تهامة : فجعل قصبتها - أي مدينتها العظمى - مدينة زبيد ، وتتبعها أربع وعشرون مدينة تهامية .

وأما ناحية الجبال أو نجد الين فقصبتها (عاصمتها) مدينة صنعاء ، ومدن هذه الناحية بلغ عددها ست عشرة مدينة .

ثم يعود^(١) إلى إحصاء الخاليف الينية ، فيصل عددها عنده إلى خمسة وستين مخالفاً أو وحدة إدارية ، ويتعرض للمسافات بين البلدان الينية ، ولكنه سرعان ما يعترف^(٢) بعدم قدرته على ضبط المسافات بينها ، ويذكر ما يعرفه منها فقط .

وأما الرؤية والمشاهدة السياسية فإن ابن خرداذبة قد يشير إلى من يحكم هذا الخلاف أو ذلك إشارته^(٣) إلى المناخيين في خلاف جعفر والشرحين في خلاف جبلان والحواليين في شام . وإشارته هذه تني - باعتباره موطفاً حكومياً في الدولة العباسية - بأن هذه القوى المتحركة في هذه الخاليف كانت لها علاقة بالدولة العباسية سواء أكانت اسمية أم حقيقية .

وبالمقابل أهمل الإشارة إلى وجود الدولة الزيدية تماماً التي كانت تهدد النفوذ العباسي في الين منذ أواخر القرن الثالث الهجري ، وهو بالتأكيد إهمال مقصود حتى لا يعطيها الشرعية عندما يثبتها في كتابه الذي طلبه منه الخليفة العباسي . ولم يتحفنا الأصطخري^(٤) برؤية سياسية شاملة بل أشار إشارة إلى عود الدولة

(١) أحسن التقاسيم ٨٨ - ٩٢

(٢) المصدر نفسه ١١٢

(٣) المسالك والممالك ١٣٥ - ١٤٢

(٤) مسالك الممالك ٢٤

الزيرية في صعدة معبراً عنه بقوله : « والحسن المعروف بالزيري بها مقيم » ،
ويقصد بـ حُسنِ الصَّمرِ بنِ الهادي الذي ينسب إلى الحسن بن علي بن
أبي طالب .

وعند خلاف جعفر ومدينة (المذخرة) يصرح بكلمة (بلغني) مما يدل على
السَّمْعِ أو القراءة دون الرؤية ، ثم يشير بقوله : تغلب عليه (أي جبل
مذخرة) القرمطي الذي كان خرج باليمن يعرف بمحمد بن الفضل (١) ، ويقصد
به علي بن لفضل ، وهذا الخطأ في الاسم أخذ عنه ابن حوقل ثم عمدة اليميني بعد
ذلك .

ولم يختلف ما قاله ابن حوقل عما جاء عند الأصطخري ، بل لقد كان ابن
حوقل ناقلاً بارعاً عن الأصطخري ليس المعلومات فقط ، وإنما التعبير والترتيب
والتسبيق وشكل غريب جداً لا يختلف عنه إلا بعض العبارات أو قل الكلمات
التي يضيفها هنا وهناك ، وأحياناً يغير حرف العطف أو حرف الجر دون أي
إشارة إلى أنه أخذ هذا من كتب الأصطخري ، وأحياناً كان يضيف عبارات
مارسها باعتباره من التجار مثل تحديد سعر سلعة معينة .

ولا داعي لذكر الأمثلة بل أحيل القارئ والسماع إلى قراءة الكتبيين
والمقارنة بينها ، وسيرى العجب العجيب حتى الغلط الموجود عند الأصطخري
ثبتته ابن حوقل ، وزاد خطأه أكثر حين تفرد عنه ببعض لمعلومات مثل قوله :
« إن المذخرة كانت لأسعد بن أبي يعفر » (٢) وهذا غلط واضح .

وحسبنا أنظاراً لرجل فريد كنت رحلاته نحو المغرب ولأناس وبلاد المشرق
وهذه هي البلاد التي شاهدها وسحبها في كتبه . ما بلاد المغرب ومقدمة الكتب
فهو ضيق لأحد عن الأصطخري ، قد سعدت ريدت لا تكاد تذكر إلا في

(١) المصدر نفسه .

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ٤٣

المجال الاقتصادي لتخصصه واهتمامه به ، وقد يكون تحصيل عليها في رحلانه أيضاً إلى هذه البلاد ، ولكنه لم يكلف نفسه أن يسجل مشاهداته كلها واكتفى بالجانب المالي ، وربما لم نجد ما يضيفه من المعلومات العامة لأنها متطابقة مع ما شاهده ولذا ليس هناك من ضرورة لإنشاء الكتابة إنشاءً .

فقد حرص على أن يعطينا بيانات عميقة من الأموال في الوقت الذي كان فيه يطوف البلدان أي في حدود ٣٣١ - ٣٦٧ / ٩٤٢ - ٩٧٧ م ، فأمدتنا هذه البيانات المالية بتصوير واضح للوضع السياسي في اليمن في هذه المدة التي كتب فيها الكتاب ، فنذكر خمس قوى كان لها النفوذ على اليمن ، في مقدمتهم ملوك تهامة ومنهم آل زياد ، حيث امتد سلطانهم على الساحل من الشرجة شمالاً إلى عدن جنوباً ، وكانت الدولة الزيادية بيد علي بن إبراهيم بن زياد الذي خلف أباه الحش إسحاق بن إبراهيم (ت ٣٦٢ هـ / ٩٧٢ م) وأطلق على آل يعفر ملوك الجبال ، وأما أبناء الهادي في صعدة فعرف المتولي منهم بالحسي^(١) (نسبة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب) .

ولم ينس - وهو صاحب الميول الفاطمية^(٢) - أن يتحدث عن العلاقة بين هذه القوى والدولة الفاطمية ، فيجزم بأن جميع ملوك تهامة خطبوا لصاحب المغرب (ويعني به الخليفة الفاطمي بالمغرب) ، وهذا يدل على أن الفاطميين لم يكونوا قد استولوا على مصر بعد لأنهم لم يدخلوها إلا عام ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م ، فكيف يكون للفاطميين السيادة على تهامة اليمن ولم يصل نفوذهم بعد إلى مصر .

أما إذا كان يقصد بصاحب المغرب القادم من المغرب باعتبار نشأة الدولة الفاطمية في المغرب أولاً ، فيكون المفروض أنه كتب كتابه هذا بعد عام

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ٢٣

(٢) أحمد رمضان ، الرحلة ١٢٦ . كراتشوفسكي ، تاريخ الأدب الجغرافي ٢٠٤/١

٣٨١ هـ ، وهو العام الذي دانت فيه مكة والمدينة للفاطميين . وربما مالت اليمن في هذا الوقت نحو الدولة الفاطمية .

ولكن من الثابت أن ابن حوقل (ت عام ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) أي قبل وصول الفاطميين إلى الشام ومكة ، وبهذا نرجح أن قوله ابن حوقل هي مجاملة للفاطميين وليست على الحقيقة .

أما وضع اليمن السياسي في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري من خلال مشاهدات ورؤية المقدسي^(١) فيوجزه لنا بأربعة أسطر فقط . ويحدد لنا خمس قوى تمتلك النفوذ في اليمن أكبرهم آل زياد في تهامة ، وإمارة آل لصحاك في صنعاء . وأيعفريون في شبام ، والعلويون في صنعاء (ويقصد بهم أبناء الهادي) .

وهكذا نستطيع أن ندرك أن التقسيم الإداري لليمن المسمى بالمخاليف ، ظل كما هو عند جميع من شاهد اليمن في هذا القرن ، بينما الوضع السياسي تراوح بين الارتباط بالدولة العباسية . والدويلات التي أصبحت تمثل كيانات خاصة بها ، وقد يدين بعضها للأقوى منها . بالإضافة إلى دخول تيارين فكريين إلى اليمن . وهما الزيدية والقرامطة . ثم تسرب الولاء للفاطميين أواخر القرن الرابع الهجري .

المشاهدات الاجتماعية

من المؤكد أن كل رحالة يسجل في كتابه ما يراه مهماً وما سيحتاج إليه قارئ مثل هذه الكتب . ولهذا نلاحظ أن كلاً من ابن خرداذبة^(٢) وقدامة^(٣) يركزان

(١) أحسن التقاسيم ١٠٤

(٢) المسالك والممالك ١٣٤ ، ١٣٦

(٣) | الخراج ١٨٨ - ١٨٩

على المحطات البريدية هل هي أهلة بالسكان ، ونوعياتهم ، هل هم أعراب أم من القبائل المعروفة ، وإلى من ينتسبون ؟ إلى خولان أم همدان أم من القبائل غير اليمية التي استقرت في اليمن كالغمريين الذين استقروا في خيوان .

أما الأصطخري^(١) وابن حوقل^(٢) لتقاربها نصاً ومعنى ، فلا يكفان عن التعبير عما يطمئن المسافر بأن هذه البلدة أو تلك عامرة بأهلها فيها القرى والمزارع والمياه . إلا أنها يشيران إلى بعض المذاهب المنتشرة في بعض المناطق اليمية مثل الخورج بالقرب من خيوان (شمالي صنعاء) ، ولفتت انتباهها لغة بلاد (مهرة) فوصفها بأنها مستعجمة جداً لا يكاد يوقف عليها ، وهذا ما قرره لسان اليمن أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني^(٣) ، (توفي بين عامي ٣٥٠ - ٣٦٠) .

وقد أشار إلى هذا المقدسي^(٤) ليس في مهرة فحسب ، بل في مناطق من حمير . ويشير إلى بعض اللهجات الموجودة في اليمن كلهجة عدن مثلاً .

وكان المقدسي^(٥) أكثر الرحالة تسجيلاً لمشاهداته وأدقهم في ملاحظاته ، الشاملة لجوانب متعددة من الحياة الاجتماعية .

فيصف أخلاق أهل البلد الذي ينزله ، فيعطينا صورة واضحة واقعية عن أخلاق الناس ، فيصف مثلاً أهل زبيد بالظرف ، وأهل صنعاء بالرفق والعفة .

ويصف لون أجسادهم . ويسلط الضوء على المياه في المناطق التي يكتب عنها ، وطبيعة هوائها ، وهل هي ذات هواء طيب أم ينتشر فيها الوباء والمرض .

(١) مالک المالك ٢٣ - ٢٥

(٢) صورة الأرض ٤٣ - ٤٤

(٣) صفة جريدة العرب ٢٧٧

(٤) أحسن التقاسيم ٦٩

(٥) المصدر نفسه ٨٤ - ٨٧ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٥

ومما يلفت النظر أنه لا يغفل الحديث عن الحمامات ، مشيراً إلى نظافتها أو اتساخها ، ويلاحظ أن مساجد وحمّات المناطق التي يشح فيها الماء كثيراً ما يصفها بأنها متسخة .

ويحدد سكان المناطق والأجناس التي تشترك في سكناها مثل عدن ، حيث يكثر فيها الفرس بينما مدينة زبيد يكثر فيها الحبشة والنوبيون .

ويحدثنا عن ملابسهم ومكّلمهم فيقول : « وأهل هذا الإقليم أصحاب قفاعة ونخافة يتقوتون باليسير من الطعام ويتجورون بالخفيف من الثياب » . ومع هذا يلفت النظر إلى غرائب ملابس بعض المناطق مثل أهل الحاء الذين يعيبون على من يكون له إزار ورداء وإنما عادتهم أن يلبسوا ثوباً واحداً جزء منه إزار والجزء الآخر يلتف به بمثابة الرداء .

ويشرح وسيلة الإضاءة في بيوتهم ، فيذكر المصابيح وأنواع الريت المستخدم ، ومنه زيت السمك في المناطق الساحلية ، وإنهم يحبون تجليد كتبهم ومصاحفهم بأحسن ما يوجد ، ويبدلون بسخاء في سبيل ذلك .

وأما عادات الأعياد والمناسبات فينقل صورة طريفة عن عدن التي قطن فيها أكثر من غيرها فيقول :

« ويزينون عدن السطوح قبل رمضان بيومين ، ويضربون عليها الدباب (الطبول = المفرد دبداب) فإذا دخل رمضان جتمع رفق (مجموعة من الرفقاء) يدورون عند السحر يقرأون القصائد إلى آخر الليل ، فإذا قرب العيد جبو الناس (أي أخذوا من الناس أموالاً مقبل عملهم هذا) ، ويتخذون في النيروز (عيد عند الفرس يوافق أول يوم من السنة الشمسية الإيرانية ٢١ مارس ، وهذا دليل على كثرة الفرس في عدن) قباباً (حياماً) يدورون بها على المساترين

ومعهم الطبول . فيجمعون ملا حزبلا (ربما كانت تلك المجموعة من الرفقاء هم الذين يطوفون أيام رمضان) .

وكما يتعرض للأجناس يتعرض للأديان أيضاً ، وأهمها اليهودية والنصرانية ، فيجزم بأن إقليم بلاد العرب بأجمعه يكثر فيه اليهود ويقل النصارى ، ولا يوجد أهل ذمة في هذا الإقليم غيرهم .

المشاهدات العمرانية

لا يخلو كتاب من الكتب الخمسة للرحالة الخمسة ذات الصلة بمحدثنا هذا من ذكر المدن والقرى وغالباً ما يحملون وصفها بأنها ذات قصور ومنازل^(١) وقد أحصى^(٢) المقدسي مدن الين التهامية والجبيلية ، فكانت أربعين مدينة .

ويتمطرق الأصطخري^(٣) لوصف صنعاء بأنها ذات مرافق أكثر من أي مدينة أخرى في الين ، ولا شك أن هذه المرافق تشمل أشياء كثيرة منها المساجد والحمامات والسقايات والشوارع والأسواق والملاجئ والمستشفيات إلخ .. وأنها حسب تقرير المقدسي^(٤) أجمل من زبيد وأعر منها ، إلا أنها يوم أن دخلها المقدسي في النصف الثاني من القرن الرابع كان قد اختل وضعها ، وأصبحت أقل شأناً من زبيد ، وربما كان ذلك لكثرة الحروب والفتن التي تعرضت لها صنعاء في هذه الحقبة ، وزبيد حسنة البناء ، وعليها سور بأربعة أبواب ، ومرافقها أكثر من مكة وأن أكثر ما يبسون بالاجر ، وأن منازلهم تتميز بالتهوية الجيدة والاتساع .

وجعلوا المسجد بعيداً عن الأسواق وهو مزين ونظيف ، وأما أسواق زبيد

(١) قدامة ، الخراج ١٨٨ . الأصطخري . المسالك والممالك ٢٤

(٢) أحسن التقاسيم ٦٩ ، ٧٠

(٣) المسالك والممالك ٢٤

(٤) أحسن التقاسيم ٨٤ - ٨٧ - ٩٥

فضيقة ، بينما صنعاء أحسن بناء وأوسع أسواقاً ، شبهت بانيانها بالكوفة ، وكله بالآجر ، وجامعها طريف وعلى طرف البلد .

أما عدن فكثيرة القصور ومساجدها تتصف بالحسن إلا أن قلة الماء عندهم أدت إلى قلة نظافة المساجد والحمامات ، ويبيد المقدسي عجبه من الاستقرار في السواحل اليمنية على قلة مائه ، ويؤكد أنه لو لم يكن البحر لما استقرَّ أحد في تلك المناطق .

ويصف مدخل مدينة عدن الساحلي بأنه (الشق) الذي يشق الجبل المطل على البر ، وهذا الشق أسماه الهمداني ^(١) (لشمر) ، ويحدثنا المقدسي ^(٢) بأن باباً من حديد يسدّ هذا الشق ، وهو لذي يوصلها برّاً دون صعود الجبال المحيطة بها . ثم يقول : « ومدّوا من نحو البحر حائطاً من الجبل إلى الجبل فيه خمسة أبواب ، وهو لا يخبرنا من الذي مدّ هذا السور ولا من بده ، ثم إذ ما حاولوا الاستعانة ببعض المصادر وأهمها كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمداني ، فلا نجد عنده شيئ يفيدنا في هذا الشأن مكتفياً (بلشمر) كما أسماه ، وربّ أقيم هذا السور في عهد بني زياد . في الوقت الذي كان فيه الهمداني مقيم في (ريده) ، ولم يتمكن من معرفة ذلك . وربّ أيضاً تهدّم بعد دلسن ، ولكنه بني في عهد بني زريع ٤٧٦ - ٥٦٩ هـ - ١٠٨٣ - ١١٧٣ م لأن كلاً من ابن الجذور ^(٣) وبمخرمة ^(٤) ذكر 'سور لذي بني في عهد بني زريع والممتد من حصن الخضراء إلى جبل حُقّات على الساحل .

(١) صفة ٣٤٤

(٢) حبر تقديم ٨٥

(٣) لشمر ٢١

(٤) ريح نعر عدن ٣ - ١٥

المشاهدات العلمية

لم يعن رحالاتنا كثيراً بتسجيل مشاهدات علمية واضحة ، فلم يخبرونا عن مراكز علمية أو حلقات كانت تقدم ، أو أنهم حضروا مجلس علم أو عن كتب أو مكتبات أو أسواق الوراقين ، كل هذا لم يحدث به أحد من أولئك الرحالة ، وإنما فاجأنا المقدسي^(١) بحكم عدم على بلاد العرب بصفة عامة داخلاً فيه اليمن بأنه بلد قليل 'لفقهه' والمذكرين والقر - . وهذا هو الرحالة الموسوعي الجاد الملاحظة الذي لم يفقد شيء إلا سجله ، فما بالك بمن كان لا يهتم إلا برصد الطرق ، ومحطات يفته شيء إلا سجله ، فما بالك بمن كان لا يهتم إلا برصد الطرق ، ومحطات البريد ، ومساعدة المسافرين في تحديد معالم الطرق ، كابن خردادبه فهذا لم يذكر شيئاً عن هذه الذخيرة ، وقدامة^(٢) أيضاً - كسابقه - لم يهتم بهذا الجانب ، إلا أنه وهو يعرف بـمدن ينير إلى بعض مميزاتها ، كان يصفها بأنها تحتوي على منبر ومسجد أو جامع ومنبر ، وهذه اللفتة تشير إلى وجود مساجد جامعة يتجمع فيها للناس لصلاة الجمعة ، وتنبئ أيضاً عن وجود مركز علمي أو مدرسة علمية على شكل حلقات علمية تقدم في هذا المسجد الجامع ، لأن لمسجد الجامعة في بلاد الإسلام بوجه عام كانت لا تخلو من حلقات علمية في علوم شتى .

وبذ كان الأصطحري وابن حوقل قد أهملوا الإشارة - مجرد الإشارة - لرؤية علمية ، فإن المقدسي - رغم تعميقه السابق عن بلاد لعرب - سجل لب تعبيرات دقيقة لمشاهداته العلمية في بعض المدن .

فيقول عن زبيد : بها علماء وأدباء^(٣) ، ويقول عن صنعاء ومش : خها :

(١) حسن مقدسي ٥٥

(٢) حرج ١٩

(٣) حسن مقدسي ١١

لم أر جميع المير مثلهم هيبة وعقلاً وهاء^(١) ، أم حضرموت فيعضب المقدسي^(٢) تعبيراً فضفاضاً فيحذف أهل حضرموت بأن لهم في لغته وخير رغبة .

واشترك كل من الأصطخري^(٣) وابن حوقل^(٤) بالتصويه إلى وجود طائفة من الخوارج تسكن بالقرب من خيوان في بلاد همدان ، ويشير المقدسي^(٥) إلى وجود بعض منهم هناك والبعض الآخر في بلاد حضرموت ، وهذه الإشارات تعطينا خلفية علمية ، لأن وجود مذهب م في منطقة ما غير المذهب العام فيها يدل على وجود علماء إما منافحين معلمين لهذا المذهب ، أو يفتنون جوانب القصور فيه ومعارضته للمذاهب الأخرى وهكذا .

ولم ييخل علينا لمقدسي بوضع بيان بأسماء المذاهب الفكرية كالسنة والشيعة والعتزلة والخوارج .

ثم وضع بياناً بالمذاهب الفقهية التي كانت منتشرة في القرن الرابع الهجري في اليمن وبالمناطق التي ينتشر فيها ذلك المذهب وهما هي ذي أسماؤها وأماكن وجودها :

١ - مذهب أبي حنيفة (ت ١٥٠ هـ / ٦٦٧ م) ، وأتباعه هم أصحاب الانتشار والظهور في منطقة صنعاء وصعدة والمساجد فيها - التي تمثل المدارس العلمية - كانت بيد علماء المذهب الحنفي .

(١) المصدر نفسه ٨٦

(٢) المصدر نفسه ٨٧

(٣) المسالك والممالك ٢٥

(٤) صورة الأرض ٤٤

(٥) أحسن التقاسيم ٨٧ ، ٩٦

٢ - مذهب ابن المنذر (ت ٣١٩ هـ / ٩٣١ م) ، وكان منتشرًا في بلاد المعافر (الحجرية حالياً) .

٣ - مذهب سفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ / ٨١٣ - ٨١٤ م) في نواحي نجد وربما يقصد بها المناطق الوسطى .

٤ - مذهب مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ / ٩٧٥ م) في المناطق التهامية .
فهذه مذاهب أربعة لا يذكر فيها مذهب الإمام الشافعي (ت ٢٠٤ هـ / ٨١٩ م) مما يدل على عدم انتشاره في اليمن في هذا القرن ، ومن استقرار الواقع الحالي نجزم أن مذهبين من تلك المذاهب المشهورة يومذاك لم يعد لهما وجود اليوم إلا في بطون الكتب كمذهب ابن المنذر ومذهب سفيان .

ما علم القراءات فكما هو معروف أنها سبب إلى عماء مرزوس فيهم ، وأصبحت قراءات مشهورة تحتذى ، وقرأها عماء الأمة . ومن ثم لا ينبغي أن يخلو اليمن من هذه القراءات ، حصة بهم تهتم بكتاب الله المرسل إلى البشر ، الذي يحتوي على قواعد حياتهم كلها ، فكرية والسلوكية ، فأحرقت لمقدي عن قراءتين اشتهرتا في اليمن : قراءة عمه الكوفي (ت ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م) ، وقراءة أبي عمرو بن العلاء البصري (ت ١٥٤ هـ / ٧٧١ م) التي تستعمل في جميع إقيم بلاد العرب ومنه اليمن .

والقراءات تستلزم بالضرورة وجود عماء للقراءات ، لأن القراءات تؤخذ مشافهة من حفاظ لا يجيدونها وحدها ، بل يجيدون معها علوماً لا غنى عنها لعلماء القراءات كعلوم القرآن وعلوم اللغة ، ولقد فلتت من وجود عماء بها ومدارس لهم يعلمون تلاميذهم فيها .

المشاهدات الاقتصادية

لقد كان اهتمام الرحالة بالجانب الاقتصادي كبيراً وأخذ حيزاً واسعاً من تفكيرهم ، إلى حد أن من أهدافهم التي وضعوها نصب أعينهم وهم يدونون مشاهداتهم ، أن يسجلوا الجوانب المالية والاقتصادية خدمة للدولة ، لتعرف الأقليم وحاصلاتها ، ومقدار ما يجبي منها ، والطرق الموصلة إليها ، ومن ناحية أخرى كان هدفهم تقديم يد العون للتجار ، فينتقلون بين البلدان ، ولديهم معرفة بطرق قوافلهم التجارية الآمنة منها والخطيرة ، ليستعدوا لمواجهة المخاطر ، ثم تعريفهم بالمدن التجارية التي تدر عليهم الأرباح والمرافئ البحرية ذات الأهمية التجارية ، ومخازن السلع في البلدان ومعرفة قيمة هذه السلع ، ويسجلون في كتبهم كل ما يحتاجه التجار من موازين ومكاييل وتقود .. إلخ .

وقد حدّد لنا هؤلاء الرحالة مدناً يمنية تجارية كثيراً ما توقفوا عندها وأعطوها وصفاً تجارياً هاماً سواء المدن التجارية الداخلية أو المرافئ المطلّة على البحر . فأمّا المدن التجارية الداخلية فكان بعضها مثل صعدة تعدّ مكان تجمع للتجار يأتون إليها من كل مكان ، وأكثر روادها تجار البصرة حتى أنهم كانوا يخترقون طريقاً خاصة بهم توصلهم بين البصرة وصعدة^(١) .

وعرف عن مدينة صعدة بأنها مدينة الصناعات الجلدية المتعددة المنافع كالكساء والأواني والفرش وتستخدم كأدوات دفاعية أيضاً .

كذلك عرفت بعض المدن الأخرى مثل كبرى المدن التهامية بأنها خزائن الذرة فتتوزع منها إلى المرافئ اليمنية الأخرى كعدن والنجاء^(٢) .

(١) ابن حردادة ، مسالك وممالك ١٣٦ - مقدمة ، خراج ١١٩ ، الأضطحري ، مسالك الممالك ٢٤ .

ابن حوقل ، صورة الأرض ٤٢ ، المقدسي ، أحسن التقاسيم ٨٧

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ٨٦ . وصفت بهذا الوصف مدينة الشرجة والحردة ، وعطنة .

ووصفت بعض المدن بمستوى حركة التجارة ومدى الربح فيها وغلاء الأسعار ، فزبيد وصفها المقدسي^(١) بغلاء الأسعار ، بينما وصف صنعاء برخص الأسعار ، وأن فيها تجارات مفيدة .

وأما المدن المطلة على البحر ، فهي إلى حنث أنها تعدّ موانئ ومرفئ هامة كعدن والمخاء والشحر وعثر وغلافة التي تقع على لساحل لمقابل لزبيد ، إلى جانب ذلك فهي أيضاً مدن تجارية هامة ، فقد نعت مدينة عدن بأنها مرفأً عظيم تأتيه السلع من الهند والسند والصين والحبشة والزنج (جنوب وسط إفريقيا) وفارس والبصرة وجدة وبحر القلزم (الأحمر)^(٢) .

بينما ميناء - المخاء - بالإضافة إلى كونه مرفأً تجارياً ، كانت فيه مصنع (معاصر) الزيت^(٣) ، وربما كان المستخلص من السمك ، ومن بعض الحبوب التي كانت تزرع في المناطق المجاورة مثل السم .

وغلافة^(٤) - كميناء أيضاً - يقال لها فرضة زبيد ، أي الساحل الذي ترسو فيه السفن ، ويكون المنفذ البحري الوحيد الذي يصل المدن الكبيرة بالبحر ، ولذا كانت غلافة فرضة زبيد ، لأنها هي النفذة التي تطلّ منها مدينة زبيد على البحر .

كما كانت مدينة (عثر)^(٥) فرضة صنعاء وصعدة ، فالسلع التجارية التي تأتي من البحر مباشرة إلى صنعاء وصعدة لا تدخل إلا من مدينة عثر شمالي تهامة .

(١) المصدر نفسه ٨٥ ، ٨٦

(٢) ابن خرداذبه ، المسالك والممالك ٦١ . ابن حوقل ، صورة الأرض ١٤

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم ٨٥

(٤) المصدر نفسه ٨٦

(٥) المقدسي . أحسن التقاسيم ٨٦

وأما الأسواق التجارية ، فقد أعطانا الرحالة عدّة صور ولقطات لها . منها
لأسواق المحلية في المدن مثل أسواق زبيد وصنعاء وعدن ، فتوصف من ناحية
لسعة والضيق والنظافة وقربها من وسط المدينة أو قربها من المسجد الجامع .

ومنها الأسواق المحلية الأسبوعية التي تعقد في يوم محدد من كل أسبوع لتلبية
حياجات المنطق المجاورة كسوق مدينة (أثاث) لذي كان يقام يوم الجمعة من
كل أسبوع^(١) .

ومنها أسواق عامة دائمة يأتيها التجار من كل مكان ، حاملين إليها تجارتهم ،
ومتزودين منها بما يحتاجونه من السلع التجارية المختلفة . وقد تربعت عدن على
رأس المدن الساحلية أو الموانئ التجارية الهامة ، كما أن صعدة تقف على قمة المدن
لداخلية ، حيث يرتادها التجار على اختلاف مشاربهم^(٢) .

ولسنا في حاجة إلى حصر السلع التجارية التي تخرج من اليمن ، وتنقل إلى
لأسواق العالمية حينذاك ، حتى لا نثقل البحث ببيانات نحن في غنى عنها ، قد
يتحصل عليها القارئ في دراسات متخصصة ، ولكننا لانتغني عن أمثلة أو
نذج منها ، فنأخذ من كل كتاب من الكتب الخمسة لرحلاتنا الخمسة نموذجاً أو
نذجاً .

فابن خردادبه^(٣) ذكر الورد (وهو نبت يستخدم لصنع الملابس) ، وذكر
لثياب اليمنية المزركشة والعنبر والبغال والحمر .. وقدامة^(٤) يذكر الصناعات
الجلدية التي تستورد من صعدة .

(١) قدامة ، الخراج ١٨٩ . ومدينة أثاث تقع شمالي صنعاء .

(٢) ابن خردادبه ، المسالك والممالك ٦١ . قدامة ، الخراج ١٨٩

(٣) المسالك والممالك ٧١

(٤) الخراج ١٨٩

وركن الأسطخري^(١) على الأحجار الكريمة المشهورة في اليمن كالعقيق والمؤلؤ ، وخص بالذكر اللبان الذي ينقل من مدينة (الشحر) .

وأما ابن حوقل^(٢) كعادته في النقل عن الأسطخري فلم يزد على ما جاء عنده ، وقد أبدع المقدسي^(٣) بالشرح والتفصيل ، فوضع عنواناً للتجارت ، وذكر تحت أنواعاً كالثياب والعقيق والجلود ، وبعد أن يذكر العديد من أنواع السلع ، ثم يعتذر عن عدم الاستقصاء بحجة بطالة الكتب ، ويعود في صفحة أخرى ليضع عنواناً آخر وهو (من خصائص نوحى هذا لإقليم) فيذكر ما تشتهر به المناطق اليمنية من منتجات أو صناعات فذكر منها نير زبيد وهو نبات تستخرج من ورقه مادة زرقاء تستخدم لصنع الملابس ، وعقيق صنعاء ، وبرود السحول جمع برد وهو نوع من الثياب (السحول بد يقع في نوء إب) ، وأصماغ عدن ، ومنروم . وهو نوع من العصير يجمع من ثواكه الطبيعية ، وسدوانه كان يروى للمقدسي^(٤) ولهذا قول عنه : وشروب عدن يفض على القصب .

وبما أن اليمن بلد زراعي تقوم حياته كلها على الزراعة ، فإن من البدهة أن لا يغيب هذا الجانب عن يتردد اليمن ، - كأننا من كان - فما بالك بمن يحرص على تدوين مشاهداته الاقتصادية بوجه خاص ، وهذه البدهة نفسها لن تقف كثيراً لنسجل هذه المشاهدات خوفاً من الإطالة .

ولكنني نشير إلى أن رحالاتنا وهم ينتقلون بين المناطق ، كانوا حريصين على وصف الطريق والمحطات والمدن والقرى ، ثم يذكرون المزروعات والمزارع ،

(١) ممالك الممالك ٢٥

(٢) صورة الأرض ٤٤

(٣) أحسن التقاسيم ٩٧ ، ٩٨

(٤) المصدر نفسه ٩٨

وكيفية سقيها بالآبار أو العيون أو الأمطار . وموسم نزول الأمطار^١ ، ويحكي لنا ابن خردادبه^٢ إحدى طرائفه عن الأمطار فيقول : فطر صنعاء وما والاهب حزيران (يونيو) ، وتموز (يوليو) ، واب (أغسطس) ، وبعض يلول (سبتمبر) ، من الزوال إلى المغرب يلقي الرجل لرجل نصف النهار فيكمه فيقول : عجل قبل الغيث . لانه لابد من المطر في هذه الأيام .

وأم المقدسي^٣ فيذكر لنا مناطق مشهورة بكثرة الفوكه كصعاء ، وكثرة الذرة كبعض تهامة (الشرجة ، خردة ، عطنة) ووصفها بأنها خرائن الذرة . ومنها تنقل إلى عدن ، ثم إلى خارج اليمن .

ولا ينبغي أن نغفل ما يصل من هذا خير كله إلى حزن الدولة و الدويلات التي كانت لها السيادة على اليمن في هذا القرن .

فنورد المالية للدولة أو الدويلات المتعددة مسألة هامة في الرؤية الاقتصادية لأنها لم تجعل بتفصيل عند جميع الرحالة ، فبن خردادبه^٤ وقدمه^٥ رجع كل منهما إلى وتنفق حكومية - تخم مصبها - فوجدا في سجلات ديون خرج أن أكثر ما رتفع أي خص من اليمن في الدولة لعبسية كانت ستنة ألف ددر ، ولم يجر من خرددته من كل هذا . إلا أن قدمه^٦ إلى أنه رجع إلى وتنفق المالية للدولة من سنة ٢٠٤ هـ ٨١٩ د . ما قبل هذا فقد احترقت سجلات في لغتة أبي حمص من الأمن والمأمون عام ١٨٢ هـ ٦٩٩ د . ثم

(١) ابن خردادبه ، المسالك والممالك ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٥٩ . قدامة ، الحراج ١٨٨ . الأصطخري ،

مسالك الممالك ٢٤ . ابن حوقل ، صورة الأرض ٤٣

(٢) المسالك والممالك ١٥٩

(٣) أحسن التقاسيم ٨٥ ، ٨٦

(٤) المسالك والممالك ١٤٤

(٥) الحراج ١٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥١

يبقى في موضع آخر بعد أن يثبت ما أحد من اليمين ، يذكر بعدها مباشرة ما أخذ من التحرير عام ٢٣٧ هـ - ١٥٨ م : وحسب معرفتنا ، تتدهور نفوذ الدولة العباسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الثالث فلا يؤهل الدولة أن تحيي تدبث الأموال في حال ضعف نموذها . فيترجح لدينا أن هذا كان في النصف الأول من القرن الثالث الهجري .

وقد فهم المقدسي^(١) من عبارة ابن خرداذبه أن أرض اليمن خراجية ، فأخذ عنها ذلك المال كخراج ، يبي هو يؤكد ، على أنه وجد في ديوان الخراج أن أحد عمال اليمن تحصل منها ستمائة ألف دينار .

وربب كان ديوان الخراج مقصوراً على الأموال الخراجية ، بينما الأموال العشرية (أو الزكاة) تدخل إلى ديوان آخر وهو المسمى ديوان الصدقات^(٢) . وأن هذا هو الذي جعل المقدسي يبدي دهشته من أخذ الخراج عن اليمن ، ويؤكد على هذا ابن رسته^(٣) بأن اليمن عشرية ، وأنه لم يتغير هذا الوضع إلا في عهد بني يعفر ، حينما قرروا على صنعاء وقراها مائتي ألف دينار في السنة ، وكان هذا أيضاً في منتصف القرن الثالث الهجري . فلا يدخل ضمن مجريات لقرن الرابع الذي مدرسه ، ولذلك فإن المعلومات التي تفيد في القرن الرابع في هذا الشأن ، هي تلك المعلومات التي جاءت عند ابن حوقل والمقدسي فقط . ونبدأ بـ ابن حوقل^(٤) حيث رتب الأمر حسب القوى ذات النموذ في اليمن ومقدار ما تحصله من أموال ، فجعل الدولة أو القوه التي تحصل أكثر في البداية ثم الأقل وهي على النحو التالي :

-
- (١) أحسن التقاسيم ١٠٥
 - (٢) صبحي الصالح ، النظم الإسلامية ٣١٤
 - (٣) الأعلام النفية ١١٢
 - (٤) صورة الأرض ٣١ - ٣٣

أولاً - الدولة الزيادية بعد وفاة أبي الجيش إسحاق بن إبراهيم بن زياد كان يأخذ من عشور التجارة ما يزيد على خمسمائة ألف دينار عثري (ولا ندري قيمة هذا الدينار لأنه دينار محلي) .

وكان المتقبل لزبيد يدفع لخزينة الدولة مائتي ألف دينار عثري ، وتصل إلى خزينة الدولة من عدن وما يدخله ويخرج عنها مائتا ألف دينار عثري تقريباً ، وقد تزداد هذه الضريبة أكثر من هذا بكثير وربما نقصت قليلاً .

بالإضافة إلى الضرائب المفروضة على الخزر المطلة على عدن . والأموال التي تصل إلى الدولة الزيادية من الحبشة للصلوات الحسنة بين الجانبين .
ثانياً - دولة الحكيين في نخلاف السليبي وعصمته مدينة عثر الساحبية ، فالذي يصل إليه نصف ما يصل إلى الزياديين .

ثالثاً - دولة بني يعفر في عهد أسعد بن أبي يعفر كان ما يصل إلى خزائنه في حدود أربعمائة ألف دينار .

رابعاً - الدولة الزيدية في صعدة وكانت تتحصل أموالها من مستغلات لمداغ (مصانع الجلود) وفرص ضرائب على القوافل التجارية ، ومجموع ما تتحصله كان يقارب نصف ما تتحصله دولة الزياديين وهي متنوعة .

صدقات (زكاة) وأعتار (على التجارة) وخراجات ، ولا أدري ما يقصد بالخراجات هنا ، هل هو الخراج المعروف لمفروض على الأرض الخراجية التي فتحها المسلمون عنوة وضمت بيد أهلها ، وهذا لا يوجد في اليمن على وجه اليقين أم هو صنف آخر من إيرادات الدولة مما تمتلكه من عقارات وبنية . إلخ ...

ما لمقتدي فقد خدر عمو - اسمه (ضربت المكوس) . فلا يذكر محمد

ما تحصله خزائن الدويلات هذه ، وإنما يذكر أنواعاً من السلع وما عليها من ضرائب ، فيأخذ في عدن وكمران وعثر دينار عن كل (سلة) زعفران تخرج من هذه لمناطق وأن الأمتعة تقود بالركاوية ثم يؤخذ عشرها عشريه ، ثم يقول : وقدروا أنه يصل إلى خراة السطرن ثلث موال التجار وهو مجرد تخمين رأى دار بين التجار الذين اختلط بهم المقدسي^(١) .

ويصف نقاط التفتيش التجارية بأنها نقاط دقيقة صعبة في كل مدن السواحل لتحصيل ما يؤخذ من القوافل التجارية والمركب البحرية ، ففي باب زبيد يؤخذ عن حمل المسك دينار ، وعن حمل البز (القماش) نصف دينار ، أم في صعدة فلا تؤخذ ضريبة من أحد ، وإنما يؤخذ ربع العشر من التجارة ، وهي النسبة المقررة شرعاً .

وهكذا نكون قد تحولنا مع رحلاتنا وشهدنا ما تهبده في حقبة رمنية تبعد عنا حوالي ١١٠٠ عام .

١- في هذا المصنف ما يؤيد في رأيي أن هذه المبالغ كانت خيالية .

٢- من موال التجار .

زبيد بأقلام الرحالة

دراسة للنصوص التي وردت عن زبيد

في كتب الرحالة حتى منتصف القرن الثامن الهجري^(☆)

تربعت مدينة زبيد على عرش المكانة السياسية والاقتصادية ولعلمية حقبة طويلة من تاريخ اليمن ، وقد تدولت لأقلام الينية وصفاً وتمجيداً وإشادة ، وهي مازالت في حاجة إلى دراست حدة تسبر أغوار نواحيها المختلفة سياسية واجتماعية واقتصادية وعلمية ، لأن هذه الدراسات إذا ما أقمت يفترض ألا تكون إضافة مكررة للأوصاف التي ذكرت في كتابات الينيين عن زبيد ، وإن يراد لهذه الدراسات أن تحيي الماضي في كتابات ثرة تقوم على الاستقراء والتحليل ، مع الاستفادة من البحوث الاثرية التي تؤكد أو تنفي التوابت التاريخية .

وهذه لدراسة التي بين يدي القارئ لأزعم أنها جديدة كل الجدة ، ولكنها تخدم مدينة زبيد من جنب هـم ، وهو رؤية القدمين إليها ورصد هـم لم يدور فيها .

وتحاول هذه الدراسة أن تأخذ تلك الرؤية كددة وثائقية تعبر مع كل رحالـه الزمن الذي عاشه والملابسـات التي كانت سائدة في عصره ، فترسم المدينة في تلك الأزمنة المختلفة ، وترصد ما جـد فيها بمختلف نواحيها : العمرانية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

(☆) بحث نشر في مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، العدد ١٢ ، السنة ١٩٩١ م .

وجود المدينة وموقعها

الجغرافيون والرحالة الأقدمون وهم يتحدثون عن زبيد لم يوردوه في كتبهم كمدينة ، ولكنهم يذكرونها باعتبارها سمة لخلاف . فليعقوبي أحمد بن يعقوب بن وصح^(١) (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) لم يزد على ذكر زبيد كأحد محاليف اليمن . وحعل مدينة هذا لخلاف هي (الحُصَيْب)^(٢) وهو الاسم القديم لمدينة زبيد . وإذا كان ليعقوبي من قدم من كتب في هذا المجال ، فإن من رُسِنه (توفي بعد ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م) وهو معاصر ليعقوبي لم يذكر زبيد لاسمته سيم ذكر مأرب مما يوحي بأن مدينة زبيد في هذه الاونة لم تكن قد تنوّت مكانة سببها مرموقة .

ويأتي على إثر هذين الجغرافيين بن حمد الله بنو تميم عبيد الله^(٣) (توفي في حدود ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م) وهو الأخير سندان در الإسلام فيذكر زبيد كأحد محاليف اليمن . ولكنه يزيد بعض التوضيح فيحدد موقعه بأنه براء ساحل علافة^(٤) وساحل لمسدب ومخاليف رمع^(٥) . والمسافة بينه وبين مخلاف حبلان (ريمة ووصاب) اثنا عشر فرسخ . وبين حبلان وصعفاء اثنا عشر فرسخاً ، فيكون بين زبيد وصعفاء أربعة وأربعون فرسخاً (حوالي ٢٤٤ كم) . ويتر في مخلاف زبيد لطريق لساحل لنداد من مكة في عمق فيتر لمسدب . ثم مخلاف زبيد ، ثم علافة ، ثم مخلاف عك .

(١) نسب ، ٣ ، ٢٢٠ .

(٢) الحُصَيْب هي قرية بلاد حبلان . حسب من في التفسير لمدينة زبيد .

مسافة حبلان عبرت ٣٠ فرسخاً .

(٣) المسالك والممالك ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٨ .

(٤) علافة : أو غليقة كانت ساحل زبيد مشهوراً بصفة حريرة لعمد .

(٥) رمع : بكر الرء وسكون الميم أحد الوديع الكثيرة التي تنبع من سحر البحر .

معجم البلدان ولقبائل اليمنية ٢٨٣ .

ويضيف قدامة بن جعفر^(١) (ت ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م) - وهو الخبير بشؤون البريد والسكك لبريدية - معلومات حديدة في رسم الطريق الممتدة من عمان إلى مكة عبر الساحل ، فيتحدث عن الخليف التي تمر بها الطريق ، فقال : « ... مخلاف الركب لمدب ، مخلاف رمع زبيد ، مخلف عك الحردة ، وبالرغم من توافق هذا النص مع ما جاء عند ابن خرداذبه إلا أن تفصيل قدامة يشي بأمر آخر ، وهو أن كل مخلاف له عاصمته أو قصبته ، فمخلاف الركب قصبته المدب ، ومخلاف رمع قصبته زبيد ، ومخلاف عك قصبته الحردة ، وهذا يخالف ما ذكره ابن خرداذبه لأنه عدّ رمع مخلاً وزبيد مخلاً ، بينما قدامة يشارته هذه يعطي لمدينة زبيد وجوداً كعاصمة للمخلاف . فهل أصبح للمدينة قبيل وفاة قدامة بن جعفر مكانة سياسية خاصة ، حتى اعتبرها عاصمة للمخلاف ؟ إن هذا الاحتمال يؤكد ما ذهب إليه^(٢) من أن ال زياد ما وجدوا كقوة له أثراً حقيقياً إلا أوائل القرن الرابع الهجري ، لأن قدامة يطرح نصه الصريح بوجود مدينة زبيد كعاصمة للمخلاف ، وهذا ما لم يقله ابن خرداذبه الذي مات قبله أو على الأقل أنه ألف كتابه قبل كتاب قدامة ، وبالرغم من هذا الاستنتاج الذي قد يكون فيه شيء من المبالغة ، إلا أن صيغة أخرى وردت عند قدامة^(٣) لم يذكر فيها المدينة ، ولكنه ذكر مخلاف زبيد وجعل رقبه المخلاف الثالث عشر ، وهو بهذا يوفق يعقوبي الذي سبقه في التأليف وربما نقل عنه ، وهو توافق في المعلومات لشهرتها .

وتعطينا هذه المعلومة استنتاجاً محدداً وليس افتراضاً ، وهو أن مدينة زبيد ما زالت في أوائل القرن الثالث خمة الذكر غير مشهورة كعاصمة دولة أو ولاية ، ولم تكن لها مميزات تنفرد بها عن غيرها .

(١) أبو الفرج ، الحراج ٢٤٧ - ٢٤٨ (ملحق بالممالك والممالك) .

(٢) انظر : تفصيل ذلك في بحث نشأة الدولة الريدية ص ٦٥ من هذا الكتاب .

(٣) الحراج ٢٤٨

ولعلّ الأصطخري (ت ٣٤١ هـ أو ٣٤٦ هـ / ٩٥٢ أو ٩٥٧ م) صاحب المكانة الجغرافية الهامة عند الباحثين من خلال كتاباته الجغرافية يؤكد هذا الرأي ، فقد أهمل مدينة زبيد تماماً ولم يذكرها قط بالرغم من أن المدينة - في هذه الآونة - أصبحت تلعب دوراً سياسياً هاماً لكونها صارت عاصمة الدولة الزيادية على وجه التأكيد ، ويبدو أن سبب عدم ذكر الأصطخري لها اعتماده الكامل على كتاب أستاذه أبي زبيد البخري (ت ٣٢٢ هـ / ٩٣٤ م) (صور الأقاليم) ، وهو جغرافي كُتبي عَشَ بين الكتب ، وأُلف كتبه من خلافاً دون أن يرحل . وقد تبعه الأصطخري في هذا المسلك ، وكان يصرح به في بعض الأحيان حين ينسب معلوماته إلى مصادر مجهولة بصيغة (بلغني) .

ولم يفدنا أبو القاسم ابن حوقل^(١) (ت ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) بشيء عن موقع ووجود مدينة زبيد لأنه حذا حذو الأصطخري إن لم يكن قد نقل ما كتبه هذا حريف ، ومع هذا فقد رسم خريطة بدائية لدير العرب^(٢) ، ثم قرئت هذه الخريطة ولا أدري من الذي قرأها ، هل هو ابن حوقل نفسه أم النضر ، والذي يهمن في هذه القراءة أنه ذكر بعض المدن التهامية فجعل منها مدينة زبيد .

وقد تلافاً ابن حوقل القصور والنقل الكامل عن الأصطخري ، بإمدادنا معلومات أكثر أهمية عن لوضع السياسي والمالي لمدينة زبيد ، مما يدل على وجود فعلي لمدينة في القرن الرابع ، ليأخذنا أول من كتب عن دور زبيد السياسي وتميزها .

أما محمد بن أحمد المقدسي^(٣) (توفي نحو ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) فقد كانت لفتته

(١) له كتاب (صورة الأرض) من منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

(٢) لمصدر منه ٣٠ ، ٢٨

(٣) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ٦٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ١١٣

التعبيرية لها مغزاها الدقيق ، حيث جعل مدينة زبيد قصة تهامة ، ويصفها بأنها « بلد نفيس ليس باليمن مثله » وأنه « بغداد اليمن » . وهذا يعني أن مدينة زبيد قد تسنت قيادة تهامة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري . وقد جعل المسافة بين صنعاء وزبيد اثنين وأربعين فرسخ (أي حوالي ٢٢٣ كم) وهي مسافة قريبة مما ذكره ابن حردذبه كما سبق . لأن ابن بطوطة (ت ٧٧٠ هـ / ١٣٦٨ أو ١٣٦٧ م)^(١) جعل بينها وبين صنعاء أربعين فرسخ (أي حوالي ٢٢٣ كم) .

وقد تحدث عن زبيد الرحالة الإسلامي ناصر خسرو^(٢) (ت حوالي ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م) الذي بدأ رحلته عام (٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م) وأنها عام (٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م) فذكر مدينة زبيد ضمن مدن تهامة ، وقد أخطأ خطأ فاحشاً لأنه جعل مدن تهامة الممتدة على الساحل هي صعدة وزبيد وغيرها وأن « هذه المدن مشيدة في الصحراء » ، وهذا الخطأ الفاحش يدل على عدم وصوله إلى اليمن . وإن وصلته المعلومات بصورة مغلوطة ، أو أنه دخل بعض المناطق ، أو دخل ساحل تهامة ، وتصور أن بقية مدن اليمن هي على الساحل .

أما ابن المجاور^(٣) (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) الذي كان في اليمن بين عامي ٦١٩ - ٦٢٥ هـ / ١٢٢٢ - ١٢٢٨ م^(٤) فلم يعد في حاجة إلى أن يذكر موقع مدينة زبيد لأنها كانت من الشهرة ما لا تحتاج معها إلى تعريف ، ولم يذكر سوى كلمة ، ربما أخذها من مصدر مكتوب فلم تكن مستقيمة مع مكائتها ، فقال : « مدينة زبيد هي مدينة الحُصيب من اليمن » . لأنها لم تعد خاصة بوادي الحُصيب بل أصبحت قصة تهامة .

(١) رحلة ابن بطوطة السبعة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ١٦٥

(٢) سفرنامه ١٢٤ ، ١٢٥

(٣) كتاب المستعبر ٥٥

وعاش ابن بطوطة^(١) الرحالة الشهير دخل اليمن حوالى سنة ١٣١ هـ
١٣٣٠ م فقد وصف مدينة زبيد بأنها مدينة برية لا شطية . وهي إحدى قواع
بلاد اليمن . وتقع في ودي أخصيب . وليس دالين بعد صنعاء أكبر منها ولا أعنى
من أهلها ، فهي مدينة كبيرة كثيرة العمران .

وعاصر ابن بطوطة جغرافي مشهور وهو عماد الدين إسماعيل بن محمد المعروف
بأبي الفداء^(٢) (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) فوصف زبيد بأنها : قصبة التهايم وهي في
مستوى من الأرض عن البحر أقل من يوم^(٣) . ونقل عن البيروني
(ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) بأنها فرضة اليمن وفرضة زبيد غلافقة ، أي أن صلة
اليمن بالبحر يتم عن طريق زبيد ثم غلافقة ، ويكفي هذا الوصف للتعريف
بمدينة زبيد .

لقطات عن الدور السياسي للمدينة

وإذا كنا قد تحدثنا عن موقع زبيد كبلد ومخلاف ومدينة ، فإننا لابد أن
نتنقل إلى الحديث عن الدور السياسي للمدينة في عصورها المختلفة . مستلهمين
المصوص القصيرة اللاحمة التي لوح بها الجغرافيون والرحالة .

وأول تلويح جغرافي كان يعتبر زبيد أحد مخاليف اليمن حيث عده
قدامة بن جعفر^(٤) - وهو الإداري المتخصص - المخلاف الثالث عشر من مخاليف
اليمن ، التي بلغت عنده واحداً وعشرين مخلاًفاً .

(١) تحفة المظار (رحلة ابن بطوطة) ٢٥٠

(٢) تقويم البلدان ٨٨ ، ٨٩

(٣) اليوم ٢٢,٣٥٠ كيلومتر . أي أن المسافة هي من من هذا الرؤ . وبالتحديد الدقيق بين
المسافة بين زبيد والبحر هي : ٢٧ كم .

(٤) الخراج ٢٤٨

وحيثما يذكر الأموال الواردة إلى خزانة الدولة العباسية من ولاية اليمن يذكر هذه الأموال بصورة إجمالية فلا يخصصها بخلاف بعينه بالرغم من علمنا الأكيد بأن الدولة الزيدية كانت تقبض على جزء كبير من المناطق الواقعة في شمال صنعاء . وأن دولة بني يعفر كان لها الصولة والجولة على قسم واسع من اليمن . وفي الوقت ذاته كانت قوة بني زياد في تنام وظهور على مشرف القرن الرابع الهجري .

وقد أشار الهمداني^(١) (ت ٣٥٠ أو ٣٦٠ هـ / ٩٦١ أو ٩٧١ م) - الذي عاش حياته العلمية والسياسية في النصف الأول من القرن الرابع الهجري - إلى أن (شرحيين) هم لرأس من جميع في ربيد ، وقد جاؤوا إليها من (جُبَلان العركبة) التي تقع بين وادي زبيد ووادي رمع^(٢) . ولكن ربما كانت إشارته هذه تعبر عما كان عليه الوضع في زبيد وأهل القرن الرابع الهجري . ومع هذا فقد أخبرنا أن ابن زياد صاحب زبيد كان له دور في إطلاق سراحه^(٣) من سجن الناصر بن الهادي أو سجن أسعد بن أبي يعفر بالاتفاق مع الناصر .

ونحن على معرفة بالزمن الذي أشار فيه الهمداني إلى سجنه ، وهو العقد الثاني من القرن الرابع الهجري ، كما ألمح إليه الهمداني نفسه في كتابه (سرائر الحكمة)^(٤) .

ومن هنا نعرف تماماً أن ابن زياد الذي ورد عند الهمداني لا يعدو أن يكون محمد بن زياد الذي شارك آل يعفر وغيرهم من القوى اليمنية في القضاء على

(١) صفة ٢٥٩

(٢) المصدر نفسه ٢٢٢ . جُبَلان العركبة : هي اليوم مدينة خربة في ناحية وصاب العالي (معجم المقهفي ١٢١) .

(٣) الإكليل ٤٢٨/١

(٤) المقالة العاشرة من سرائر الحكمة ٩٦ - ٩٩

لقرامطة ، وأصبحت له مكانة خاصة بذلك ، فاحتلوا المكانة التي كانت للشرايين في زييد .

وقد قرر المقدسي أن ال زيد هؤلاء يتسبون إلى همدان . وهذا يخالف ما ذهب إليه عمارة من نسبتهم إلى الأمويين .

ولا نستطيع أن نكذب ما قاله القديس ، ويمكننا أن نأخذ تقريره هذا حقيقة مسلمة ونرفض ما قاله عمدة اللاضطراب الوصح في روايته ، ولعل صرة منكمسي نبي ريد ، ورفد عرف ذلك منهم من عمدة أو من مقررين منهم ، أو مجل ما هو مشهور عنهم في المن

ويؤيد مذهب أبيه أن مسعودي^(٢) ات ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م ، وهو ترجمة
 خروئي مؤرخ شهير . ولا معاصر ليهدي خبر عن مير زبير هـ
 ٣٣٢ هـ ٩٤٣ م بأنه يعرف ببراهيم بن زيد صاحب خرمني . وخرمني هو
 الأمير العباسي على مضقة تهامة من قبل أمير مكة التابع لدولة العباسية ،
 وصاحبه تابع له أمير زبير إبراهيم بن زيد ، وليس لديه شئ بأنه إبراهيم بن
 محمد بن زيد . وليس هو إبراهيم بن زيد بن إبراهيم بن محمد بن زيد كما قد
 يُعتقد ، لأنه لم يأت النصف الثاني من القرن الرابع الهجري حينما كتب
 ابن حوقل كتابه (صورة لأرض) . لا وهو يحدث عن بناء بني الجيش
 إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن زيد . محمد ملكهم بدقة ، حيث كان يتم من
 لشرجة [شلا] إلى عدن [جنوب] ، طولاً على ساحل البحر ، وأرض تهامة
 اليمن ، ويكون مقد ذلك ست عشرة مرحلة [أي ٣٦٦ كم] وعرضه من جبال

(١) أحسن التقاسيم :

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ١٩٨/١

(٣) صورة الأرض ٣١ ، ٣٢

إلى ساحل اليمن من عمل علاقة . ويكون مقداره مسيرة أربع مراحل
[أي ١٢٢ كم] ، وامتد نفوذهم إلى بعض الجزر في بحر الأحمر كجزيرة (دهلت)
وتربطهم بالحبشة علاقات ودية .

مؤكداً على هذه المكانة السياسية من خلال السياسة المالية الواسعة ، التي
تبني على دولة ذات مكانة سياسية هامة ، أهلتها لبط نفوذهم على المنفذ
لبحرية ولبرية في تهمة حتى عدن وخزر الموجهة لتهمة اليمن .

ومع هذا جعلهم تابعين للفاطميين في مصر وأهم يخطبون باسمهم ، ولا شئ
أنه لم يكن موفقاً في هذا القول ، بل كان مجاملاً للفاطميين .

م المقدسي (٢٨٠ هـ / ٩٩٠ م) الذي كتب كتابه بعد بن حوقل
فقد جعل مدينة زبيد مستقر ملوك اليمن . هذا الوضع كان في العقد السابع من
القرن الرابع الهجري في لوقت الذي كانت فيه المندوق الجببية الداخلية من اليمن
ممرقة تتعاوره القوى المتصارعة ولا يجمعها جامع ، ونقايا آل زيد يتحكم فيها
عبيدهم بياضة عن الأطفال من أمراء بني زيد . لأن وضعهم كان مستقراً ،
وسيطرتهم كانت مستحكمة ، ولأموال تدبر عليهم من كل مكان ، لأنهم تحكوا في
منافذ اليمن البحرية ، فصار نفوذهم يصل إلى المناطق الداخلية من اليمن ، ولكن
ليس عن طريق السيطرة المباشرة ، وإنما بوسيلة بغداد الأموال على بعض رعاء
صنعاء أو المتغلبين على صنعاء ليخطبوا باسم آل زيد (٢) .

ونتجاوز حقبة المقدسي لنلتقي برحالة إسماعيلي وهو نصر خسرو الذي ألف
كتاباً اسمه (سفرنامه) باللغة الفارسية . وقد بدأ رحلته عام
٤٣٧ هـ / ١٠٤٥ م ، وانتهى منها عام ٤٤٤ هـ / ١٠٥٢ م ، فتحدث عن تهامة ،

(١) أحسن التقاسيم ٨٤ ، ٨٥

(٢) أحسن التقاسيم ١٠٤

وأن أميره هو عبد حبشي من أبناء شادول^(١) ، والمدهش ذكر اسم (شادول) . وهو اسم لم يرد في أي مصدر من المصادر التي نعرفها ، وقد صحح المحقق الكمة بنقله تعليقاً للأستاذ حمد الحسري بأن الصحيح هو ابن سلامة من موالي آل زياد . ومن جنبي أرى أن العبد الحبشي ليس هو الحسين بن سلامة . لأن هذا توفي في مطلع القرن الخامس الهجري . وناصر خسرو قام برحلته في العقد الرابع من القرن الخامس ، وهذا التاريخ هو تاريخ توحيد الدولة النجاشية بزعامه نجح حُشي الذي حكم من عام ٤١٢ - ٤٥٢ هـ / ١٠٢١ - ١٠٦٠ م . وهي الدولة التي خلفت بني زياد (٤١٢ - ٥٥٤ هـ / ١٠٢١ - ١١٥٩ م) ، فناصر خسرو إذن لم يعصر آخر دولة ريفية . وإنما عاصر دولة بني نجح ، وربما كان هؤلاء - وهم من الحبشة - ينتسبون إلى (شادول) هذا . ولقد تعاقبت على زبيد بعد بني نجح دول كانت أولها بني مهدي (٥٥٤ - ٦٥٩ هـ / ١١٥٩ - ١١٧٣ م) . وكانت كل من دولة بني نجح ودولة بني مهدي معاصرة للدولة الصليحية الإسلامية المرتبطة بالفاطميين بمصر^(٢) (٤٢٩ - ٤٩٢ هـ / ١٠٣٧ - ١٠٩٨ م) ليخلف هؤلاء جميعاً الأيوبيون على معظم اليمن (٥٦٩ - ٦٢٦ هـ / ١١٧٣ - ١٢٢٩ م) .

ولم يظهر رحالة في الحقبة الممتدة بين ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري وابن الجاور في الربع الأول من القرن السابع الهجري الذي كان له الفضل في إمدادنا بمعلومات هامة عن زبيد .

وقد أمدنا ابن الجاور^(٣) بقائمة الولاة الأيوبيين الذين حكموا زبيد . يحسن بنا أن نذكرهم ونضيف مدد حكمهم .

(١) سفرنامه ١٢٥

(٢) قطر ابن سنبل خيريري . معه انظور السبكي في دولة بني حجاج بن أبي حنيفة .

(٣) المستبصر ٧٤ ، ٧٥

فأول من تولى ريد من الأيوبيين شمس الدين تورن شاه بن أيوب لمدة عامين (من شوال ٥٦٩ هـ / مايو ١١٧٤ م ، إلى رجب ٥٧١ هـ / أبريل ١١٧٦ م) ، وبعده سيف الدولة مبارك بن كامل بن مقلد بن منقذ ، وبعده حطان لدي تولى عامين [وقبل : حطان أخو مبارك] وقد أرسل صلاح الدين صدم الدين خطب ليقض إلى فتصده مع حطان الذي أراد الاستقلال عن الأيوبيين^(١) ، وجاء بعده سيف الإسلام طفتكين بن أيوب (٥٧٩ - ٥٩٣ هـ / ١١٨٣ - ١١٩٧ م) ، ثم تولى بعده ابن الملك المعز إسماعيل ست سنين (٥٩٣ - ٥٩٨ هـ / ١١٩٧ - ١٢٠٢ م) ، وخلفه الأكراد لمدة سنة ، ليتولى على إثرهم أتبك سنقر (ت ٦٠٨ هـ / ١٢١١ م) عشر سنين ، وجاء بعده الملك الناصر أيوب بن طفتكين (ت ١١ محرم ٦١١ هـ / مايو ١٢١٤ م) عامين ليخلفه عصر الحريم وقد عرفن بالخواتين (جمع خاتون) وكانت على رأسهن أم الناصر نفسه ، ولكن لم يزد حكمهن عن ثلاثة شهور ، ثم تعاور الحكم أمراء متشكسون تفوتت فترات حكمهم بين أيام وأسابيع وشهور ، فقد جاء غازي جبريل (ت ٦١١ هـ / ١٢١٤ م) ليتولى ثلاثة أيام ويقال سبعة أيام ، ثم خلفه سليمان شاه بن عمر بن شاهنشاه بن شادي سبعة شهور ، وقد اعتقل (في صفر ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م) ليتسلم مقاليد الأمور ، الملك المسعود يوسف بن محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت في حمادى الأولى ٦٢٦ هـ / أبريل ١١٢٩ م) .

وبداهة أن الأيوبيين في اليمن كانوا مرتبطين بالسياسة العامة للدولة الأيوبية على وجه العموم ، ومع هذا لم يعرفنا ابن الجاور بعلاقتهم بن حولهم أو رسم سياستهم المختلفة .

إلا أن سياسة الأيوبيين الداخلية كانت معتمدة على إقامة المنشآت العسكرية

(١) باخرمة ، تاريخ ثغر عدن ٧٠/٢

والمدينة . الإدارية فيها والعلمية والمرافقية وتحديد الأوقاف لها . وقد نالت زيبدة من ذلك الشيء الكثير . سنتعرض له عند حديثنا عن العمران إن شاء الله .

أما هنا ، فإننا في حجة لأن نختم حديثنا عن المكانة السياسية لزيبدة عند ابن الجوزي بالانتقال إلى رحلة مشهور وهو ابن بطوطة^(١) الذي حظَّ رحاله في زيبدة عام ٧٣١ هـ / ١٣٣١ م في عهد المسترشد محمد سيف الدين علي الرسولي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) .

أي أننا انتقلنا من عهد بني أيوب إلى عهد الرسولين الذين تبوأوا المكانة السياسية للبرقبة ٢٣٢ عاماً (٦٢٦ - ٨٥٨ هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤ م) حيث بدأت هذه الدولة بعد وفاة الملك المسعود وتولى المنصور الأول نور الدين عمر بن علي بن محمد (ت ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م) الذي عرف بالرسول فنسبت إليه الدولة الرسولية .

وعمر بن علي هذا كان أحد أمراء الدولة الأيوبية ولكنه استغل انهياره فأعلن استقلاله عنها تماماً .

وتمتلك زيبدة في الوقت الذي جاء فيه ابن بطوطة إلى البرقبة مكانة متميزة لا من ناحية لعمية - عتدره مركز لعمى هدم في الدولة الرسولية . هذه الدولة التي عرفت بدولة العلم والعلماء .

ذلك لأن الدولة الرسولية كانت تتخذ من مدينة تعز مقراً لها وعاصمة لدولتها وميناء عدن مدخلاً لتجارها .

ومع هذا فقد وصف ابن بطوطة^(٢) مدينة زيبدة بأنه لا يوجد بالين بعد

(١) الرحلة ٩٩٧

(٢) رحلة ١٦٥

صنعاء أكبر منها ولا أغنى من أهلها . وأنها أملح بلاد اليمن وأجلها : كثيرة البساتين . كثيرة العمران . ولم نخبرنا ابن بطوطة عن إمارتها ولا إدارتها ، ولكنه توسع في الجوانب الاجتماعية والعلمية وسيأتي الحديث عنها لاحقاً .

المظاهر العمرانية

بادئ ذي بدء لنا ملاحظة حول الاتجاه القائل بتقسيم العمران في المجتمع الإسلامي ومنشأته إلى منشآت دينية ومنشآت دنيوية . فإن هذا التقسيم لا وجود له في مجتمع الإسلامي ، لأن لدينا ليس مقصور على شعائر ، وبد يشتمل حياة الإنسان كلها ، وبذا مذكر لفظ الدين في تعبيرات ولصوص فيس يعي به مقدس لدين ولكنه مقابل لأخرة . ومن ثم فإن مصطلح تقسم حياة إلى دين ودين مصطلح غريب على حس إسلامي . وأي شيء يارس على ظهر هذه الأرض - من منطق إسلامي - هو جزء من الدين مادام يارس ضمن مفهوم العبودية المطلقة لله وتحديد الولاء في هذه الأمور كلها لله وحده .

إن تقسيم الحياة إلى ديني ودنيوي هو تقسيم نابع من التصور اللاهوتي عند النصارى الذي يقابله التصور الناسوتي ، وعلى هذا الأساس فالدين في الكنيسة فقط أما خارجها فيمارس الإنسان ما يشاء .

بينما الإسلام يقول : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ [القصص ١٧] .

فالمسجد الذي يعتبره الاثاريون منشأة دينية ليس كذلك في الإسلام ، بل كان مؤسسة تقام فيها الشعائر وتنظر فيها أمور الدولة ، وتقام فيها الأحكام ، ويتعلم بها المسلمون ... إلخ ، أي أنها مؤسسة عمدة تدار فيها العديد من متطلبات الحياة .

ومن ثم فإن الدنيا كلها هي مزرعة الآخرة ، وإن كل ما يقام في الدنيا لا بد أن يكون لنيل الرضا في الآخرة .

ومن هذه المقدمة نؤكد على أن دراستنا هذه حينما نفصل بين أصناف العمران ما هو إلا تصنيف وتفصيل في بحث لتوضيح المعلومات وضم بعضها إلى بعض .

ونبدأ بالأسوار باعتبارها أول ما يواجهه المشاهد حينما يدخل إلى المدينة .

فابن الجاور^(١) أمدا بمعلومة هامة عن بناء سور زبيد فقد جعل أول من أدار سوراً حول المدينة هو الحسين بن سلامة ثم بنو مهدي . وعلى الرغم من هذا التقرير الجازم من ابن الجاور إلا أن المقدسي^(٢) ، وهو سابق على ابن الجاور ، قد ألح إلى وجود حصن على مدينة زبيد من الطين بأربعة أبواب : باب الغلافقة لأنه يتجه إلى البحر (الغرب) ، وباب عدر المتجه إلى الجنوب ، وباب هشام [هكذا] ، وباب شبارق لأنه مقابل قرية من قرى زبيد ولعلها ناحية الشرق . ويبقى باب هشام هذا وربما يتجه نحو الشمال ، ومن ثم فلا أظن أن الباب يعرف بباب هشام ولكنه باب الشام ، وحصل تحريف خطي للكلمة ، لأن القرى والأعمال التي تقع شمالي زبيد تسمى الشام^(٣) .

هذه المعلومة التي جاءت عند المقدسي مجهولة الزمن يحاول ابن الجاور أن يربطها بعهد الحسين بن سلامة . فهل معنى هذا أن آل زياد قبل ذلك لم يسوروا المدينة ؟ هل كتب المقدسي ما كتب في عهد الحسين بن سلامة أم في عهد سيده أبي الجيش ؟ إن من المؤكد أن المقدسي حينما كتب كتابه كان في عهد خلف

(١) المتبصر ٧٣

(٢) أحسن التقاسيم ٨٤

(٣) ابن الجاور ، المتبصر ٥٦

أبي الجيش لأن ابن حوقل المتوفى (عام ٣٦٧ هـ) نص صراحة على أن متولى زبيد هو خلف (أولاد) أبي الجيش . وقد كتب المقدسي كتابه بعد ابن حوقل ، ومن ثم فلا صحة لتحديد وفاة أبي الجيش بعام ٣٧١ هـ / ٩٨١ م كما ذكره عمارة^(١) ، وتبعه من جاء بعده كابن خلدون^(٢) ، فيكون قد توفي قبل ذلك وتولى بعده خلفه ولم يعينه لنا ابن حوقل ، وربما كان هو الحسين بن سلامة ، وربما كان هو (الأستاذ) الحبشي رشيد الذي كان يتولى منصب الوزارة ويكفل ابن أبي الجيش^(٣) ، ولكن نرحح أن يكون عبيد بن إبراهيم وهو أخو أبو الجيش^(٤) . لا أن هذا تاريخياً يعطينا بعداً تاريخياً أكثر من ذلك ، فيخبرنا أن مدينة زبيد لم يفرد بها آل زبيد بتوحيدها عاصمة لهم ، بل قد سبقهم لترحبون الذين حرقوا أمد المأمون بقيادة عبد الله بن يوسف لترحبى هبت مدينة زبيد وسورها وحمل فيها حملاً وقدمياً ، ونسج نخطب - سم المأمون ويطع سكك - ستمه إلا أنه لا يرسل إليه شيئاً من المال^(٥) .

وهذا النص يجعل آل زياد هم ورثة المدينة بعد الشرايين الذين بنوا السور أو الحصن الذي ذكره المقدسي . وربما قد أضاف الزياتيون شيئاً إلى هذا السور ، حتى إذا ما جاء الحسين بن سلامة جعل سوراً دائرياً حول المدينة ، ولم يكن هو أول من أقام هذا السور كما قال ابن الجاور ، وإنما يرجع إلى أن المدينة كانت قد

(١) عمارة . تاريخ اليمن المسمى (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) ٤٠

(٢) تاريخ ابن خلدون .

(٣) الأستاذ : لقب استعمل منذ العصر العباسي فكان يطلق على الختميان من الغلمان فقد أطلق على

كافور الأخشيدي عام ٣٥٠ هـ (الشافعي) . الألقاب الإسلامية ١٣٩

(٤) عمارة . تاريخ اليمن ٤٠ . الوصافي . الاعتبار في لتواريخ والاشعار ٢٧ . ابن الديبع . بغية

سند في تاريخ صنعاء

(٥) راجع ص ٨٠ من هذا الكتاب .

(٦) الوصافي ، الاعتبار ١٠١

توسعت في عهده خارج الأسوار القديمة ، فأدار سوراً حول المدينة كلها جديدها
وقديها .

وهكذا نستطيع أن نؤكد على أن زبيد كانت مدينة من مدن تهامة في العهد
الإسلامي كله ، حتى إذا كان مطلع القرن الثالث ظهر بعض الأمراء المحليين
عرفوا بالشراحيين ، فاتخذوها مقراً لهم وبسطوا سيطرتهم على تهامة من خلالها ،
وأصبحت حاضرة ملكهم ، واتخذوا لها الأسوار ، فجاء بنو زياد من بعدهم آخر
القرن الثالث ومطلع القرن الرابع ليخلفوا الشراحيين في ملكهم في مدينة زبيد .
ومن البديهي أن تكون هذه المدينة في غضون قرن من الزمان قد أصبحت مدينة
عامرة بالمظاهر الحضارية وبالتوسع العمراني ، فلا يبعد أن يتخذ بنو زياد
الوسائل الكفيلة لتنظيم مدينتهم وتسويرها وتأمين منافذها من أي هجوم
متوقع ، أو لضبط النواحي المالية حينما تفرض الضرائب على الداخل أو الخارج
منها . وابن حوقل^(١) وهو يتحدثنا عن الضرائب التي تؤخذ في زبيد بأنها تفرض
على كل من يدخلها أو يخرج منها يشعر القارئ بأن سوراً يحيط بالمدينة وأبواباً
تتحكم فيها ، ويكون ابن حوقل قد ذكر السور الذي ذكره المقدسي عملياً دون
ذكره لفظاً .

وقد أضاف ابن الجاور^(٢) - الذي دخل اليمن في الربع الأول من القرن السابع
الهجري - معلومات قيمة عن الأسوار الأخرى التي بنيت حول زبيد في عهود
متعاقبة .

ولنجحيون بنو سوراً خر حول المدينة ، ويبدو أن المدينة توسعت فبني
السور حول الجديد من المدينة^(٣) .

(١) صورة الأرض ٣٢

(٢) المستبصر ٧٣ ، ٧٤

(٣) وقد أشار إلى هذا السور ابن الديبع في نغية المستفيد ٣٥ ، ٥٩ ، وأن الذي بناه هو أحد وزراء
بني نجاح المعروف بأبي منصور من آله الداتكي في بضع وعشرين وخمسةائة .

ثم جاء بنو مهدي وأداروا سوراً ثالثاً حول المدينة ، ولا شك أن هذا السور دخل فيه البناء الجديد الذي نشأ بعد ذلك .

وقد خلف بني مهدي الأيوبيون ، فأدار سيف الإسلام طغتكين بن أيوب سنة ٥٨٩ هـ / ١١٩٣ م سوراً رابعاً حول المدينة . وكان لهذا السور أربعة أبواب أيضاً : باب غلافقة ينفذ إلى غلافقة أي إلى الغرب ، وباب سهام وهو لا شك المتجه إلى الشمال لأن وادي سهام في الشمال من زبيد ، وباب الشبارق الذي يصل إلى حصن القوارير ، وقد حددنا أنف أن باب الشبارق يتجه نحو الشرق . أما الباب المتجه نحو الجنوب فهو باب القرتب .

وقد بني هذا السور بالطين واللبن وكان عرضه عشرة أذرع .

وأمر سيف الإسلام طغتكين الأيوبي بإقامة سور آخر أطول وأوسع من الذي قبله وأمر الجند أن يسكنوا بين السورين بدواهم وأموالهم .

وقد أحصى ابن الجاور أبراج سور زبيد فوجدها مائة برج وتسعة أبراج بين كل برج ورج ثمنون ذراعاً ، ويدخل في كل برج عشرون ذراعاً إلا برج واحد . فإنه مائة ذراع فصار محيط المدينة عشرة آلاف وتسعمائة ذراع .

ولم يعطنا ابن بطوطة^(١) أي إشارة إلى أسوار المدينة ولا إلى عمرانها ، مكتفياً بالقول أنها مدينة كبيرة كثيرة العمران .

وبعد الأسوار سنحاول أن نستعرض المظاهر العمرانية الأخرى في المدينة من خلال كتب الرحالة . وما يؤسف له أن ما كتب حولها لم يوجد إلا في كتابات المقدسي وابن الجاور وابن بطوطة .

(١) الرحلة ١٦٥

ويمدون مدينة زبيد أشهر فيها مجدن : أحدهم مسجد الأشعر .
والآخر الجامع الكبير .

وشار ابن الحجاور إشكالا بقوله إن مسجد الأتاعر بني الأسطين من السح
نقلت من علافة المنفذ البحري لزييد . وكانت هذه الأسطين بقية مارة بحرية
في هذا الميناء ، فهل بنيت منارة أخرى بدلاً عن المنهدمة أم تحول ميناء من
علافة إلى مكان آخر ؟ ومتى كان هذا الهدم والبناء ؟

(٣) المستبصر ٣٤٠

بن محمد بن يوسف بن علي بن سوح (مؤني) زبيد في عهد بني
 سوب كانت لمسلم و لاهوب . وأن ما بقي منها يؤدي إلى أمير مكة . وعطاب
 معومات غير مبنية توحى بن بن - مسجد كل في عهد الحسن بن سلامة . وأن
 مبد - لاهوب بن علي بن بن حرقدرسي عدد ٥٣٣ هـ ١١٣٦ م يسمى أبو القاسم
 الرامست . ولكنه بني مرة أخرى في عهد جبريل بن زيد أحد أمراء زبيد . على
 يد واحد من ريلع^(١) كان ضامناً لعشور في لاهوب . فطلب من جبريل أن
 يخط عنه لعشور عشر سنوات كي يبنى مرسى الأهواب . ويبدو أنه استجاب لهذا
 المطلب . وأما بعد ذلك - وبالتحديد في القرن التاسع الهجري - فقد تحول الميناء
 إلى مكان يسمى : البقعة^(٢) .

وقد نسب إلى بني زيد بناء مسجد حر عرف بالجامع الكبير - على عادة
 المسلمين في تسمية المسجد جامع في أي مدينة - جامع الكبير - ولا أدري لماذا
 يسمي هذا الاسم للجامع الأتاعر وحرص الرياديون على بناء جامع آخر . حتى أن
 الحسين بن سلامة المهتم بالعمارة والبناء وبتحاديذ المؤسسات الخيرية للناس اهتم ببناء
 الجامع الكبير كاهتمامه ببناء جامع الأشاعر .

ولذي يزيد الشك في نفس الباحث أن الوصافي^(٣) . وهو يخبر عن
 الشراحيين الذين اتخذوا من زبيد مقراً لهم . أشار إلى أنهم كانوا قد بنوا مسجداً .
 في المسجد كان هو الذي بنوه . هل هو مسجد الأشاعر أم المسجد الكبير أم هو
 غيرهم . وهل أنشأ الحسين بن سلامة الجامع الكبير إنشاءً أم كان موجوداً

(١) السبع ٣٤٦ . ٢٤٧ . وانظر : الحزرجي ، المسجد المسبوك في ولي اليمن من الملوك ١٠٢

(٢) ريلع : فرصة على خليج عدن في القرن الإفريقي تقع بين جيبوتي في الغرب وبربارة في
 الشرق . (عطية الله ، القاموس الإسلامي ١٦٠/٣) .

(٣) الحزرجي ، المسجد ١٠٢

(٤) الاعتبار ٢٧

فوسعه ، وكتب اسمه عليه ، وأصبح منسوباً إليه ؟ إننا لا نجد إجابة لهذه التسؤلات ، لأن المصدر - ومنه كتب الرحالة - لا تنبس بينت شفة في هذا الشأن ، ومن ثم لا نستطيع الجزم بمظاهر العمرانية التي ظهرت في زبيد قبل الحسين بن سلامة .

ومع هذا فلنصوص أو التلميحات التي ترد بين السطور تخم علينا أن نتعمد معها ونغوص في أعماقها ، كي نصير إلى شبه ما يمكن أن يكون .

فلمقدسي له بعد الملاحظة ودقة النظر في وصف المسجد الجامع لزبيد ، وربما كان هو الجامع الكبير ، لأنه المسجد الذي تقدم فيه الجمعة والجماعات ، بين مسجد الأشاعر كانت تقام فيه الجماعات ، أما الجمعة فقد ورد في بعض المصادر أن العثمانيين أصدروا مرسوماً في عهد مصطفى باشا في ١٩ من المحرم الحرام عام ٩٤٩ هـ / ١٥٤٢ م يقضي بإقامة الجمعة فيه .

مما يعني أن الجمعة قبل ذلك لم تكن تقام في مسجد الأشاعر ، ولا ندري من الذي منعها فيه وخصصها بالجامع الكبير ، ولكن هناك من الدلائل ما يشهد أن مسجد الأشاعر كان يعد هو الجامع الكبير في فترة من الزمن .

ومن ثم فالمقصود بالمسجد الجامع - عند المقدسي - ربما كان جامع الأشاعر لشهرته أولاً ، ولأن المقدسي^١ لاحظ أن المسجد كان مزيناً بنقوش ، وكان له

(١) ابن النقيب ، جامع الأشاعر ١٢٠ ، تحقيق . ومن العجيب أن رسالة قد ألفت في هذا المعنى معنونة بإرشاد الخائر في إقامة الجمعة بمسجد الأشاعر ، تأليف محمد بن عبد القادر الأهدل (ت ١٢٢٧ هـ / ١٩٠٩ م) ، جامع القرية ١٢ مجاميع (انظر : الحبشي : مصادر الفكر العربي الإسلامي في ليبيا ٢٥٠ مركز الدراسات ليبيا ، صنعاء ، هذه الرسالة توجي بعد تهرد قمة الجمعة في مسجد الأشاعر في جميع العصور .

(٢) أحسن التقاسيم ٨٤

منبر لا يقطع صفوف المصلين بل كان (مقوراً) [من التقوير أي التجويف] ولعله داخل جدار القبلة المواجه للمصلين ، وحينما نقارن هذا الوصف عند المقدسي بكتابات الاثريين المحدثين لمسجد الأشاعر ، فإننا نجد الدكتور مصطفى شيحة^١ يصف جدار القبلة بأنه يحتوي على منبر قديم من الخشب داخل تجويف في الجدار الشمالي يعلوه عقد مقصص ، يقوم على عمودين وقد تبقى من هذا المنبر القديم بعض درجات السلام وبعض الحشوات الخشبية القديمة . . هذا الوصف لم يرد عند حديثه عن الجامع الكبير ، ولكنه أرجع تاريخ هذا المنبر إلى القرن السادس الهجري . وقد يكون هذا لتاريخ لأنه جدد في القرن السادس . أما التجويف نفسه فلعله كان قديماً وظل محتفظاً بطبعه القديم .

وهناك مساجد أخرى في المدينة أشار إليها ابن الجاور^٢ ، كمسجد الهند ومسجد السدرة الذي صلى فيه ابن الجاور نفسه يوم الخميس ١٥ من ذي القعدة ٦٢٤ هـ .

وقد أقدم علي بن محمد الصليحي على مشروع طويل المدى حيث أبدى استعداداه للقيام ببناء مسجد ورباط في كل مرحلة من المراحل الممتدة من زبيد إلى مكة ، وبدأ في تنفيذ حتى وصل إلى مدينة المهجم^٣ ، ولكنه توقف هناك ولم نعرف سبب توقفه . ولكن الباحث - أي باحث - يتساءل عما إذا كان هذا المشروع يقصد من ورائه خدمة الحجيج أم يهدف إلى السيطرة على المناطق الممتدة في تهامة حتى مكة .

ومما يلفت نظر الباحث أن ابن الجاور^٤ يحكي لنا وصفاً لبناء أسماه

(١) المستبصر ٧٠ ، ٧٣ ، ٧٤

(٢) المصدر نفسه ٧٥

(٣) المصدر نفسه ٧٥ ، ٧٦

(٤) مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية اليمنية ٥١

(الجنبذ) أنشأه علي بن محمد لصلحي من الأحر المحكوك والخص (الجير) . ويتكون هذا مبنى من ثلاث قبة متقاربة بين الوحدة والأخرى مقدار أربعة أذرع . ولا يعرف بهدف الذي من أجله بني هذا المبنى . إلا أنه أشار إلى أن العمدة يسمونه لكعبة . فهو هو مسجد مشهد خاص بالصلحيين ، لأن هؤلاء يدينون بمذهب الإسماعيلي الذي يجعل تدعى يصلون في مسجد خدمة بهم . حيث كانت لهم شعائرهم مخفية وعقدتهم لدنية منحولة ؟!

وعلى عادة الإسماعيلية في بناء مسجدهم فقد كانت (الجنبذ) هذه زاخرة بالنقوش وكتابات المطعمة بالذهب واللازورد بالإضافة إلى نقوش ورخرفة بالخص (الجير) . وهذا المبنى يحتوي على أموال عظيمة ، وربما كانت هذه الأموال هي النقوش الذهبية أو هي أموال في خزائن خاصة . وحينما دخل سيف الدولة الأيوبي إلى ربيع أخذ هذه الأموال وجعل (الجنبذ) مسكن لقوم من الفقراء .

وفي مقابر (الجنبذ) هذه عند الصليحيين (الدين يدينون بمذهب الشيعي الإسماعيلي) ، ظهر مبنى آخر عند بني مهدي (الذين يتسبون إلى مذهب الخوارج) ، فقد سعى علي بن مهدي إلى إقامة منشأة عرفت (بالمشهد) بناها عام ٥٥٥ هـ في مدينة زبيد . ولكي يوفر لها مواد البناء المطلوبة هدم مسجد الأهواب (قرية تقع غرب زبيد) . الذي كان قد بناه أحد تجار الهدايا عام

(١) الجابذ : مفردا جنبذة وهي القبة . ويوجد في المدينة المنورة قصر الجنبذ (ترتيب القاموس المحيط ٤٣٦/١ للطاهر أحمد الزاوي) .

(٢) اللازورد : نوع من الأحجار الكريمة يتكون من خليط من اللازوليت وعناصر أخرى . اللون الغالب عليه هو الأزرق بمختلف درجاته ، ويوجد في الصخور الكلسية المتحولة (انظر : التيفاشي ، أزهار الأفكار في جواهر الأحجار ١٦٨ - ١٧٧) .

(٣) يسمى هذا التاجر أبو القاسم الرامث ابن شيرويه بن الحسين ابن جعفر الفارسي .

٥٣٢ هـ . وكان هذا التاجر قد أحصر الخشب الساج لبناء هذا المسجد من الهند^(١) .

فأخذت هذه الأخشاب من مسجد الأهواب ليبني بها (المشهد) ، وإذا كنت قد أبدت استغرابي لوجود (الجنازة) فإن (المشهد) يثير الاستغراب نفسه . هل هو دار حكومي يشهده الناس ويجمعون فيه ؟ أم هو مسجد عرف بالمشهد ؟ أم هو مشهد لضريح أقيم على قبر ؟ وقبر من إذا كان هذا صحيحاً ؟

والدول التي حكمت بلاد في فترات متعقبة لا تترك من مشات حكومية لإدارة مصالح الدولة وهي من الأمور البديهية . إلا أن الرحالة لم يسيروا إلى هذه المباني . واكتفى ابن الجاور^٢ بالإشارة إلى دار الملك كما أسماها ، وأنها بنيت في عهد بني زياد ، والذي بناها (شحان بن جعفر) [هكذا] وهذا اسم نلتقي به لأول مرة ولا وجود له فيما نعرفه من تاريخ بني زيد^٣ .

وقد وصف ابن الجاور^٤ هذه الدار بأنها ذات طول وعرض ، وقد بنيت بالاجر ولجص ، على مفترق طرق داخل المدينة ، وهي من الضخامة والمتانة ما جعلها باقية حتى عام ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م . بالإضافة إلى ذلك كانت محصنة حيث بنيت بطريقة مرتفعة عن الأرض . حتى أن الباب كان عال جداً إلى حد أنه أصبح كالبرج يشاهد منه القادم على بعد فرسخين (حوالي ١١ كم) ، وحفر حوله خندق عظيم عميق عريض . وظل الباب هكذا حتى هدمه المسعودي يوسف بن أبي بكر أو الأمير أيوب العزيزي في عهد بني أيوب عام ٦١٨ هـ / ١٢٢١ م .

(١) ابن الجاور ، المستبصر ٢٤٧

(٢) المصدر نفسه ٧٨

(٣) المقدسي ، أحسن التقاسيم ٨٤ ، وابن الجاور ، المستبصر ٧٨

(٤) ابن الجاور ، المستبصر ٢٤٠

وأخذت مواد بناء فبنى بها دوراً - أظنها دوراً حكومية - وظلت آثار هذا الباب باقية حتى شاهدها ابن المجاور عام ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م ^(١) .

أما المرافق الأخرى كالحمامات والخانات (الفنادق) فإن المساجد كانت تجاورها مرافقها كالأحواض والمغتسلات ، حيث أشار المقدسي ^(٢) إلى مرافق زبيد بأنها أكثر من مرافق مكة وأن حماماتهم نظيفة ، فالمرافق تشمل أحواض الوضوء (الميضة) وغيرها ، أما الحمامات فهي تطلق عادة في مصادرها التاريخية والفقهية أيضاً على المباني المخصصة للاستحمام ، وهي معدة بالماء الحار والغرف الحارة ليعرق المستحم . وقد وجدت في معظم الأمصار الإسلامية ^(٣) ، وما زالت منتشرة في اليمن حتى يومنا هذا ، ويدل وصف المقدسي له بالنظافة على توفر الماء والعناية بها ، ولهذا لفت المقدسي ^(٤) انتباهه إلى مصدر المياه التي تمد مدينة زبيد بالحياة وهي الآبار ذات المياه الحلوة الخفيفة على شاربها ، ويبدو أن معظم المياه كانت تأتي من خارج المدينة ، لأن بني زياد مدوا قناة للماء وصلت إلى وسط المدينة كانت تمد الأهالي بما يحتاجونه من المياه ، ولذا وصف ابن بطوطة ^(٥) المدينة بأنها كثيرة المياه واسعة البساتين كثيرة العمران .

لقطات من الوضع الاقتصادي

لم تهتم المصادر التاريخية اهتماماً واضحاً بالشؤون الاقتصادية لا من ناحية النظم ولا من ناحية حياة الناس الاقتصادية كالنشاطات التي تدرس والوسائل

(١) المتبصر ٢٤٧

(٢) أحسن التقاسيم ٨٤ ، ٨٥

(٣) انظر إن شئت : الحبيبي ، حقائق النام في الكلام على ما يتعلق بالحمام ٢٣

(٤) أحسن التقاسيم ٨٥ ، ١٠١

(٥) رحلة ١٦٥

المستخدمة فيها أو المردود الاقتصادي لهذا النشاط . وكنا نطمح من كتب الرحالة أن تلي هذه الرغبة وتطفئ حرارة ظمأنا إليها ، ولكنها خيبت آمالنا ولم نجد إلا شذرات مبثوثة في كتب الرحالة المتأخرين منهم . ومع هذا أسمىناها لقطات ليس تجاوزا وإنما على الحقيقة .

ويمكن أن نصف هذه اللقطات إلى لقطات تختص بالنشاط الرسمي الحكومي . ويشمل النظم وما يترتب عليها من جباية للأموال ومقاديرها ومصارفها . ولقطات تختص بالنشاط غير الرسمي المهتم بحياة الناس الاقتصادية ونشاطهم في مجال الزراعة والتجارة والصناعة . وأخيراً لقطات عن المراكز الاقتصادية كالأسواق والمحال التجارية .

أولاً - النشاط الرسمي ، وأول ما يحدثنا عنه ابن حوقل ولا يعطينا المعلومات بصورة مفصلة ، ولكننا نأخذها من خلال ما يسرده علينا من أموال تحصلتها الدولة الزيادية في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري . ونستطيع أن نستفيد من استعراضه هذا ، فنرسم الأنظمة المالية المتبعة في هذه الآونة .

(فالتقبل) - كنظام مالي - كان يمارس في مدينة زبيد^(١) . حيث يتقبل أنس معينون ما يدخل أو يخرج من المدينة من الأموال ، على أن يدفع المتقبلون مائتي ألف دينار عثري . و (متقبل) هو الرحس الذي كسر على نفسه أو ضمن أن يدفع مبلغاً من المال للدولة مقابل أن يقوم بتحصيل ما على الناس من واجبات مالية ، وهذا النوع من الأنظمة المالية لم يكن مرغوباً فيه عند علماء الأمة لأنه يحيف بالناس^(٢) .

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ٣٢

(٢) انظر : صبحي الصالح ، النظم الإسلامية ٣٨٦

ولم يذكر المقدسي^١ هذا النظام ولكنه نوه للمعاملة التي يتعرض لها 'تجار' من خلال المراسد (نقاط التفتيش والتحصيل) المقامة على أبواب زييد ، فكان التجار يدفعون عن الحمل من السلع غير الضرورية ديناراً ، أما السلع الضرورية فيدفع نصف دينار ، لهذا جزم بأن الأسعار عالية^٢ . أما ابن الجاور^٣ فقد وافق على تصريح ابن حوقل فقال : . القوافل الصادرة من زييد إلى عدن كان عليها ضمين كان يدفع كل عام ألف ومائتين دينار . . وقد ألغي هذا النظام عام ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م ، ولكنه أعيد مرة أخرى ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م ، وارتفع مقداره إلى ألف وسبعمئة دينار .

ويخبرنا أيضاً عن سوق السمك بزييد ، وأنه كان بيد ضمين ملتزم بدفع ثلاثة عشر ديناراً عن كل يوم إلى خزانة الدولة^(٤) .

فهذا المتقبل لسوق السمك إما أن يكون أحد الصيادين ، وإما موظفاً من قبل الدولة ، وإما هو أحد نقباء المهن التجارية . ولا شك أنه سيتحصل من الناس ضرائب أو مكوساً أكثر من هذا المبلغ بكثير ، فهو في حاجة إلى الصرف على موظفين لمكثمين والتحصيل ، وفي حاجة إلى مبالغ خاصة به ، بالإضافة إلى المبلغ المطلوب إيراده للدولة . وقد أمدد ابن الجاور^٥ بلحمة عن الجباية التي تؤخذ من المراكب الخاصة بالصيادين المسماة (الصديق) مفردها (صنيق) ، بأنه يدفع عن كل صنيق شهرياً سبعين ديناراً . هذه اللحمة تنبئ عن المبالغ المستخلصة التي تصل إلى المتقبل أو الضامن لسوق السمك .

(١) آسن التقاسم ١٠٥ ، فالضرورية مثل : الأقمشة ، أما غير الضرورية مثل : الطيب .

(٢) المصدر نفسه ٨٥

(٣) المستبصر ٩٩ - ١٠٠

(٤) المصدر نفسه ٢٤٣

(٥) المصدر نفسه ٩٢

وأضاف ابن المجاور^(١) بعض أنواع الضمانات أو التقبل داخل زبيد فيوجد ضمين أو متقبل لكل ما يتحصل من بعض الأنواع المباعة في الأسواق ، مثل ما يبيعه الباعة المتجولون والخضرة والبقول والغلال وكل ما يدخل من الباب . وعليه أن يدفع للخزينة من ذلك كله تسعين ألف دينار ملكي . وتلفت النظر عبارة « ما يدخل من الباب » فهي تثير إشكالاً ، فربما كان يقصد بأن لكل باب من أبواب المدينة ضميناً . وربما عبر بالباب مفرداً ، ويقصد به جميع الأبواب . حيث اعتبر الكلمة جنساً لكل الأبواب .

وهناك ضمان دار الضرب حيث يدفع ضامنها ثلاثة عشر ألف دينار^(٢) . ويمكن أن يكون هذا في العام . ويدل التعبير على أن دار الضرب ليست ملكاً للدولة بل هي ملك لبعض الأهالي ، وتصبح الدولة معترفة بالصك الذي تصدره هذه الدار . وهذا نوع من حرية التملك حتى للمؤسسات الحيوية التي من المفترض أن تكون تابعة للدولة .

نوع آخر من الضمان ، وهو تقبل مدايع الجلود وما يستخلص منها ، على أن يورد لخزينة الدولة ثلاثة عشر ألف دينار^(٣) ، ولا بد أن يكون هذا في العام .

ويعطينا ابن المجاور^(٤) معلومة تحتاج منا إلى وقفة وتأمل وتحليل . فهو يقول : « إن ضمان دار النبيذ اثنا عشر ألف دينار » فأين نبيذ هذا ؟ هل هو من الخمر المسكرة ؟ إن أبسط معايير المجتمع المسلم تمنع هذا النوع من الاستثمار ، فهل كانت الخمر تستثمر في عهد الأيوبيين ؟ إنني أشك في هذا ، خاصة أن كلمة (دار) تعني أنها تشبه دار الضرب التي هي دار رسمية ، أي أن الدولة تشرف على

(١) المستبصر ٨٩

(٢) المصدر نفسه ٩٠

(٣) المصدر نفسه ٨٩

(٤) المصدر نفسه ٩٠

إنشائها ومراقبتها وربما كانت تابعة للدولة ، فهل الدولة تتكفل بقديم مصانع للخمور ؟ إن هذا لا يقبله العقل .

ولكننا ينبغي أن نفهم كلمة (البيذ) على أنه النبيذ الحلال الذي لا يسكر « وهو ما يعمل من الأشربة من التمر والزبيب والعسل والحنطة والشعير وغير ذلك »^(١) . أي أنه نبذ لفترة قصيرة دون أن يفور ويتحول إلى مسكر .

وهذا يعني أن الحكومة تشرف على إقامة دار متخصصة بالمشروبات الطبيعية المحلاة بالسكّر التي تباع للنس في ليلهم ونهرهم دخل المدينة للتخفيف من حرارة الجو وضراوة العطش .

ويتقبلها الضامن ويدفع عنها اثنتي عشرة ألف دينار سنوياً ، لأن الإقبال كثير على هذه المشروبات أو العصائر (جمع عصير) حرارة الجو في زبيد .

ويدلنا ابن الجاور^(٢) أيضاً على ضمان زراعي ، فالنخل بصورة خاصة ركز عليها المتولون لزبيد لاعتبارها من المحاصيل الزراعية الأساسية ، فكان كل من بني نجاح وبني مهدي يدفعون هذه النخيل إلى ضمين أو متقبل نظير سبعين ألف دينار يدفعها كل عام للخرينة ، بينما صار الضمان في عهد بني أيوب مائة ألف دينار .

هذا النظام المتبع في زبيد رغم أنه غير مرغوب فيه عند بعض الفقهاء وغير جائز عندهم ، ومن جوزه منهم يشترط له شروطاً ، بالرغم من ذلك ، فإن هذا النظام حرصت عليه الدول المتعاقبة على زبيد ، وربما كان إصرارها هذا ينبع من مصلحتها التي تقتضي عدم التكلفة في التحصيل المباشر ، فاستعملت نظام التقبل

(١) ابن منظور ، لسان العرب ٤٣٢٢/٦

(٢) المستبصر ٨٠ ، ٩٠

أو الضمان هذا ، لأنه لا يكلف الدولة شيئاً بل تستلم ما يخصها من المتقبل دون تكلفة تذكر .

وضربت هذه الدول بمصلحة الفرد عرض الحائط ، لأنها أعطت لهؤلاء المتقبلين الحق في أن يفرضوا على أفراد الأمة ما يشاؤون من الضرائب ، لأنهم يريدون تحصيل ما يورد للدولة ، وما يكفي موظفي التحصيل ، أو الإدارة المالية ، هذا بالإضافة إلى ما يخص المتقبل نفسه ، ولا بد أن يكون مجزياً ، فأبى العدل في هذا النظام ، إنه لظلم الذي أحدثته هذه الدول ، وكان البذرة التي أدت إلى سقوطها .

يحدثنا ابن حوقل^(١) أيضاً عن نوع آخر من النظم المالية التي كانت تستخدم في مدينة زبيد ، وهو نظام عرف (بالأمانة) ، أي أن الدولة تخول للناس تقييم ما يمتلكونه وتحديد ما عليها من ضرائب ودفعها طواعية إلى الدولة ، وكانت الإشارة التي ذكرها ابن حوقل تفيد بأن هذا النظام كان متبعاً في ميناء عدن وهو تابع للدولة الزيادية ، وربما كان متبعاً في مدينة زبيد أيضاً ، وهي عاصمة الدولة ، ولكن المتأمل لنظام التقبل والأمانة قد يتصور الموهلة الأولى التناقض بينهما ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، لأن الأمانة هذه قد يكون القصد منها أن تمارس في أموال الزكاة ، ومن ثم لا دخل للمتقبل أو الضامن في الزكاة .

والمكس أو المكوس - كنوع من النظم المتبعة - يقصد بها أخذ مبلغ معين من السلع المباعة في الأسواق ، وهو نوع كان يمارس في الجاهلية ، ويمكن أن يطلق عليه ضريبة ، أو هو المال غير المفروض شرعاً^(٢) لذي يأخذه جابي الزكوات ،

(١) صورة الأرض ٣٢

(٢) لسان العرب ٤٢٤٨/٦

وهذا مما نهى عنه الشرع الإسلامي . كما جاء في الحديث الشريف « لا يدخل
الجنة صاحب مكس »^(١) .

هذا النوع من الضرائب ليس لدينا ما ينفي عدم ممارسته في الواقع إلا ما قيل
عن أن بني مهدي « ما كانوا يستحلون أخذ المكوسات من أحد ما خلا الحاج ،
وأهم كانوا يأخذون منهم مقام الدرهم ثلاثة دراهم »^(٢) .

وإذا كنا قد أشرنا إلى أن بني مهدي استخدموا الضمان ، فإن الملاحظ أنه
ضمان في المجال الزراعي فقط وله اعتباره ووجاهته .

أما بقية الدول التي أشرفت على زييد ، فقد كانت تستخلص المكوس من
الناس . إما عن طريق المتقبل ، وإما عن طريق موظفين رسميين من الدولة .

ولم يشر المقدسي^٣ إلى أن الذي يتحصل من هذه المكوس هو الضامن أو
المتقبل ، ولكنه ينسبها إلى إدارة الدولة الحاكمة للمدينة .

ويصور لنا الوضع على أبواب زييد بأن لكل باب (مرصد) أو نقطة
تفتيش ، ولديهم قائمة بالسلع الداخلة وما عليها من مكوس أو ضرائب ، فكان
المسك عليه دينار ، بينما حمل البز (القماش) عليه نصف دينار .

أما ابن الجاور فقد ذكر لصمين وذكر مكس . مما يدل على أن المكوس
يأخذها المتقبل أو الضامن المخول من السلطة .

(١) رواه أبو داود وأحمد وغيرهما عن عقة بن عامر مرفوعاً وصححه ابن خزيمة والحاكم ٣٧١ ،
(انظر : العجلوني ، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس
٣٧١/٢) .

(٢) ابن الجاور ، المستبصر ٥٠ .

(٣) أحسن التقاسيم ١٠٥ .

وتتنوع مقادير المكوس بتنوع المنطق ، فالخوذة مثلاً منطقة تبعة لزبيد وتطل على البحر الأحمر كان « يؤخذ منها مكس : عن كل حمل السدس » بينما يؤخذ « في قرية الحيلة من كل حمل نصف ربع ^١ » ، ولا ندري لماذا هذا التنوع .

فإذا كان هذا يؤخذ من قرى زبيد ، فبالأولى يؤخذ من المدينة نفسها ، ولكن الدولة لا تسعى لتعيين الموظفين لهذا الغرض ، ولكن الضامن نفسه هو المسؤول عن الجباية ، وقد صرح بهذا ابن الجاور ^٢ عند القول بأن الضامن لأبواب زبيد كان يدفع للخزينة تسعين ألف دينار ملكي .

بالإضافة إلى ما ذكر عن نظم التعامل مع الأراضي الحرة المملوكة للأهلي ، فهناك أرض مملوكة للسلطان أو للدولة ، وهي ما تعرف (بالصواقي) ، أي الأراضي المصطفاة لبيت المال . وربما عوملت بنظام التقبل أو المشاركة ، وتورد الأموال المتحصلة منها في النهاية إلى خزينة الدولة . وفي المقابل يمكن التعمر مع أراضي الأوقاف ^٣ ، حيث يكون لها ناظر وقف وإشراف حكومي ، ثم تطبق شروط الواقف في التحصيل والصرف .

ثانياً - النشاط الاقتصادي وأعني به ما يمارسه الأفراد والجماعات ، وأبرز ما يمارسه السكان : الزراعة والتجارة وصيد الأسماك وبيعها والصناعات المختلفة .

فأما الزراعة فيهتم بها الناس عندما تتوفر الإمكانيات المتاحة لها وفي مقدمتها المياه ، وقد أمدتنا كتب الرحالة بمعلومات قيمة عن المياه في مدينة زبيد ، فيذكر المقدسي ^(٤) أن لهم آباراً حلوة متوفرة مياهها ولذا كانت لهم حمامات وهي نظيفة

(١) ابن الجاور ، المستبصر ٩٢ ، ٩٣

(٢) المصدر نفسه ٩٠

(٣) المصدر نفسه ٧٩ ، ٨٠

(٤) أحسن التقاسيم ٨٥ ، ٩٥ ، ١٠١

ما لا يدي لعملة ودون لرعة . فندهي ان زيد من منن خضرة
الأولى في اليمن لا تخلو من هذين العاملين . فإذا كنا قد عرفنا استخدام وسيلة
الطواحين الهوائية لرفع الماء وهي من الوسائل المهمة والجديدة ، فإن من الأولى
بهم أن يستخدموا لأدوات المنسبة لهذا الغرض .

حد (۱)

[illegible]

(٤) الرحلة ١٦٥

من الموز وغيره ، حتى أنه ذكر العادات الاجتماعية التي يمارسها الأهالي عند حصد ثمار النخيل .

وقد أمدن ابن الجاور^(١) قبل ابن بطوطة بمعلومات مالية هامة عن النخيل وما يتحصله الجباة لبيت المال . وعن صوافي النخيل المخصص لبيت المال ، وهذا يعني توفر التمور بأنواعها في القرن السابع الهجري . وقد يقال بأن النخيل لم يلق اهتماماً في القرن الرابع وما قبله ، وهذا لا يتصور ، لأن هذه المناطق كانت مختصة بزراعة النخيل ، فمقدار ما ذكره ابن الجاور^(٢) من إحصائيات عما يحصل من النخيل ، يعد هو الإنتاج الطبيعي لهذه الشجرة عام ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م ، وهو مائة وعشرة آلاف دينار تقدأ غير ما حمل إلى خزانة الدولة ، وهذا مبلغ ضخم يدل على مدى الاهتمام بهذه الشجرة من قبل الدول المتعاقبة .

ولأهمية بعض المحاصيل الزراعية انفردت بأسواق خاصة بها مثل سوق البر (القمح) الذي كان يقام بعد صلاة ظهر كل يوم^(٣) .

ويتطرق ابن الجاور^(٤) إلى مجموعة من المزروعات ذات الأهمية في حياة الناس كالسمسم الذي يعرف في اليمن بالجلجلان أو الجلجل ، حيث يعصر ويستخدم زيتة لأغراض عدة ، والقطن والعدس ، ومن النباتات تلك التي تستخدم لدبغ خمود وهي شجرة (سبق) . ونسب إلى أن هذه الشجرة من نبق العراق لأنه بلا أشواك ، ولا ندري هل شبهها بها أم أنها نقلت إلى اليمن أم العكس . وهناك أتجار أخرى ذكرها ابن الجاور دون أن يعرفنا بأهميتها أو استخداماتها ، وما أظنه ذكرها إلا ولها أهمية ما .

(١) المستبصر ٧٨ ، ٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ٨٠ .

(٣) المصدر نفسه ٨٨ .

(٤) المصدر نفسه ٢٥ ، ٦٣ ، ٨٨ .

ومما يدل على أن المحصولات الزراعية من الحبوب ، وهي : الذرة والدخن
والسمسم من المحاصيل الأساسية ، تلك اللقطة التي التفت إليها ابن الجاور^(١) .
فحدثنا عن أن أرباب البيوت يخزنون هذه الحبوب لديهم ، أي أن كل بيت لديه
ما يعرف في اليمن بمدافن الطعام ، وتشبه صوامع الغلال ، ولكنها تخالفها بكونها
تحفر في الأرض وليست على شكل بنايات على ظهر الأرض .

أما الفواكه فقد نوه ابن الجاور^(٢) إلى مجموعة منها كالبطيخ ، ويسمونه
البرطيخ أو (الحب حب) ، و (العنب) بفتح العين وسكون النون ، وهو نوع
من الفواكه قد يعرف بعنب الفلفل تفريقاً له عن عنب العظام المعروف بالمانجو ،
لأن العنب يشبه المانجو في لونه وبعض طعمه ، ما عدا بذوره وحجمه الذي قد
يكون أكبر من المانجو .

أما الصناعات فلا يحدثنا عنها الرحلة المتقدمون إلا إشارة ، فقد أعطانا ابن
حوقل^(٣) معلومة بأن جلود النور كانت تستورد من جزيرة دهلك ، ولكنه لم
يخبرنا عن استخداماتها أو صناعاتها ، إلا أن من القطوع فيه أن هذه الجلود
سيترتب عليها صناعة . فقد تصنع منها المعاطف أو الدروع أو أي ملابس
جلدية . ويعني هذا وجود صناعات جلدية في زبيد ، ويؤكد على هذا المقدسي^(٤)
فيجعل من زبيد مدينة مشهورة بصناعة الأديم (الجلد) . أما ابن الجاور^(٥)
فيؤكد على أن (الأديم) يُصنع في جميع إقليم اليمن ، وأن شجرة (السق) خالية
من الشوك المستعملة للمدبغة توجد في زبيد ، ثم يلفت نظرن إلى تطوير صناعة

(١) المستبصر ٨٨

(٢) المصدر نفسه ٨٧

(٣) صورة الأرض ٣٢

(٤) أحسن التقاسم ٩٨

(٥) المستبصر ١٣ ، ٢٥ ، ٩٧

الجلود من خلال حديثه عن الوسائل (الميكانيكية) المستعملة في صناعة الجلود ، فيخبرنا عن طواحين القرض (نوع من الشجر يستعمل لدبغ الجلود) فلكثرة هذه الصناعة كان لها طواحين تطحنها وتعدّها للعمل . ويتضح للقارئ ضخمة إنتاج الجلود في زبيد من خلال ما يدفع عنها لخزينة الدولة ، حيث عرفنا أنفاً أن الضامن للمدبغة يدفع ثلاثة عشر ألف دينار سنوياً^(١) .

وبالرغم من أنهم يزرعون القطن - كما ذكرنا أنفاً - إلا أنه كما يبدو لم يكن كافياً ، لأن المدينة في عهد الدولة الزيادية كانت تستقبل الأحمال الضخمة من البز (القماش)^(٢) لسد حاجات الناس من هذه السلعة . مع الأخذ في الحسبان أن (غزل) الملابس عملية مستخدمة وممارسة في أوساط النساء في منازلهن^(٣) .

واشتهرت مدينة زبيد بصناعة الأصباغ المستعملة في صبغ الملابس المتنوعة ، وأهم هذه الأصباغ ما يعرف (بالنيل)^(٤) ، وبجوار هذه الصناعة المشهورة في زبيد لا يبعد أن توجد صناعة للأصباغ الأخرى ، خاصة أننا نعرف أن هناك أنواعاً من المنسوجات كانت تصدر إلى خارج زبيد كالبرّد ، حيث كان الحمل الواحد يضم ١٢٢ بردة ، بالإضافة إلى الحرير الخالص والحرير المخلوط بالكتان^(٥) .

وهناك أنواع من الصناعات : كالأواني المتنوعة سواء المستخدمة للمكايل^(٦) ، وهي غالباً من المعدن أو الخشب ، أو المستعملة في المنازل ومعظمها

(١) المصدر نفسه ٨٩

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ١٠٥

(٣) ابن الجاور ، المستبصر ٩٠

(٤) المقدسي ، أحسن التقاسيم ٩٨ ، والنيل هو : مادة زرقاء تستخدم للصبغ .

(٥) ابن الجاور ، المستبصر ٨٩

(٦) المقدسي ، أحسن التقاسيم ٩٨ ، يستشف هذا من حديثه عن المكايل لمستخدمه ، فلا ننس أنهم يصنعون أواني منزلية بجوارها .

من الفخار مثل (الجرة = الزير الصغير) و (الحنّة) وهو إناء صغير من الفخار يستخدم لحفظ السمن والعسل وغيرهما من السوائل .

وصناعة الحلي أشار إليها ابن منظور^(١) ، ولم يفصّل في أنواعها ، ولكنه وهو يصف موكب الاحتفال بموسم النخيل يذكر أنواعاً من الحلي التي تعلّق على الجمال منها الجلاجل وأسماها (القلاقيل) والأخراس ، أو الأجراس التي وردت في نكتات (لأحرص) ومنقّع [وردت هكذا ونوعها] لمعق . لأب تطو في يمين عنى حتى لي تعق في لمعق [، فبدل هذا هو الألهة نحي خدال ، فأنضع سكون الألهة نحي نساء نمن ، ونكر من محور ، يكلف نفسه لتسجيلها ربما لشهرتها .

ويذكر نحي النساء الطيب ولعطور ، وهو من الشهرة ما لا يحتاج إلى ذكر . ولكن هناك إشارة في حديث ابن منظور^(٢) أسوقفتي ، توحي بأنه كانت هناك أنواع من العطور لا تستخدم إلا للرجال ، وأنواع لا تستخدمها إلا النساء . وهذا يشي بالمستوى الرفيع في صناعة العطور .

أخيراً هناك نوع من الصناعات الغذائية جدير بالاتباع وهو (مربى) . حيث كانوا يصنعون مربى الترخيل في نوعين متميزين : نوع يعرف بمقصود وهو قليل لعسل ، ونوع يعرف بمضخون وهذا أكثر حودة من الأول .

وأما التجارة ، فإن مدينة ربيد تحت موقع هاماً لمكانها بين شمال ومدة وجنوبها ، وباعتبارها متداً طبعياً لمدينة غلافة فرصة ربيد ، لتكون هذه هي فرصة ليس كما قال البيروني^(٣) ، أي أن الحلال تتصل بزييد لتستورد منها

(١) المستبصر ٨٠

(٢) المستبصر ٨٧

(٣) أبو الفداء ، تقويم البلدان ٨٩

حاجياتها من التجارة الواردة عليها عبر المنافذ المتعددة التي تصب في هذه المدينة التهامية المشهورة .

هذا الموقع جعل التجارة من أهم نشاط سكان المدينة والقادمين إليها أيضاً . فالمقدسي^(١) يصفها تارة بقوله : « بها تحار كبار » ، وتارة يقول : « بها تجار وتجارات وفيها أسواق وإن كانت ضيقة إلا أن الأسعار بها غالية » .

وتتضح ضخامة التجارة الواردة إليها والصادرة منها من معرفتنا بالمبالغ المستخلصة التي تورّد إلى خزانة الدولة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، حيث كان يصل إليها مائتي ألف دينار في العام^(٢) .

وقد أعطانا ابن الجوزي^(٣) مجموعة من الإجراءات المستخدمة في الأسواق سواء من ناحية المكايل ، أو الموازين ، أو طريقة البيع والشراء .

وتقسم لأسواق عدة إلى أسواق صغيرة متخصصة كسوق البر ، وسوق البز^(٤) ، وغيرهم . وهذا الحال يعد ظاهرة موجودة في المدن الإسلامية ، فنلاحظه في مدينة صنعاء ، وبلاظه في مدينة القاهرة ، ومدينة بغداد ، وغيرها .



يبقى لنا في لنواحي الاقتصادية أن نلقي نظرة على النظام النقدي ، والمكايل ، والموازين المستخدمة في الحياة الاقتصادية .

(١) أحسن التقاسيم ٨٥

(٢) ابن حوقل ، صورة الأرض ٣٢ وقارن بأحسن التقاسيم ١٠٥

(٣) المستبصر ١٢ ، ٨٩

(٤) المصدر نفسه ٨٨ ، ٨٩

فالنظام النقدي كما يبدو من المصادر التي وصلتنا كان هو لنظام المتبع في الدولة العباسية حينئذ كانت قوية لها سيادة على دار الإسلام بأجمعها ، فاما من من مطلع القرن ثلث هجري - فحصل بعض الولايات عن لدولة الأم حرد بعض الولاية بضرب النقود في الولايات محتمة . وء يكن هذا نظام عريب عن لنظام المتبع في لدولة العباسية . ففي عهد المأمون ومن جاء بعده كالعتصم ووثق كانوا يعطون بعض الولايات حق في ضرب نقود لدولة بعد تحديد المواصفات المطلوبة للنقد .

وبدأنا لانملك في كتابات الرحالة شيء عن النقود المتدولة في لقرن الثالث الهجري في مدينة زييد ، إلا أنف لانستطيع أن ننكر أن النظام النقدي العباسي كان هو السائد في المدن الكبرى في اليمن . وء أن مدينة زييد لم يكن لها البروز السياسي والاقتصادي إلا من مطلع القرن الثالث الهجري . فبن علينا أن نبحث عن النقد المتعامل به منذ بداية هذه الحقبة .

فقدامة بن جعفر^(١) مثلاً وهو يحدثنا عن الأموال القديمة من اليمن يذكر الدينار بصورة مطلقة ، وكأنه هو الدينار العباسي . وهذا المتبادر إلى لذهن . لأن صنعاء كانت مقراً معترفاً به لضرب الدينير الذهبية العباسية^(٢) .

(١) الخراج ٢٤٩

(٢) جميع الدينير الذهبية الضرورة في اليمن كانت في صنعاء . وعلى سبيل مثال هناك دينار ضرب في عهد المعتصم في صنعاء عام ٢٢٣ هـ . وآخر عام ٢٢٤ هـ . وفي عهد المعتد ٢٧٧ هـ . وفي عهد المعتضد ٢٨٦ هـ . (انظر : السكوكات وكتابة التاريخ للدكتور ناهض عبد الرزاق : ٦٥ : الطبعة الأولى ١٩٨٨ م ، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة ، العراق) .

Doran, Robert E. Darley, Examples of Islamic coinage from YEMEN.

YEMEN 3000 Years of Art & Civilisation In Aasia Felix p. 183 Edited By Werner Daum AUSTRIA - ISBN.

بالإضافة إلى ذلك أن لضرر من لمسوحات لأميرية كانت تصع في صنعاء إلى نصف من لقرن الرابع هجري وهي تحمل أسماء خنداء الميسير . انظر لدرسة التي قدمها الدكتور

بينما ابن حوقل^(١) الذي زار اليمن في منتصف القرن الرابع الهجري يذكر أشياء مالية هامة في الدولة الزيادية ، ومع هذا لا يذكر قط عملة زيديية ، وإنما يذكر الدينار (العثري) وهو نسبة إلى (عثر) مدينة لساحية التي كانت تقع شرقي زبيد ، وكان بنو طرف الحكمي هم منحكمون فيها . في الدولة بني طرف هم أصحاب العملة المتداولة في تهامة ، ومقتضي يؤكد على هذا يصح أن نقودهم هي النقود (العثرية) .

وإذا ما عدنا إلى عملات نقي وحدت من خلال التفتيش وصارت محفوظة في متحف ، فإننا نجد دينار أشعر روبرت درني دوران^٢ إلى أنه ضرب في صنعاء عام ٢٠٢ هـ ووجد في لوجد الأول لهذا الدينار اسم محمد ، فقلنا لكاتب مترجمته : وجود اسم محمد على هذا الدينار قد يحتاج به أنه ضرب تحت تحويل من والي تهامة العسكري محمد بن زيد مؤسس زبيد ، وقد أحسن الكاتب صنعاً حينما أورد العبارة بهذه الصيغة غير الجازمة ، لأن هذه العملة لا توحى بوجود الدولة الزيديية ، وأما اسم محمد - إن كان يرمز إلى من ضرب في عهده - الذي قيل بأنه يرمز إلى محمد بن زياد فمن المعروف - إن صدقت الروايات - أنه وصل إلى زبيد واتخذ منها مقراً وعاصمة ، فكيف يضرب عملته في صنعاء وهي مارلت حرجة عن سلطته ، خاصة أن صنعاء في هذه الأونة كانت تحت سيطرة الوالي العباسي محمد بن علي بن عيسى بن مهران الذي قدم اليمن عام ٢٠٠ هـ لتعصدي للحركة العلوية التي تولاهها إبراهيم بن موسى المعروف بالجزر^٣

= ربيع حامد خليفة بعنوان : مناسج الطراز الخاصة بمدينة صنعاء ، دراسة حول المنسوجات اليمنية في العصر الإسلامي ، المنشورة في مجلة الإكليل عدد ٢ ، السنة السادسة عام ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٤٤ - ٥٣ .

(١) صورة الأرض ٣٢

(٢) DORAN. p. 183 .

(٣) ابن الديبع ، قرعة العيون بأخبار اليمن الميمون ١٤٦/١

فالأقرب للصواب إذن : أن محمداً الذي ورد في الدينار هو محمد بن عيسى بن عيسى بن ماهن . لأن الدينار الذي وجد مضروباً في صنعاء في عهد معتصم ورد فيه حرف (ع) وكان يرمز للموئي العباسي عبد الرحيم بن جعفر الهاشمي الذي تولى الولاية ٢٢١ هـ ومكث خمس سنين حيث عزل عام ٢٢٦ هـ ^(١) .

وهكذا فالعملات المضروبة في صنعاء كانت على 'عين' الدينار العباسي 'الدينار' والدرهم .

ولكن العملة التي ظهرت في أيام بني زياد وأنها ضربت في مدينة رييد نفسها فهي دينار ذهب مؤرخ بعام ٣٢٦ هـ وعليه سمى إسحاق بن إبراهيم وهو أبو الجيش . ويسبقه لقب خليفة 'عباسي' الذي يعصره وهو انطباع لله 'لذي' حكم ما بين (٣٣٤ - ٣٦٣ هـ - ٩٤٦ - ٩٧٤ م) مما يدل على تبعيته للدولة العباسية .

لقد اضطرت لهذا الاستطرد لشت وجود عملات (زيادية) ، وإن دار ضربت كانت في رييد نفسها . وكان الوصل بين دارين أن استراحين كانوا يضربون العملة باسم دأمون . ولا شك أن دار الضرب ستكون في رييد نفسها .

وقد أكد بن المجور^٢ على وجود دار ضرب المسكوكات في رييد ، إلا أن ملاحظ أن كتب الرحالة لم تتضمن ذكر النقود زيادية أو نجاحية ، بين ذكروا 'عملة' ('عترية') . وهذا يعني أن النقود ('عترية') كانت أقوى من غيرها ، ولذا كانت متداولة ولها قيمتها الاعتبارية . ومن هنا صارت هي العملة المشهورة

(١) المصدر نفسه ١٥١/١ ، ورد في مقالة دوران ١٨٣ أن اسمه عبد الرحمن بن جعفر وهذا خطأ بينما لصحيح ما أثبتناه .

(٢) DORAN, p. 184 .

(٣) تاريخ وصاف ١٠١ .

(٤) المستبصر ٩٠ .

التي تستحق الذكر . فهذا التفسير الوحيد الذي يمكن الأخذ به ، ونحن ندرس تاريخ المسكوكات الزيدية .

وفي مطلع القرن السابع الهجري حينما كانت زبيد جزء من الدولة الأيوبية كانت العملات تصدر عن دولة بني أيوب . وكان الأمير الذي يأمر بصرب العملة يسجل اسمه على العملة المضروبة . فقد ضربت درهم لكبر^(١) بأمر الملك المعز بن عميل بن طغتكين (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) وكان وزنها ١٣ قيرطاً ، وضرب درهم بأمره أيضاً في مكة على قوين^(٢) . وهذا يدل على أن لأهل اليمن أنظمة وقوانين محددة للعملات من ناحية الوزن والحجم والشكل والكتابة التي تتضمنها العملات .

وقد أكد ابن الجوزي بصورة تقرير نهائي بأن الدرهم التي كانت قبل الملك المعز بن عميل كانت درهم عباسية ، ولكن بدون تثنى^(٣) لندني^(٤) كانت تصدر في مدن وبلدان مختلفة في العصور المتعاقبة .

ويظهر أن الأيوبيين كانوا مهتمين بدور لضرب . وأما أيضاً كانت ضخمة ، وتاجها كل صخا^(٥) . ويلاحظ أنها تكن تبعة للدولة ولكن هناك من يتقبلها على أن يدفع للدولة مبلغاً من المال كل عام مقداره ثلاثة عشر ألف دينار^(٦) . وهذا يعني أن الدولة لا تتدخل في أمر دور الضرب ولكن لا بد من الإشراف والمراقبة عليها .

(١) ضربت درهم صغيرة بعد ذلك وحيدة اسم الملك يوسف المسعود ، وكان وزنها ربعه قيرطاً وحية ، وكانت تعرف بالسيفي (انظر : المستبصر ٨٩) .

(٢) ابن الجوزي ، المستبصر ١٢ ، ٨٩ .

(٣) المصدر نفسه ٩٠ .

ويلفتن ابن الجاور^(١) إلى أن (الصنجة)^٢ المستخدمة في وزن النقود في زبيد كانت أقل من صنجة عدن ، ولم يخترنا بن بطوطة عن أي عملة لا لتيء إلا لأنه لم يكن مهتماً إلا بالعوادات البارزة أو زوايا الصوفية .

وتوجد وحدات من النقود ذكرها ابن الجاور^٣ ، وهي الفلوس^٤ حيث تستخدم للتعامل مع الأمور الصغيرة ، كان يشتري أحدهم رعيء خبز بفلس ، وقطعة حلاوة بأربعة فلوس وهكذا .

وأما للمكايل والموازين ، فقد أمدت ببعض منها المقدسي ، وسنحتاج إلى الاستعانة ببعض المراجع والمصادر للتعريف بها .

فالمكايل هي الصاع والمد والمكوك ، ثم يحدد لب مقادير هذه المكايل فيقول : المد ربع الصاع ، والصاع ثلث المكوك ، ويعطيت وربع الصاع أولهم خمسة أرطال وثلث الرطل وهذا المستعمل في سوق زبيد . أما الصاع لدى يستخدم شرعياً لتقدير كفارة اليمين فكان وزنه ثمانية أرطال ، وهذا الذي قرره عمر بن الخطاب وأقبل عليه الصحابة . مع العلم أن الرطل مستخدم لديهم هو الرطل البغدادي^(٥) .

(١) المستبصر ٨٩

(٢) الصنجة أو السنج من الفارسية سنكة ، وتعني الحجر والوزن ويراد بها العيار . (انظر : حسان حلاق ، تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي ٧٢) .

(٣) المستبصر ٨٦

(٤) فلوس جمع فلس وهي لفظة يورسة لانسة وهي نقود مسكوكة من نحاس ستخدم لشراء الأشياء الخفيفة ، ولا يشتري بها شيء من لأمر لحسية . (نظر : المدرسي ، السيد موسى الحسيني ، تاريخ النقود الإسلامية ١٥٥ - ١٥٨) .

(٥) المقدسي ، أحسن التقاسيم ٩٨ ، ٩٩

وبالعودة إلى المصادر ، فإن أول ما يقابلنا في المكييل الصاع ، ويعرف بأنه المكيال الذي يكال به وتدور عليه أحكام المسلمين ^(١) . وتضافرت الروايات على أن الصاع الشرعي هو الذي يزن خمسة أرطال وثلاث الرطل ^(٢) ، لأن صاع النبي ﷺ كان أربعة أمداد وكلّ مدّ رطل وثلاث ، والرطل هو الرطل البغدادي الذي يزن ١٢٨ درهماً . وهناك من يقول بأن المدّ هو رطلان ، والصاع بهذا الوزن يكون ثمانية أرطال كما قال المقدسي . وقد أخذ بعض الفقهاء بهذا الوزن وبعضهم بذاك ^(٣) . وبهذا كان أهل زييد يتعاملون بالوزنين معاً حسب الحالة التي تواجههم .

بل يعطينا المقدسي معلومة أخرى عن مكييل خاصة بأهل اليمن ، وتستخدم في المراكب على وجه الخصوص ، فقد كان لهم مكيال يعرف بالصاع أيضاً منه صاع صغير . وهذا يستخدم في دفع الخرابات (أي : ما يجري أو ما يفرض لملاحين العامدين على المراكب) ، ومنه صاع كبير يستعملونه في معاملاتهم التجارية ، ولم يخبرنا المقدسي عن وزن أي منها . وهل هو معتمد من قبل الدولة أم لا ؟ لأن هذه المكييل السابقة كانت توزن وتضبط من قبل الدولة ، وتوضع عليها الأختام والعلامات حتى لا يحصل فيها الغش . وكانت تختتم عادة بخاتم المحتسب ^(٤) ، فهل هذا الصاع المستخدم على المراكب مختوم أيضاً أم بعيد عن الرقابة ؟ ليس لدينا علم بهذا ؟

(١) سامح ، المكييل في صدر الإسلام ٢٦

(٢) لهذا مكيال سبعة أرطال وهو رطلان مع نري خفيفة و رطل وثلاث ثمن نور أهل المدينة . (سامح ، المكييل ٣٠) .

(٣) أبو عبيد ، الأموال ٦٣٠ ، ٦٢١ ، وانظر : سامح ، المكييل ٢٦ وما بعدها . وابن الرفعة ، الإيضاح والتبيان في معرفة المكيال والميزان ٥٦ ، ٥٧

(٤) ابن الأخوة ، معالم القرية في أحكام الحبة ١٤٧

يبقى معنا لمكوك^(١) ، وقد أفاض الدكتور سامح^(٢) في الحديث عنه وأشار إلى تقدير ابن سلام^(٣) بأنه عشرة أمداد ، ولكن الدكتور سامح لم يسترح لهذا لرأي ، لأنه خلص إلى أن المكوك مكيال عرقي إقليمي (تختلف مقديره باختلاف الأقاليم الإسلامية) . ونستطيع أن نشارك الدكتور سامح في رأيه لأن المقدسي^(٤) يخبرنا بأن الصاع هو ثلث المكوك . وهذا يعني أن المكوك ثلاثة أصواع . وبما أن الصاع هو خمسة أرطال وثلث فيكون المكوك ستة عشر رطلا . ييب ابن سلام^(٥) يجعله عشرة أمداد أي ثلاثة عشر رطلاً وثلث الرطل . والمقدسي^(٥) نفسه يخبر عن المكوك في بلاد ما بين النهرين بأنه خمسة عشر رطلاً . وهكذا فنحن نؤيد الدكتور سامح في رأيه بأن (المكوك) كان يخضع لما تعارف عليه أهل البلد الذي يستعملونه .

وننتقل من أواخر القرن لربيع الهجري إلى أوئل لقرن السابع الهجري . فيقابلنا ابن الجاور^(٦) بمكيال جديد وهو (المنة) ولا يكتفي بدكره بل يحدد مقداره أو وزنه وهو ثلاثمائة وعشرين درهماً . ونصراً على تخصيص هذا الوزن بالين ، مما يدل على أن في غير الين يختلف عن هذا الوزن . وهذه اللقطة صدقة لأن الثلاثمائة ولعشرين درهماً تساوي رطلين ونصف على حساب أن الرطل هو ١٢٨ درهماً . بينما جاء في المعاجم بأن (المنة) معيار قديم كان يكال به أو يوزن ومقداره رطلاً^(٧) بعدد ديس . ويدل فيحتف وزنه . وهذا يجعل معتبره كسابقه

(١) المكيال ٣٩ ، ٤٠

(٢) الأموال ٦٢٧ ، ٦٢٨

(٣) أحسن التقاسيم ٩٨

(٤) الأموال ٦٢٨

(٥) أحسن التقاسيم ١٤٥

(٦) المستنصر ١٢

(٧) ترتيب القاموس المحيط ٤/٣٨٨ . والمعجم الوسيط ٢/٨٨٩ .

بأنه مكّيال يخضع لعرف أهل البلد الذي يتعاملون به .

ويزيدنا ابن المجدور^(١) وضوحاً حين يبيّن لنا استعمالاته فقال : وبه (أي المنة) يباع البسات [أي سكر البسات] والسكر والعسل وجميع الخواص الحلوّة . وهناك (من) وزنه أربعمئة درهم ، وهذا يباع به اللحم والشمع .

ونوع آخر يوزن ثمانمئة درهم وبه يباع السمن والزيت والحن . وأفاد في مكان آخر بأن السمن يباع في باء يعرف بـ (الجمنة) وتتسع خمسة منن أي عشرة أرطال .

فهذا التفصيل الذي أورده ابن المجدور يعطين دلالّة واضحة على أن هذه الوحدة تعدّ وحدة وزنيّة وكميّة ، وأنّها مختلفة الأوزان والأحجام ، ويختلف أيضاً عن المنة في بلدن أخرى ، كما هو الحال في خوارزم بتقرير ابن المجدور نفسه .

وقد عد ابن المجاور^(٢) ليفصل في بعض المكييل فقال : تكال الغلال بالمدّ ، والمدّ اثنان وثلاثون مثناً ، كل ثمن تدين وثلاثون (زبيدي) ، كل (زبيدي) (من) ، كل (من) رطين ، كل رطل مئة وعشرين درهم ، كل درهم ثلاثة عشر قيراطاً ، وإن (من) أخري مائتين وستين درهماً ، و (من) اللحم أربعمئة درهماً ، وتباع العصارة ولقطن والهدس (لعنه العدس) والشيدر (لأدري ما هو) بالمدّ له عن خمسة أمّان بالكبير ، وهذه العبارة الأخيرة غامضة ، ولكن من مجموع ما سبق نستخلص أن (المنة) يستخدم تارة كوحدة كيل ، وتارة كوحدة وزن ، ويختلف مقدّره ووزنه باختلاف السعة التي يستخدم لها .

(١) المستبصر ١٢ ، ١٣

(٢) المصدر نفسه ٨٩

ويدلّن بن المحرور^(١) على وحدات الأطوال أو القيس . فيعطيف وحدة (الدرع) وهو إما بالحديد وإما باليد . ولا يعرف بالفرق بينهما ، ولكنه يبيّن الأنواع التي تدرع بها . وهي الأقشعة منها (البرد) كل بردة طولها ثمانية أذرع باليد . بينم هناك نوع آخر من الثياب يعرف بالشقق البيض . فهذه كان طول الواحدة عشرين ذراعاً بالحديد .

ولا نستطيع أن نقرر طول ذراع الحديد . أما ذراع اليد فهي الذراع الشرعي التي يكون طولها أربعة وعشرون أصبعاً . ويعادل ٤٦.٢ سم^(٢) . أما الذراع الحديد فهناك أنواع منها وصل عددها إلى سبعة أذرع . تتراوح بين القصر والطول ولا داعي لذكرها هنا^(٣) .

جوانب من الحياة الاجتماعية

الحياة الاجتماعية عمره بالحرّة . رحره بالجوانب المثيرة . وهي في حاجة إلى دراسات مستفيضة . لا تجعل من هذه الحياة شلاء متناثرة . وإنما لتكون لحمية واحدة . ولكي يتحقق ذلك لابد من الإدراك أن السلوك لا يخلو من دافع . والدافع لابد له من تصور ، والتصور لابد أن يكون في قرارة النفس يشكل معتقداً أو مسمماً من المسلمات . فلا يفصل لباحث بين لعمل الظاهر والتصور الباطن ، فالعمل فرع من تصوره .

ونحن هنا إذ نتلمس الحياة الاجتماعية لزييد من خلال ما كتبه لرحالة فلا نجد أم منّا إلا ثلاثة منهم أشدوا إلى جوانب جزئية من تلك الحياة أما الباقون فلم يكلفوا أنفسهم جهداً للحديث عنها .

(١) المستبصر ٨٩

(٢) ابن الأخوة . معالم القرية ١٥١ . ابن الرفعة . الإيضاح (المحقق ٧٧) .

(٣) أحسن لفرد إلى مصدرين هامين هم . لأحكام لسطحية لأنني يعني الفراء ١٧٣ . ١٧٤ .

تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي ، وابن الأخوة ، معالم القرية ١٤٨ - ١٥١

أحدهم : وهو المقدسي وقد دخل زبيد في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ومعلوماته التي ذكرها في هذا الشأن قليلة جداً .

وثانيهم : ابن الجاور وقد مكث في الين زمناً وعاش في زبيد وقتاً لا بأس به وكان هذا في الربع الأول من القرن السابع الهجري .

وأما الأخير : فهو ابن بطوطة وكان بعد ابن الجاور بقرن حيث كان في الين في الربع الثاني من القرن الثامن الهجري .

والفروق الزمنية كبيرة بين الرحالة الثلاثة ، وما عيّن إلا أن نجتمع شتات معلوماتهم عن الحياة الاجتماعية ، بقدر ما تسمح لنا تلك المعلومات من حركة وبما نصيحه إليها من معلومات توضيحية . أرجو أن أصل إلى رسم صورة مبسطة للجوانب التي ذكرت عن الحياة الاجتماعية .

فالمجتمع هو مجموعة من الأفراد عاشوا معاً فترة طويلة على مساحة من الأرض ، فنشأت في أوساطهم قواعد وأحكام تنظم علاقاتهم الاجتماعية ، مما يسمح بظهور شعور جماعي يجمع هؤلاء الأفراد في وحدة اجتماعية واحدة^(١) .

هذا التوصيف لو أسقطناه على زبيد ، وحاولنا أن نجتمع ما لدينا من معلومات وشكلناها في هذا الإطار ، نكون قد قمنا بعمل ما ، لبلورة صورة قريبة لما نطمح أن يكون عليه البحث .

في بداية رسم الصورة تطالعنا قضية المصطلحات التي ترد في علم الاجتماع ، ومدى انطباقها على ما نريده من دراستنا أم لا ؟ كالطائفة والطبقة والشريحة .

فالطائفية أو الطائفة ترتبط في علم الاجتماع بنوع من المنظمات الدينية في طائفة أو ملة « تمثل الشيع والجماعات التي تعتقد بأفكار دينية تختلف عن الأفكار

(١) دينكن ميتشل ، معجم علم الاجتماع ٢٢٨

التي يعتقد بها الدين الأصلي « ، وغالباً ما تكون الطائفة معادية للمجتمع الذي وجدت فيه . وإذا لم تكن معادية ، فإنها لا تربطها به أية روابط جماعية متأسكة »^(١) .

بينما كلمة (طائفة) في استعمالها المعجمي لا غبار عليها لأنها الجزء من الناس ولا يعني المغايرة ، والاستعمال القرآني للكلمة كذلك لا يقصد به غير المجموعة من الناس التي لا تختلف عن « ومع المجتمع » ، وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين [نور ٢] . « وإذا كنت فيهم وأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك ... » [نساء ١٠٢] . « إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك » [مريم ٢٠] .

هذا الاستعمال لكلمة (طائفة) لم تكن تشبه شائبة ، إلى أن اصطلح الأوروبيون على كلمة (طائفة) اصطلاحاً خاصاً ، فأصبح مكروهاً تتقرز منه النفوس ، ومن هنا فالأحرى بنا أن نعرض عن استعماله .

ومثله مصطلح (الطبقة) حيث كثيراً ما ارتبط بالفهوم الماركسي^(٢) للطبقية الذي يقوم على الصراع بين الطبقات على أساس العامل المادي ، بناءً على رصد لظاهرة نشأت في مجتمع بعينه ، ليس بالضرورة أن تكون عامة في حياة البشر ، وليست بالضرورة قائمة على المبررات والعوامل التي صيغت حولها .

وأما استعمالات الكلمة لغوياً فلا تخرج عن « الجيل بعد الجيل ، أو القوم المتشابهون في سن أو عهد »^(٣) ، وبهذا المعنى استعمله علماء المسلمين ، فظهرت

(١) ميتشل ، معجم علم الاجتماع ٧٣ ، ١٨٤

(٢) المصدر نفسه ٢٢١ ، ٢١٤

(٣) المعجم الوسيط ٥٥١/٢

الكتب التي تحمل الكلمة نفسها (طبقات ابن سعد .. طبقات الشافعية .. طبقات الحنابلة .. طبقات المفسرين .. إلخ) .

وخروجاً من اللبس الذي يقع منذ الوهلة الأولى عند قراءة مصطلح ما ، فإنني أحبذ - في حدود - استعمال مصطلح الشريحة (وجمعها شرائح) ، وهي كلمة مستعارة من « الشريحة أي القطعة المرققة من اللحم وغيره » ^(١) ... فإذا ما تكلمنا عن قطاع من المجتمع أو شريحة منه ليس معنى هذا أنه جزء معادٍ لبقية المجتمع .

فشرائح المجتمع متنوعة : القبلية ، والمذهبية ، والحرفية ، والعرقية ، وشرائح ممكن أن نسميها طبيعية ، لأنها لا بد أن توجد في أي مجتمع .

ونبدأ بهذا النوع وهو الشرائح الاجتماعية الطبيعية . وهو تفاضل طبيعي بين الناس في الفقر والغنى ، في الذكاء والغباء ، في الرفعة والضعف ، فمن الحتم أن يوجد هذا التفاضل ليقوم المجتمع وتتكامل وتتكاثر قواه لبنائه ، ولا يبني المجتمع بشريحة واحدة ، أو دون وجود أناس يخدم بعضهم بعضاً ، فالإنسان مستخلف على ظهر هذه الأرض ، ولا بد من إعمارها ، ولا بد من وجود اختلاف بين البشر ليقسموا إعمار الأرض : * وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم فيما أتاكم إن ربيك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم * [الأنعام ١٦٥] ، * ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً * [الزحرف ٣٢] ، * والله فضل بعضكم على بعض في الرزق * [النحل ٧٠] .

فالتفاضل بين البشر مقصود للابتلاء ولتسخير بعضهم بعضاً في إعمار الأرض .

(١) المصدر نفسه ٤٧٨/١

وهذا ما نلمسه في زبيد ، فهناك شريحة الحاكمين ، سواء أمتلت بصورة قبلية كالشراحيين أو ولاية تابعين للدولة . أو أسرح كمة كال زياد في دولتهم . والنجاحيين وبني مهدي وبني أيوب . أو أتباع مذهب معين كالصليحيين التابعين للمذهب الإسماعيلي .

وبلا شك فيه أن هذه الشريحة سيتبعها العديد من القادة والأمراء والولاة والجنود ، وفي الجهة الأخرى هناك شريحة المحكومين وفيهم الغني والفقير ، والغني والذكي ، والحرفي والعاطل ، والتاجر والمستهلك .. إلخ .

ونحن في حاجة إلى وقفة لنعرف تركيبة زبيد القبلية ، هل هي داخل نطاق قبيلة واحدة ، أم تشارك فيها أكثر من قبيلة ، وهل بينهم صراع وتنافس على السيادة ، أم لا يوجد ، أم لا وجود للجانب القبلي أصلاً ، وتعتبر بهذا مدينة مفتوحة يسكنها العديد من السكان ؟!

يصعب علينا الإجابة على هذه التساؤلات بوضوح ، ولكن يمكننا وضع إجابة ولو جزئية . فالمقدسي^(١) يخبرنا بأن آل زياد من همدان ، وهذا يعني أن جزءاً من همدان يسكنون زبيد . ويعطينا الهمداني^(٢) إشارة إلى وجود بعض من حولان وحمدان في نواحي زبيد ، بينما الأصل أن (الحُصْب) وهي قرية وادي زبيد أي المدينة التي عرقت بعد ذلك بزبيد هي للأشعريين ، ولكن يخاطبهم جزء من بني وافر من ثقيف . ولموقع زبيد القريب من بلاد الحبشة دخلها أعداد منهم أو أنهم من بقايا الحبشة السابقين الذين استوطنوا تهامة لين . أو دخلوا عن طريق البيع والشراء ، فالريق الحبشي كان يجيء من الحبشة ، وكانت هذه عادة الدول القائمة حينئذ كالطولونيين (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥ م) ،

(١) أحسن التقاسيم ١٠٤

(٢) صفة ٧٢ ، ٢٥٨

والأخشيديين (٢٢٣ - ٢٥٨ هـ / ٩٣٥ - ٩٦٩ م) في مصر ، ونحن نعرف أن كافور الأخشيدي (ت ٢٥٦ هـ / ٩٦٧ م) كان من الرقيق الأحباش^(١) ومثل هذا في زييد ، فقد وصلوا إلى سدة الحكم ، وصارت لهم دولة عرفت بدولة النجاشيين ، وقد أشار المقدسي^(٢) إلى وجود مجموعات من (الحبوش) أي الحبشة وأهل النوبة ، و (البجة)^(٣) . وأن صراعاً كان ينشب بين هذه العناصر الثلاثة في القرن الرابع الهجري ، ويبدو أن الصراع قد حسم لصالح (الحبوش) أو الأحباش على يد النجاشيين الذين كانوا عبيداً لعبيد آل زياد ، ويبدو - أيضاً - أنهم بمجرد أن تساموا السلطة صَبَّوا جام غضبهم على من حولهم من الأجناس حتى العرب أنفسهم^(٤) . ورب قاموا بهذا الإجراء لتخلص من المعارضين ، لأن الحسين بن سلامة الذي خلف آل زياد في الحكم كان نوبي لأصل^(٥) . ولكنه كان يحكم باسم آل زياد . أما الأحباش الذين عرفوا بالنجاشيين (٤١٢ - ٥٥٤ هـ / ١٠٢١ - ١١٥٩ م) الذين كانوا عبيداً لعبيد آل زياد فقد تخلصوا من معارضتهم بشراسة ، ونكاد نوافق زاهر رياض^(٦) على تصريحه العريض بأن هذه الدولة « كانت دولة حبشية بكل ما تعني هذه الكلمة من معان ، حبشية بسلطانها وحبشية بوزرائها ، وحبشية بجنودها وعدتها ، حبشية بنظامها وتقاليدها » .

(١) العامري ، غريال الزمان في وفيات الأعيان ٣٠٩

(٢) أحسن التقاسيم ١٠٢

(٣) النحة . بضم وهـ : مجموعة قبائل بدوية تعيش في الصحراء الشرقية بين حوض النيل وساحل البحر الأحمر من مصر إلى حدود الحبشة ، وهي من نسل حمي . (عطية لله ، القاموس الإسلامي ٢٧٤/١) .

(٤) بن نخور ، المستنصر ٧٨ . تولى أحد قادة بني نجاح المسمى ربحان لكهلاي مولى سعيد بن نجاح إبادة العرب من تهامة .

(٥) الكسبي ، اللطائف السنية في أخبار الممالك البنية ٢١

(٦) دولة حبشية في اليمن ، دولة بني نجاح ١١٦

وقد عارض آل نجاح في حكم زبيد آل الصليحي الذين يقومون على أساس مذهبي وهو المذهب الإسماعيلي ، ولم يستقروا في زبيد ، ولكنهم دخلوها فاتحين .^(١)

وجاء على إثرهم قوم من حير على رأسهم السيد علي بن مهدي لتقوم دولة (بني مهدي) منفذين مذهبهم الخارجي المشوب بالأفكار الغريبة^(٢) .

ومرة أخرى تسألي شريحة إلى الحكم ليست من زبيد أيضاً وهي شريحة الأيوبيين ، وهكذا يمكن أن نخلص إلى أن الشريحة الحاكمة التي كانت في زبيد منذ أصبحت مدينة مشهورة في القرن الثالث لهجري وما بعده بدأت بالشرحيين ثم آل زياد ثم النجاشيين والصليحيين ثم بني مهدي ثم أخيراً بني أيوب .

هذه الشرائح الحاكمة لاأظنها كانت تنقرض من المدينة بمجرد إزالة سلطانها . بل من البدهة أن يبقى منها أجزاء تصبح جزءاً من المجتمع كجامع بشرية أو كقبائل أو كآسر .

نضيف إلى ذلك أن الدلائل تؤكد على وجود بعض من الفرس وأنه كانوا مهتمين بالتجارة ولا يعينهم الحكم والسلطة . ولهذا كونا الأموال العظيمة وقدم بعضهم بالأعمال الخيرية كبناء المساجد^(٣) .

وليس بالطبع أن شريحة التجار مقتصرة على الفرس ، لأن المقدسي^(٤) يصف المدينة بأن بها تجاراً كبيراً ، وابن بطوطة^(٥) يصفها بأنها ليس باليس بعد صنعاء أغنى من أهلها ، فهذا وذاك يؤكدان على وجود شريحة كبيرة من التجار .

(١) دولة حسنية في البس ، دولة بني نجاح ١١٦ . مجلة شريحة لعربية . محمد ثامن ١٩٥٩ م . الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، القاهرة .

(٢) ابن الديبع ، بغية المستفيد ٦٥ - ٦٧

(٣) ابن الجاور ، المستبصر ٢٤٧

(٤) أحسن التقاسيم ٨٥

(٥) الرحلة ١٦٥

وهناك شريحة العلماء . وهؤلاء يشكلون كياناً مهماً في هذا المجتمع ، لها تقاليدها واهتماماتها وأجوانها لاجتماعية مختلفة . وكان الأمل يحدونا أن نجد شيئاً عن هذا في كتب الرحالة ولكن الأمل خاب لإقفره الشديد .

ومما لا ريب فيه أن هناك شرائح متعددة في المجتمع لابد من وجودهم وهم أصحاب الحرف المتعددة كالحلاقين والنجارين والكناسين والبنائين والباعة المتجولين وكل من يمتنون المهر الدنيا . وإلى جور هؤلاء سيوجد من يتأفف من امتهاها أو لا يحسنها . ينف لديه القدرة على أداء واجبات أخرى في المجتمع . وهكذا تتعاون جميع الفئات والشرائح على أداء مهم المجتمع . بالرغم من التفاوت والتفاضل فيما بينها . ويؤكد محرر معجم علم الاجتماع ' على أن ابن بطوطة يرى : « للتفاوت الطبقي حكمة ووظيفة . فالإنسان لا يستطيع القيام بجميع أعمال ووظائف المجتمع . فاختلاف طبقات الناس يسهل فيهم كل طبقة بعمل معين ، ومن ثم تتعاون الطبقات الاجتماعية على تحقيق التكامل في الوظائف الاجتماعية » .



وإذا كنا قد تحدثنا عن شرائح المجتمع . فإن لمجموع المجتمع بفئاته وشرائحه كلها صفات وطباع وتغيرات طرأت على المجتمع في هذه الحقب المتعاقبة .

فقد اتفق الرحالة الذين رصدوا الجوانب الاجتماعية لأهل زييد على بعض الصفات والطباع في الحقب المختلفة ومنها النظافة في ملابسهم ، وفي منازلهم ، وفي أسواقهم ، وحماماتهم . واهتمامهم بالمنزل الفسيحة . وحسن الخلق ، وترتيب منازلهم ، وكثرة طبيهم ، والمركوبات الوثيرة^(٢) .

(١) ص ١١٨

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم ٨٤ ، ٨٥ . ابن الجاور ، المتبصر ٧٠ ، ٢٤٦ . ابن بطوطة ، الرحلة ١٦٥

بينما انفرد بعض الرحالة بذكر بعض لصفات والطبع ، فـالمقدسي^(١) في لقرر لرابع لهجري يقول : وأهلهم أدنى ظرف وابن المجور^(٢) يقسم عيماً ألا يوجد هذا الظرف في عموم الين ، وكان هذا في الربع الأول من القرن السابع لهجري . أما بن بطوطة^(٣) الذي جاء بعد ابن لجاور بـحوالي قرن ونصف فإنه يصف أهل زبيد بلطافة الشئل وحسن الأخلاق وحسن الصور . ويبدو أن ابن لجاور كان مبألف في الأمر أو أن الظرف والبطافة والحسن كان له مقياس معين عنده .

وأما مأكلمهم فيقوم أصلاً على الجوب وخاصة الدخن والذرة ، وهذا ماأجله كل من ابن المجور^(٤) والمقدسي^(٥) إلا أن الأخير عطانا تفصيلات جيدة .

فقد أشار إلى بعض السلوكيات الاجتماعية للأكل . فأهل زبيد يميلون إلى لأكل والشرب وأن لا حديث لهم سوى الأكل ، وهذا يعني - كما لاحظ - أنهم يتيرون باندعة ولكسل ، وربما كان للبيئة الحرة دور في هذا المسلك .

وبالرغم من اهتمامهم بالأكل إلا أنهم لا يهتمون ولا يتكلفون في طريقة أكلهم ، وكوا يصنعون الخبز في منازلهم . وب أن نوعين من الجوب يهتمون بها وهما الدخن والذرة فقد كانوا يـخزنونها في مدافن أرضية من موسم إلى آخر . ويستخدمون أنواعاً من الطعام المستخلصة من الدخن والذرة . منها (الخفوش) هكذا جاء عند ابن المجاور ، ولكن يبدو أن الصحيح (الشفوت) وهذا نوع من الطعام يعمل من الخبز المصنوع من الذرة يسمى (اللوح) . ويوضع في اللبن

(١) أحسن التقاسيم ٨٥

(٢) المستبصر ٢٤٦

(٣) الرحلة ١٦٥ ، ١٦٦

(٤) المستبصر ٨٦

(٥) أحسن التقاسيم ٨٥

المخلوط بأنواع من البهارات ، ونوع آخر من الخبز يسمى (الكبان) يصنع بطريقة معينة تجعله مستساغ الأكل دون أدام . وهناك نوع من الخبز يعرف (بالفطير) وهذا يؤكل باللبن والسمك ويسمونه (الملتح) .

ولديهم أنواع من الحلويات منها (القند) و (الحلاوة) ، ولهم من مشتقات الحليب : اللبن و (القطيب) والجبن ويتداولونه في وجباتهم . أما اللحوم فالتصريح في أكثر من موضع إلى السمك ، وليس معنى هذا ألا وجود للحوم الأخرى ، ولكن يبدو أن هذا هو الغالب .

وأكثر طبيخهم الملوخية ، وكثيراً ما يستخدمون (السليط = زيت السمسم) أداماً لهم مخلوطاً بأنواع الخبز .

ولهم من الفواكه البطيخ ويسمونه (البرطيخ) أو (الحب حب) حتى أن الباعة ينادون عليه في الأسواق (حب حب كثير الماء قليل الحب) هذا بالإضافة إلى (الموز) و (العنب) . ويستخدمون أيضاً (الدُّبَاء) وهو (القرع) و (اليقطين) فيطبخونه بطريقة الشي في التنور .

وجباتهم ثلاث ، ولكل وجبة نوع من الطعام ، فالصباح يتناولون فيه فطير الدخن والقطيب أو الملتح والسليط ، أما العواف (أي الغداء) فيأكلون فيه الخبز مع قطع الحلاوة . ولم يذكر ابن المجاور الوجبة الثالثة ، والاحتمال أنه لبداهة وجودها لم يتعرض لها .



وأما الظواهر الاجتماعية التي وردت في كتب الرحالة والعادات التي أشاروا إليها^(١) ومظاهرها المرصودة ، فإننا لا نجد تفصيلاً في هذا الجانب إلا عند

(١) العادات : اصطلاح يشير إلى أشكال التفكير والسلوك المستقر الذي يقوم به الفرد في المجتمع . فهي تصرفات روتينية ومتكررة ، وأصحت تمارس دون جهد . (معجم عم الاجتماع ٧٠ . =

ابن الجاور وابن بطوطة . وقد اتفقا في ذكر ظاهرة لاحتفالات الرسمية والعبادات التي تدرس فيها . بينا كان ابن الجاور هو صاحب السبق في ذكر بقية الظواهر . ويلزمنا اتفاقهما في عادة واحدة وهي عادة الاحتفال بموسم النخيل أن نورد هنا الوصفين لهذه العادة ونحول تحيلها عند الكاتبين . وسنبداً بالأسبق زمناً وهو ابن الجاور^(١) . فيقول :

« فإذا فرغ النخل خرج الصغر مع الكبار ، والأخير مع الفجار بلطبل والزمزمر . بعدما يلبسوا جملاً غدة تامة من الأجراس (لعلها الأخراس أو الأجراس) . والقلاقل (لعلها الجلاجل) ويشد في رقبته المقانع (المعنق لأنها توضع في العنق) والخلي ، ويركب كل أربعة من الناس على جمل ، وناس منهم على الشقادات (رب المقصود أن هناك حيوانات تحمل الأدوات المستخدمة في رحلتهم هذه وأدوات البيت المستخدمة غالباً ما تسمى في كثير من مناطق اليمن بالشقادات . وربما ركب بعضهم على الدواب التي تحمل الشقادات) يتنقلون إلى مسجد مشرف على ساحل البحر . وهو موضع مبارك - كما يزعمون - فيه وطئت ناقة معاذ بن جبل وأثر كلكله (أي : صدره حين بركت) لما رجع من اليمن إلى الحجاز بعد وفاة النبي ﷺ عبر هذه البلاد والسواحل ويسمى هذا الموضع الفزة - أعني الذي يتبحرون فيه (أي يسمحون فيه) - وينزل فيه النساء مع الرجال في البحر خليط مليط [هكذا] وهم في شرب ولعب ورقص وقصص وزائد وناقص . وما يخرج إلى هذه الأمكنة إلا في كل أسبوع يومين : يوم الاثنين ويوم الخميس ، وإذا ما رجعوا من هنالك دخلوا البلد رأساً واحداً . »

= المعجم الوسيط ٦٣٥/٢ . وما لظهره فهي لأمر سرقة لدررة . فسمي بظهور هو بصورة التي يبدو عليها الشيء (المعجم الوسيط ٥٧٨/٢) .
(١) المستبصر ٨٠ ، ٨١

أما ابن بطوطة^(١) فقد روى هذه الاحتفالات بمسورة أخرى فيقول :
« ولأهل هذه المدينة سبوت النخل المشهورة ، وذلك أنهم يخرجون في أيام لبس
والرطب^(٢) في كل سبت إلى حدائق النخل . ولا يبقى في المدينة أحد من أهلها
ولا من الغرباء . ويخرج أهل الطرب ، وأهل الأسواق لبيع الفواكه والحلاوات .
ويخرج النساء ممتطيات الجمال في المحامل » .

فهذا الوصف عند الكاتبين لهذه العادة يوصلنا إلى عادتين مختلفتين في موسم
النخل : عند ابن المجاور عادة الترويح عن النفس إلى ساحل البحر بعد خلاص
من عناء موسم جني النخل .

والعادة الأخرى التي ذكرها ابن بطوطة هي التعبير عن الفرحة بموسم
النخل . ولكن القاسم المشترك بين العادتين هو الابتهاج والاحتفال والتزين ،
والخروج الكامل وإقامة المهرجانات واستخدام آلات الطرب والرقص للتعبير عن
فرحتهم . وما ذكره ابن المجاور من سباحة الرجال والنساء معاً عراة محتلطين كما
جاء في تعبيره ، خليط مليط ، أمر يحتاج إلى توثيق . وإذا كان هذا صحيحاً فإنه
ينبئ عن فقدان حسن الحياء الإنساني ، والغيرة على العرض ، وافتقار التقيد
بالشرع الإسلامي .

ولم نجد لديها عادة الاحتفال بالأعياد الرسمية ، وإن كان المقدسي^(٣) قد أشار
إلى عادة الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى في كل من عدن ومكة ولكنه لم
يعطنا شيئاً عن زبيد .

(١) الرحلة ١٦٥

(٢) نمرة نحير لها طور . وكل طور له سم ، فأولنه طبع ، ثم حلال - بالفتح . - ثم سر - بضم
الباء - ، ثم رطب ، ثم تمر (الرازي ، مختار الصحاح ٥١) .

(٣) أحسن التقاسيم ١٠٠

ومن الظواهر الاجتماعية ظهرة الزواج ، ولها عادات مختلفة سواء في المهر ، أو الطرح ، أو الزواج بالأبعد ، أو اتخاذ المظاهر المتعددة في هذه العادات ، فأول خطوة في الزواج هي اختيار الزوج أو الزوجة ، وقد نجد في بيئات معينة أن الزواج الخرجي إلى الأبعد مرفوض بينما نجده في زبيد مرغوب فيه . وهذا ما يؤكده ابن بطوطة^(١) ، إلا أن النساء أنفسهن يرفضن السفر مع الزوج الغريب مهما كانت المغريات ، ومع هذا يتسكن بالوفاء له ، فينتظرنه حتى يعود إن قدرت له العودة ولا يطالبنه بالنفقة والكسوة . أما إذا كان الزوج مقيماً معها فإنها تقنع بالقليل ولا تثقل عليه بمطالبها .

وهذه الظاهرة التي لفتت انتباه ابن بطوطة ربما كانت من ضمن رؤيته التي يعزى الظواهر الاجتماعية المعقدة إلى الحقائق الجغرافية التي تميّز المجتمع أو الإقليم »^(٢) عن بقية الأقاليم .

ومن مقدمات الزواج احتجاب البنات عن الأنظار حتى يتم العقد . فالقري المحيطة بزبيد من ناحية الشمال لهم عادة حجب البنات عن النظر إلى أن يعقد نكاحها ويتفق على مهرها ، فإذا تم ذلك ظهرت البنت بطل وزمر على رؤوس الأشهاد ، ويقومون بالضيافات ، ويتقدم الناس للتسليم ، ويبادرون إلى (الطرح) . وقد علّل ابن المجاور^(٣) عادة احتجاب البنت بالخوف من انحرافها « فتخرج عن الطريق على غير الطريق » .

ويربكنا ابن المجاور بإيراده هذه العادة هل نأخذها على علانها ونصدقها لأنه شاهدها ؟ أم هي من الأخبار التي يسمعا خاصة أنه عقب عليها بقوله :

(١) الرحلة ١٦٥

(٢) معجم علم الاجتماع ١١٧

(٣) المستبصر ٢٣٩

« يقال إن الشامية (أي المناطق الواقعة شمال زبيد) على هذه السنن والغرض بطول وعرض « فكلمة (يقال) هذه تنبئ عن اهتزاز في الثقة بوجودها ؟

ومن العادات التي ذكرها ابن الجاور^(١) أيضاً (المهر) . فهو يقول : « ونساء أهل هذه البلاد لم يأخذوا (يأخذن) من أزواجهن المهر ، وأخذ المهر عندهم عيب عظيم ، وكل امرأة تأخذ المهر من زوجها يسمونها (مفروكة)^(٢) أي أن زوجها أعطاه مهرها وفركها ، أي : طلقها » .

فمن المعروف أن (المهر) يشترط من البداية أن يكون كله أو جزءاً منه مؤجلاً ، وهو من حق المرأة عند الرجل ، وهنا تبدأ هذه (العادة) عند المرأة نفسها ، فإن طالبت الزوج بالمهر فهو (العيب) ولذا يترتب عليه طلاقها . وقلة رغبة الرجال في تزوجها مخافة أن تعاملهم كما عملت الأول ، وسلاحظ في بعد أن هذه إحدى صور الطلاق الممارسة .

وبداهة أن يتحلى العروسان بالزينة المتداولة المعروفة عندهم ، ولم نجد وصفاً متكاملًا لها ، ولكن مما يلفت النظر أن ابن الجاور^٣ يصرّ على أن الرجال قبل الدخول على المرأة يخضبون أيديهم وأرجلهم كنوع من أنواع الزينة ، ولا أدري ما إذا كانت هذه العادة موجودة بصورة قاطعة أم لا ؟

إلا أن هذه اللفتة تدلنا على مبدأ التزين والزينات التي تمارس في العرس . هناك عادة موجودة في اليمن بل في مجتمعات كثيرة ، فلا تشذ مدينة زبيد عن بقية اليمن وهي عادة (الطَّرْح) . و (الطَّرْح) كلمة تفيد معنى الإلقاء وهي

(١) المصدر نفسه ٨٥

(٢) الفرق . الكرة والعص . وتستعمل الكلمة عادة في لعب بين الرواحي (النعجم

الوسيط ٦٨٦/٢) .

(٣) المستبصر ٨٦ ، ٧

نوع من الهدية لمقدمة في المناسبات كالأعراس والختان والولادة ... إلخ . ويعتبر (ديناً) لدى من تلقاه وعليه أن يعيده في مناسبة مماثلة . فيطرح مثل الذي حصل عليه أو أكثر . ويُدَّرس (الطرح) في مجتمع النساء بصورة أوسع . لأنه قد يؤدي إلى إفساد المرأة . لأنَّه قد تضطر للخروج وتتكفف أيدي الناس . لأنها لم تجد الدين الذي عليها من (الطَّرْح) فإذا ما تحصلت على شيء أسرع لتدفعه إلى أصحابه^(١) .

وعن الطلاق لابد من كلمة . فلا نجد تفاصيل عن هذه الحالة . ولكن وجدنا عند ابن الجاور^(٢) صورة من صور الطلاق الغريبة .

فالأزواج إذا أراد الخلاص من زوجته لعدم رغبته فيها فإنه يعطيها مهره . وتصبح (مفروكة) أي مطلقة . والروجة إذا غضت من زوجها لزوجته - مثلاً - من غيرها تجمع حولها ساء الحلي فتعلن (فرك) زوجها بأن تهب له المهر وتخرج من البيت قبل أن يعطيها الزوج مهره . وهذا لإجراء من جانبها لا يكون عيب ولا يحقها العار . وتطير محترمة عند الرجال فلا تهجر . بل يمكن أن يتقدم إليها الراغبون فيها والزواج منها .

يبقى لنا أن نشير إلى ظاهرة لاحظناها من خلال استعراضنا للجوانب الاجتماعية المختلفة السابقة وهي ظاهرة الاهتمام بالآلات الموسيقية . ولاحتمالات كلها تصحبها الطبول والرمائم . حتى الاحتفالات بمواسم الزراعة . أما الأعياد الشرعية كعيد الفطر والأضحى فلا نجد وصفاً للاحتفال بها إلا أن ما ذكره المقدسي^(٣) عن عدن ومكة من احتفالات كان فيها الدباب (نوع من الطبول -

(١) ابن الجاور . المستبصر ٨٦٠ ٧

(٢) المصدر نفسه ٨٥ ، ٨٦

(٣) أحسن التقاسيم ١٠٠

مفردها (دبب) والطبول، وضرب (الفرقيعات) وربما هي نوع من المواد المتفجرة التي تحدث صوتاً إشعاعاً ببدء العيد أو عند الصلوات. فهذا الوصف الذي ذكره المقدسي عن مكة أو عن عدن، لا يبعد أن يكون له شبيه في زبيد لاشتراك المنطقة في عادات مختلفة.

ومن الظواهر الملفتة في زبيد ظاهرة أشر إليها ابن الجاور^(١) وهي عرابة الأسماء المستخدمة في أوساطهم حيث ذكر العديد من الأسماء.

أخيراً نقف عند عبارة ذكرها ابن الجاور^(٢) وهي: «جميع عرب هذه الأعمال: الحبال مع التهنيم إلى حدود الحجاز لا يقبل أحدهم حكم لشرع، وإنما يرضون بحكم (المنع) ولا شك أنه حكم الجاهلية الذي كانوا يتحاكمون به عند الكهنة».

ف هو حكم (المنع) هذا؟ ولماذا يفرض على حكم الشرع؟ وهل حكم (المنع) هو من لأعرف لقبيلة لجاهلية لسابقة على الإسلام؟

يرى الدكتور العليبي^(٣) من خلال ما توصل إليه في دراسته إلى أن الأعراف لقبيلية في الين لها مصادر ثلاثة: الدين (منها الأديان السابقة على الإسلام)، والسوابق القبيلة، وتقديا القوانين الوضعية للدول اليمنية القديمة.

ولكن حكم (المنع) هذا هو؟ لقد حاولت لبحث عنه في مصادر مختلفة ولكنني فشلت لانعدام الدراسات في هذا الشأن، وإن كان الأستاذ عبد الله الحبشي قد لمت انتباهي إلى تعبير متداول في الين وهو «لي منعك، أي أنا ممتنع

(١) المستبصر ٨٨

(٢) المصدر نفسه ٩٩

(٣) رشاد العليبي، القضاء القبلي في المجتمع اليمني ١٣١ وما بعدها.

بك . فهو تعبير يدل على أن الملتجئ إليه يرى إزالة مالحقه من ظلم . فربما كان هذا جزءاً من معناه .

أما تفضيل حكم (المنع) على حكم الشرع ، فيكفي ما وصفه به ابن المجاور بأنه حكم الجاهلية . وهذا الذي أشر إليه الإمام الشوكاني^(١) في رسالته القيمة الشارحة حال اليمن في عصره ، حيث وصف من يقوم بهذا الحكم بأنه حكم طغوتي لا حكم الشرع .

فهذا السلوك المحظور يماثله سلوك الاختلاط العاري على البحر - إن صدقت هذه الرؤية - وتشبهه تلك الممارسات المالية - على مستوى الدولة - المخالفة للشرع كالمكوس . كذلك صفة الدعة ، وتفشي الحركات والكلام الذي يشبه حديث وحركات النساء ، وقد أطلق ابن المجاور^(٢) على هذا وذاك بأنه تقصف وتفنج . هذه السلوكيات بالرغم من أن لدينا من ديننا وتراثنا الكثير للتدليل على أنه سبب للتفكك ، إلا أننا ننقل عبرة (لدينا كن ميتشل)^(٣) أحد علماء الاجتماع البارزين حيث يقول : إن السلوك المحظور في أي مجتمع ، يعرض العلاقات الاجتماعية إلى التفكك والضعف ، ويجلب للمجتمع المشاكل والأمراض التي تهدد كيانه بالسقوط والفناء » .

(١) الدواء العاجل في دفع العدو الصائل ٥٩ - ٦٣

(٢) المستبصر ٧٠

(٣) معجم علم الاجتماع ٢٤٢

قائمة المراجع

أولاً - المخطوطة :

- أحمد بن سليمان (ت ٥٦٦ هـ / ١١٧٠ م)

١ - حكمة لدرية والدلالة النبوية (مكتبة الغربية - جامع الكبير بصنعاء رقم ٥١ عم كلام) .

- الأهدل ، محمد بن عبد القادر (ت ١٢٢٧ هـ / ١٩٠٩ م)

٢ - رشد الخثر في إقامة الجمعة بمحمد الأشاعر (المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء ١٢ مجاميع) .

- الجنداري ، أحمد بن عبد الله (ت ١٢٣٧ هـ / ١٩١٨ م)

٣ - جامع التوجيه في وفيات العلماء أولي لتحرير (المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء رقم ٦٥ تاريخ) .

- الجندي ، بهاء الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن يعقوب (ت ٧٢٢ هـ / ١٣٣١ م)

٤ - لسون في طبقت العلماء والملوك (خ ٨٩٧ هـ ، معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، ميكروفيلم رقم ٦٩٨ تاريخ ، مصور عن مكتبة كوبرني رقم ١١٧ . وكل لصديق الدكتور / أحمد حافظ الحكي الفضل في حصولي على نسخة منه) .

- ابن أبي الرجال ، أحمد بن صالح بن أبي الرجال (ت ١٠٩٢ هـ / ١٦٨١ م)

٥ - مطبع ليدور وجمع النحور (مخطوطة لأستاذ عي بن أبي الرجال ، صنعاء ، وكان لئونل القاضي / سعيد بن عي لأكوع لفضل في حصولي على صورة منها) .

- مجهول

٦ - تاريخ اليمن في الكوافي والعتن (معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، ميكروفيلم رقم ١٨ عن مخطوطة الامبروزيانا G10) .

- يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م)

٧ - إنباء أبناء الرمن في تاريخ الين (در لكتب نصرية رقم ١٣٤٧ تاريخ) .

٨ - الضبقات في ذكر فضل لعماء وعلمهم ومصفتهم وتعرف به (طبقات الزيدية

الصعري) . (صورة من مخطوط في المكتبة المركزية ، جامعة صعاء ، كان لرمين الدكتور / طه أحمد أبو زيد الفضل في حصولي على صورة منها) .

ثانياً - المطبوعة العربية :

- ابن الأثير . أبو الحسن عز الدين عي محمد بن عبد الكريم الشيباني الجسزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م)

٩ - الكامل في التاريخ (دار صادر وبيروت ١٩٦٥ م) .

- أحمد رمضان أحمد (الدكتور)

١٠ - الرحلة والرحالة المسلمون (دار البيان العربي ، جدة) .

- أحمد السعيد سليمان

١١ - تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة (دار المعارف ، القاهرة) .

- ابن لأخوة . محمد بن محمد بن أحمد القرشي (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م)

١٢ - معاد نقرية في أحكام خسة . تحقيق الدكتور محمد محمود شعبان ، وصديق أحمد

المطيعي ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م) .

- إدريس عماد الدين بن حسين القرشي

١٣ - عيون لأخبار وصفون الآثار . تحقيق الدكتور مصطفى عاب ، دار الأندلس ، بيروت .

- إسماعيل باشا الباباني البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م)

١٤ - يفضح مكوم في الدين عى كتب لطور . دار لعلوم الحديثة ، بيروت

- إسماعيل قربان حسين

١٥ - السلطان الخطاب : حياته وشعره ، دار المعارف بمصر .

- الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٢٣٠ هـ / ٩٤١ م)

١٦ - مقالات لإسلاميين واحتلاف نصن . تحقيق محمد يحيى ندين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

- الاصطخري . أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي (ت ٣٤١ أو ٣٤٦ هـ / ٩٥٢ أو ٩٥٧ م)
- ١٧ - مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ١٩٢٧ م .
- الأكوغ ، إسماعيل علي (القاضي)
- ١٨ - لوائح لبيسية البنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٢ (جمع وتحقيق) ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م ، دار الحرية ، بغداد .
- الباشا حسن (الدكتور)
- ١٩ - الألقاب الإسلامية ، دار النهضة العربية ١٩٧٨ م .
- البستاني ، فؤاد أفرام
- ٢٠ - منجد الطلاب ، ط الرابعة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت .
- ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ، (ت ٧٧٠ أو ٧٧٩ هـ / ١٣٦٨ أو ١٣٧٧ م)
- ٢١ - رحمة بن بطوطة ، المجلد نخبة لظفر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، طبعة دار التحرير ١٩٦٦ م ، القاهرة .
- بروكلمان ، كارل
- ٢٢ - ربيع الأدب لعري ، ترجمة الدكتور عبد الحليم لحار ، ط الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة .
- ابن تغري بردي ، جمال أبو الحسن (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)
- ٢٣ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة بمصر .
- التيفاشي ، أحمد بن يوسف (ت ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م)
- ٢٤ - زهر لأفكار في حواهر الأحجار ، تحقيق الدكتور / محمد يوسف حسن والدكتور / محمود بسيوني خفاجي ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٧ م .
- الجرافي ، عبد الله عبد الكريم
- ٢٥ - المقتطف من تاريخ البين ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .
- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله

- ٢٦ - كشف لظهور عن أسامي الكتب والفنون ، دار العلوم الحديثة ، بيروت .
- الحبشي ، عبد الله محمد
- ٢٧ - مصادر لفكر لعربي الإسلامي في الين . مركز الدراسات البنية ، صنعاء .
- الحجري ، محمد بن أحمد
- ٢٨ - مجموع بلس الين وقبئئها . تحقيق / إسماعيل بن علي الأكوع ، وزارة لإعلام والثقافة ، صنعاء ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م .
- الحريري ، محمد عيسى (الدكتور)
- ٢٩ - معاء "تطور لسيسي من دولة بي نجاح بالين وعلاقاتهم بالصليحين ، دار القلم .
١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، الكويت .
- حسن إبراهيم حسن
- ٣٠ - النظم الإسلامية ، ط الرابعة ، ١٩٧٠ م ، مكتبة النهضة ، القاهرة .
- حسن عبد العال (الدكتور)
- ٣١ - التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- حلاق ، حسان
- ٣٢ - تعريف النقود والموووين من لعصر لأموي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت . ودار الكتاب المصري ، القاهرة .
- ابن حوقل ، أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت ٣٦٧ هـ / ١٩٧٧ م)
- ٣٣ - صورة الأرض ، مكتبة الحياة ، ١٩٧٩ م ، بيروت .
- الحبيبي ، أحمد بن محمد الحبيبي الكوكباني (لقاضي) (ت ١١٥١ هـ / ١٧٣٨ م)
- ٣٤ - حدثوا نهم من الكلام عى ما يتعدق النعام ، تحقيق / عبد الله محمد الحبشي ، منشورات وزارة الأوقاف والإرشاد رقم (٣) ، صنعاء .
- الحروبوطلي ، علي حسني (الدكتور) ، المسعودي
- ٣٥ - سلسلة نوابع الفكر العربي (٢٨) ، دار المعارف ، بصر .
- ابن خرداذية ، أبو القاسم عبيد الله (ت ٣٥٠ هـ / ٩١٢ م)
- ٣٦ - المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد .

- الخنزرجي ، أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن الخنزرجي الأنصاري (ت ٨١٢ هـ / ١٤٠٩ م)

٣٧ - المين في عهد لولة ، تحقيق / راضي دفعوس للفصول الخمسة الأولى من كتاب لكفاية والإعلام للخنزرجي ، كلية الآداب ، جامعة تونس .

٣٨ - لعسجد مسبوكة فين وفي المين من الملوك ، نشرته وزارة الإعلام اليمنية ، صنعاء بتصوير المخطوطة بالأوفس بمكتبة دار الفكر ، دمشق .

- الخطيب ، أحمد شفيق

٣٩ - أنوف على الموسوعة العمية لميسرة لني قدم بها مجموعة من المؤلفين ، ط الثانية ، ١٩٨٥ م ، مكتبة لبنان ، بيروت .

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)

٤٠ - كتاب المعروديون مسداً والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الأسطر لأكر ، معروف تاريخ بن خلدون ، دار الكتب السني ، ومكتبة المدرسة ، بيروت .

- خليفة ، ربيع حامد (الدكتور)

٤١ - مسح لضرر خدعة مدينة صنعاء ، دراسة حول مسوجات المدينة في العصر الإسلامي (مجلة الإكليل ، العدد الثاني ، السنة السادسة ، عام ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، وزارة الإعلام ، صنعاء .

- ابن نديع . عبد الرحمن بن عبي بن النديع الشيباني الزبيدي (ت ٩٤٣ هـ / ١٥٣٦ م)

٤٢ - قرّة نعيون - حمار ليس للمور ، تحقيق محمد عبي لأكوع ، السلفية ، القاهرة .

٤٣ - عبيد مستفد من تاريخ ربيع ، تحقيق عبد الله الحبتي ، مركز الدراسات اليمنية ، ١٩٧٩ م .

- دي خوية ، ميكال بان

٤٤ - قمرضة ، نأته . دونته . وعلاقاتها بالمطمين ، ترجمة وتحقيق / حسي رينة ، ط أولى ، ١٩٧٨ م ، دار ابن خلدون ، بيروت .

- الرازي ، أحمد بن عبد الله (ت ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م)

٤٥ - تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق / حسين عبد الله العمري وعبد الجبار زكار ، ط الأولى ١٩٧٤ م ، بيروت .

- الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر

٤٦ - مختار الصحاح ، مؤسسة علوم القرآن ، ومكتبة النوري ، دمشق ١٩٧٨ م .

- ابن رسته ، أبو عبي أحمد بن عمر (توفي بين سنة ٢٩٠ و ٣٠٠ هـ / ٩٠٢ و ٩١٢ م)

٤٧ - الأعلام النفيسة ، مطبعة بريل ، لندن ، ١٨٩١ م .

- ابن الرفعة ، أبو العباس نجم الدين (ت ٧١٠ هـ / ١٣١٠ م)

٤٨ - لإيصح ولتسير في معرفة لمكيل وللميرال ، تحقيق لدكتور / محمد أحمد إسماعيل

الحاروف ، (نشر جامعة الملك عبد العزيز ، مكة المكرمة ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) .

- رياض ، زاهر

٤٩ - دولة حبشية في نين ، دولة بني نجاح (المحمة لتاريخية العربية ، المجد لشام

١٩٥٩ م ، جمعية مصرية لدرست لتاريخية ، القاهرة ، الزاوي ، الطاهر أحمد .

٥٠ - ترتيب القاموس المحيط ، ط الثانية ، عيسى الحلبي ، القاهرة .

- ابن زاكين ، محمد بن علي بن عوض بن سعيد بن زاكين باحنان

٥١ - حوهر تاريخ لأحقاف ، مرجعة لدكتور / حسن جاد حسن ، مكتبة النهضة

الحديثة بمكة المكرمة ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .

- زبارة ، محمد بن زبارة الحسني الصنعاني (ت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م)

٥٢ - أئمة الين ، مطبعة النصر الناصرية ، تعز ، الين ، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م .

- الزركلي ، خير الدين

٥٣ - الأعلام ، الطبعة الثالثة .

- زيادة ، نيقولا (الدكتور)

٥٤ - جغرافية ولرحلات عند العرب ، مكتبة لدرسة ، ودار الكتب البناني ، ١٩٦٢ م .

بيروت .

- سامح ، عبد الرحمن فهمي (الدكتور)

٥٥ - المكايل في صدر الإسلام ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة .

- السبكي ، تاج الدين بن تقي الدين (ت ٧٧١ هـ / ١٣٧٠ م)

- ٥٦ - طبقات الشافعية الكبرى ، ط الثانية ، دار المعرفة ، بيروت .
- ابن سعد ، محمد (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م)
- ٥٧ - الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت .
- ابن سمرة الجعدي ، عمر بن علي (توفي بعد حوالي ٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م)
- ٥٨ - طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق / فؤاد سيد ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥٧ م .
القاهرة .
- السهيلي ، عبد الرحمن بن عبد الله (المحدث) (ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م)
- ٥٩ - 'روض الأنف في ترح لُسيرة النبوية لاس هشام (ت ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) ، تحقيق /
عبد 'رحمن الوكيل ، ط أولى ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م ، دار الكتب الحديثة ، لقاهرة .
- 'السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)
- ٦٠ - 'تدريج 'الروفي في ترح 'تقريب 'السووي ، تحقيق / عبد 'وهب عبد اللطيف ، ط
الثانية ، ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة .
- الشجاع ، عبد الرحمن عبد الواحد (الدكتور)
- ٦١ - 'يمن في صدر الإسلام من العثة المحمدية حتى قيام الدولة الأموية ، دار الفكر ،
١٩٨٧ م ، دمشق .
- ٦٢ - 'حياة 'عمية في 'يمن من 'لقرين لثالث ولراع للهجرة (رسالة دكتوراة) ، جامعة
لأرهز . كلية لعة لعرية ، قسم لتريخ ، سنة ١٩٨٦ م . مطبوع على الآلة
الكاتبة .
- الشرجي - شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف
(ت ٨٩٣ هـ / ١٤٨٨ م)
- ٦٣ - طبقات الخواص ، المطبعة الميمنية ، ١٣٢١ هـ ، مصر .
- الشوكاني ، محمد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م)
- ٦٤ - الدواء العاجل في دفع العدو الصائر ، تصحيح / محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة
المحمدية ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م .
- ٦٥ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية .
- شيعة ، مصطفى (الدكتور)

٦٦ - مدح في العبارة الإسلامية في الجمهورية اليمنية ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، القاهرة .

- صبحي الصالح (الدكتور)

٦٧ - النظم الإسلامية ، دار العلم للملايين ، بيروت .

- ابن الصلاح ، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٢٥ م)

٦٨ - مقدمة ابن الصلاح ، تحقيق : الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، دار الكتب المصرية ، ١٩٧٤ م .

- ضيف ، شوقي (الدكتور)

٦٩ - العصر العباسي الثاني ، ط ٤ ، دار المعارف ، القاهرة .

٧٠ - الرحلات ، ط الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة .

- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، (ت ٢١٠ هـ / ٩٢٢ م)

٧١ - تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار المعارف بمصر .

- العامري ، يحيى بن أبي بكر الخريزي (ت ٨٤٣ هـ / ١٤٨٨ م)

٧٢ - عرب الزمان في وفيت الأعيان ، تصحيح وتعليق / محمد ناجي رعيي العمر ، دار الخير ، دمشق .

- عبد الجبار الحمذاني (القاضي) (ت ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م)

٧٣ - تثبت دلائل نبوة (ضمن كتب أحدر القرامطة ، تحقيق سهيل ركار) .

- ابن عبد المجيد ، تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد البجلي

٧٤ - تاريخ ابن المسمى بهجة الزمان في تاريخ المس ، تحقيق / مصطفى حجازي ، دار العودة ، بيروت ، ودار الحكمة ، صنعاء .

- أبو عبيد القاسم بن سلام (٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م)

٧٥ - الأموال ، تحقيق / محمد خليل هراسي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ودار الفكر ، القاهرة ، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

- العجلوني ، إسماعيل بن محمد (ت ١١٦٢ هـ / ١٧٤٩ م)

٧٦ - كشف الخفاء ومزيل الالباس عم اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (بدون دار للنشر ولا مكانه ولا تاريخه) .

- العرشي . حسين بن أحمد (ت ١٣٢٩ هـ / ١٩١١ م)

٧٧ - ببوغ المرام في شرح مسك الحتام . تحقيق / الأب أنستس الكرمللي . مكتبة لين الكبرى . صنعاء .

- عريب بن سعد القرطبي (توفي بعد سنة ٢٣١ هـ / ١٠٢٩ م)

٧٨ - صلة تاريخ الطبري (ملحق بتاريخ الطبري) .

- عطية الله أحمد

٧٩ - القاموس الإسلامي . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة .

- العلوي . عبي بن محمد بن عبيد الله العباسي (توفي في القرن الرابع الهجري)

٨٠ - سيرة المهدي إلى الحق يحيى بن الحسين . تحقيق / الدكتور سهيل ركار . ط ١

١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م . دار الفكر . بيروت .

- العليبي . رشاد (الدكتور)

٨١ - القضاء لقبني في لمجمع اليميني (رسالة ماجستير مطبوعة على الاستنسل ١٩٨٤ م . كلية

الآداب . جامعة عين شمس . القاهرة .

- عمارة اليمين . ابن علي (ت ٥٦٩ هـ / ١١٧٣ م)

٨٢ - تاريخ اليمين المسمى : فريد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها وأعيانها وأدبائها .

تحقيق / محمد عبي لأكوع . الطبعة لثانية . ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م . مطبعة السعادة .

القاهرة .

- العمري . يوسف علي يوسف (الشيخ الدكتور) (ت ١٩٨٩ م)

٨٣ - محصرات في لتاريخ الإسلامي (نُقِيت في كلية التربية بجامعة الأزهر) .

- أبو الفداء . عماد الدين إسماعيل بن محمد (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)

٨٤ - تقويم البلدان . نشر رينود والبارون ماك كوكين ديسلان . طبع دار الطباعة

السلطانية ١٨٤٠ بريس . وصورتها بالأوفست مكتبة الحاجي بالقاهرة . والمثني

بيفداد .

- قداحة بن جعفر . أبو الفرج (ت ٢٢٠ هـ / ٩٢٢ م)

- ٨٥ - خراج وصعة لكتانة (ملحق بكتب بن حرداذة ، المسالك والممالك) .
 - الكبي . محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨ هـ / ١٨٩٠ م)
- ٨٦ - اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية . مطبعة السعادة . مصر .
 - كراتشوفكي . أغناطيوس يوليا نوفتش
- ٨٧ - تاريخ لأدب خعري . ترجمة صلاح نسيم عتار هتم . تر لجنة لتأليف
 والترجمة والنشر . القاهرة .
- المازندراني . السيد موسى الحسيني
- ٨٨ - تاريخ النقود الإسلامية . الطبعة الثانية ١٩٨٨ م . دار العلوم . بيروت .
 - ابن ماجور . حمد الدين أبو لفتوح يوسف بن يعقوب بن محمد شيباني الدمشقي
 (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م)
- ٨٩ - صفة بلاد اليمن ومكة وبعض أحوال مكة : تاريخ مستعصر . تصحيح وصيطة
 أوسكر لونجرين . مطبعة بريل . لندن . ١٩٥١ م .
- مجمع اللغة العربية
- ٩٠ - المعجم الوسيط . دار المعارف . القاهرة .
- نحى . أبو حسن . حمد الدين حميد بن أحمد المخلعي (ت ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م)
- ٩١ - اخذنى نورديّة من مدقّق ثمة ريديّة . صورت مخطوطة بالأوقست على نفقة
 السيد يوسف المؤيد واعتبرها الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- باخمرة . أبو محمد عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت ٩٤٧ هـ / ١٩٤٠ م)
- ٩٢ - تاريخ ثغر عدن . مطبعة بريل . لندن . هولندا ١٩٣٦ م .
- مخلص . عدي يوسف
- ٩٣ - مقدسي لبتري : حياته . منهجه . دراسة كتبه حسن لتقسيم في معرفة الأقاليم من
 الناحية التاريخية . النجف الأشرف . العراق . ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .
- المعودي . أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م)
- ٩٤ - مروج ذهب ومعادن جوهر . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . در لفكر ،
 بيروت .

٩٥ - التبيين والإتراء ، تصحيح ، عبد الله بن عبد الصوي ، مكتبة متى .
١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م ، بغداد .

- مسلم اللحي ، أبو الفهر (ت ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م)

٩٦ - كتب فيه تي ، من أخبار نريدية نبي (مخطوطة من مكتبة باريس وقد كان
لأستاذ عبد الله محمد حسي فصل في حصوي على صورة لمسوخة عن المخطوطة
الأصلية) .

- مصطفى غالب (الدكتور)

٩٧ - تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، ط ٢ ، ١٩٧٩ م ، دار الأندلس ، بيروت .

- المقحفي ، إبراهيم أحمد

٩٨ - معجم البلدان والقبائل اليمنية ط ٢ ، ١٩٨٥ م ، دار الكلمة ، صنعاء .

- المقدسي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر لبناء المقدسي لبشاري (ت ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م)

٩٩ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط ٢ ، مطبعة بريل ، لندن ، ١٩٠٦ م .

- المقرئزي ، (ت ٨٢٥ هـ / ١٤٢١ م)

١٠٠ - انعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء (جزء خاص بالقرامطة) ، تحقيق

الدكتور / سهيل زكار ضمن كتابه أخبار القرامطة ، ط ٢ ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م ، دار

حسان ، دمشق .

- ابن منظور

١٠١ - لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة .

- منير الدين أحمد

١٠٢ - تاريخ لتعلم عند المسلمين . لمكة الاجتماعية لعنه حتى القرن الخامس الهجري .

- المؤيد في الدين ، هبة الله بن موسى (داعي الدعوة) (ت ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م)

١٠٣ - ديون مؤيد ، تحقيق / محمد كامل حسين . دار الكاتب المصري ، ١٩٤٩ م ، القاهرة .

- ميتشل ، دينكن

١٠٤ - معجم علم الاجتماع ، دار الطليعة ، بيروت .

- ناصر خسرو (ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م)

١٠٥- سربمة . ترجمة دكتور يحيى الختساب . ط ثالثة ١٩٨٣ م . در لكتاب الجديد .

- فاهض عبد الرزاق

١٠٦- نسكوكات وكتبة تاريخ . ط لاولى ١٩٨٨ م . سلسله لموسوعة لتاريخية لميسرة . العراق .

- ابن النديم . محمد بن إسحاق (ت ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م)

١٠٧- الفهرست . دار المعركة . بيروت .

- نشوان الحيري . أبو سعيد (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م)

١٠٨- اخور لعين . تحقيق كمال مصطفى . مطبعة السعادة مصر . بشر / مكتبة الحنجي بمصر . والمثنى ببغداد .

- النعمان بن محمد (القاضي) (ت ٣٦٣ هـ / ١٩٧٣ م)

١٠٩- رسالة فتوح لسعدة . تحقيق وناد القاصي . ط وى . ١٩٧٠ م . در الثقافة . بيروت .

- نفيس أحمد

١١٠- لفكر اخعرافي في لثرت الإسلامى . ترجمة فتحي عثمان . ط التسمية . دار لقم . ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م . الكويت .

- ابن النقيب . محمد بن عبد الوهاب المقداد (ت ٩٩٢ هـ / ١٥٨٤ م)

١١١- جامع الأشاعر المسمى / قرة العيون وانشراح الحواطر في حكاة الصالحون من فصل

مجد الأشاعر . تحقيق / عبد الرحمن خضرمي (نشرته مجلة الإكليل في العسدين

الثالث والرابع من السنة الأولى عام ١٩٨١ م . وزارة الإعلام . صنعاء) .

- الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م)

١١٢- لمجموعة الفاحرة . صورت مخطوطته بالأوفست مكتبة الين الكبرى . صنعاء .

- الممداني . أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (توفي بين عامى ٣٥٠ و ٣٦٠ هـ / ٩٦١

و ٩٧٠ م)

١١٣- الإكليل . اخرء الأول . تحقيق / محمد علي الأكوع . ط ٢ . ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م . دار

الحرية . بغداد .

١١٤- الإكليل ، خُراء لثني ، تحقيق / محمد علي الأكوع ، السنة الحمديّة ، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

١١٥- لإكليل ، خُراء لثمن ، تحقيق / نبيه أمين فارس ، دار العودة ، بيروت . در الكلمة ، صنعاء .

١١٦- الإكليل ، خُراء لعشر ، تحقيق / محم لدير الخطيب ، لسفينة ، القاهرة .

١١٧- لُهورتين لعتيقتين من لُصفراء وليصفاء (لذهب والفضة) تحقيق / محمد محمد الشعيبي ، ط أولى ، دار الكتاب ، دمشق .

١١٨- صفّة جريرة لعرب ، تحقيق / محمد علي الأكوع ، دار اليمامة ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، الرياض .

١١٩- قصيدة لدامغة ، تحقيق / محمد علي الأكوع ، السنة الحمديّة ، ١٩٧٨ م ، القاهرة .

١٢٠- نقادة الخمسة في سرائر حكمة ، أحرجه محمد علي الأكوع ، بدون طبع ولا تاريخ .

- الهمداني ، حسين بن فيض الله (الدكتور)

١٢١- الصليحيون والحركة لُظميّة في اليمن (من سنة ٢٦٨ إلى سنة ٦٢٦ هـ) ، وررة الإعلام والثقافة ، صنعاء .

- الهمداني ، محمد بن عبد الملك

١٢٢- تكلّة تاريخ الطبري (ملحق بتاريخ الطبري) .

- الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليمني

١٢٣- تاريخ اليمن ، المسمى : فرجة المهموم والخرن في حوادث وتاريخ اليمن ، ط الثانية ، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م ، مطبعة حجازي ، القاهرة .

- الوصائي ، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر الحبيش الوصائي (ت ٧٨٢ هـ / ١٣٨٠ م)

١٢٤- تاريخ وصاب المسمى : الاعتبار في التواريخ والآثار ، تحقيق / عبد الله محمد الحبشي ، ط أولى ، ١٩٧٩ م ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء .

- ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)

١٢٥- معجم البلدان ، دار صادر ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ، بيروت .

- يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠ هـ / ١٦٨٨ م)
١٢٦- غاية الأمان في أحبار القطر الياني ، تحقيق / الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، دار
الكتاب العربي ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م ، القاهرة .
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)
١٢٧- البلدان ، ملحق بكتاب ابن رسته ، الأعلام النفيسة .
١٢٨- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت .
- أبو يعلى ، الفراء
١٢٩- الأحكام السلطانية ، تصحيح وتعليق / محمد حامد الفقي ، دار الفكر ، لبنان .

ثالثاً - باللغة الإنكليزية :

- Doran. Robert E. Darley. Examples of Islamic coinage from Yemen .
Yemen 3000 Years of Art & Civilisation In A: aoia Felix P. 183. Edited By
Werner Daum AUSTRIA-ISBN.

الفهارس

- الآيات القرآنية .
- الأحاديث النبوية .
- الأعلام .
- الكتب .
- المصطلحات والمسميات .
- الفرق والمذاهب والجماعات والقبائل .
- البلدان والأماكن .
- الموضوعات .

الآيات القرآنية

(أ)

- ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقِمْ لَهُمُ الصَّلَاةَ ﴾ [النساء : ١٠٢] ١٨١
 ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى ﴾ [المزمل : ٢٠] ١٨١

(ب)

- ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ﴾ [القصص : ٢٧] ١٤٦

(ش)

- ﴿ وَلِيَشْهَدَ عَذَابَهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور : ٢] ١٨١

(ل)

- ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [التحل : ٧٠] ١٨٢

(م)

- ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ﴾ [التوبة : ١٢٢] ١٠٨

(هـ)

- ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ﴾ [الزخرف : ٢٢] ١٨٢

الأحاديث النبوية

(ل)

- « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ صَاحِبُ مَكْسٍ » ١٦٣

الأعلام

(أ)

- إبراهيم الجزار ١٤، ٢٤، ٢٥، ٢٩، ٦٩، ١٧٢
 إبراهيم بن جعفر المناخي ١٦، ٥٩، ٧٠، ٧٢
 إبراهيم بن أبي الجيش ر: عبدالله بن أبي الجيش .
 إبراهيم بن زياد ٤٢، ٦٧، ٧٧، ٨٠، ١٤١
 إبراهيم بن عبد الحميد السباعي ٤٤، ٥٧
 إبراهيم بن محمد بن يعفر ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٤
 أبيض بن حمال الماري ٦٠
 أبين بن زهير الحميري ٣٦
 أتابك سنقر ١٤٥
 ابن الأثير ٨١
 أحمد بن حنبل ١٦٤
 أحمد بن الخليل ٣٧
 أحمد رمضان ١١٠، ١١٨
 أحمد السعيد سليمان ١٧-١٨
 أحمد بن سليمان (الإمام) ٣٣
 أحمد بن محمد العمري ١٥، ٧٠
 أحمد بن يعفر ٤٨
 ابن الأخوة ١٧٧، ١٨٠
 إدريس عماد الدين ٢٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠،
 ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤

(ب)

- الباشا ١٤٩
 بروكلمان ٨٢، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٦
 البستاني ١٠٨
 ابن بطوطة ١٣٩، ١٤٠، ١٤٦، ١٥١، ١٥٨، ١٦٦،
 إسحاق بن العباس بن محمد ١٥
 أسعد الحوالي ٢٩، ٤١، ٤٢، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤،
 ٥٥، ٥٦، ٦٠، ٦٢، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ١١٧،
 ١٢٣، ١٤١

- ١٦٧، ١٧٦، ١٨١، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠،
١٩٢، ١٩١
البلخي ٨٨، ٩٥
البيروني ١٤٠، ١٧٠
(ت)
ابن تغري بردي ١٨، ٨٨
توران شاه بن أيوب ١٤٥
التيفاشي ١٥٦
(ج)
الجاحظ ٩٥، ٩٨
جيريل بن زيد ١٥٣
الجرافي ٢٦، ٥٦
ابن جرير الصنعاني ٨٠
جعفر (مولى ابن زياد) ٦٧، ٧٢، ٧٣
جعفر بن إبراهيم المناخي ٥٨، ٧٣
جعفر بن دينار ١٧، ٤٨
جعفر بن منصور الين ٤٤
جفتم ١٩، ٣٧، ٥١، ٧٤
الجنداري ٢١، ٢٦، ٣٧، ٣٩، ٣٣
الجندي ١٥، ١٧، ٢٥، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٨، ٤٩،
٥٣، ٥٩، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٤
أبو الجيش ٦٨، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨١، ١١٨، ١٣٣،
١٤٢، ١٤٩، ١٧٤
(ح)
حاجي خليفة ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١
الحاكم ١٦٤
الحبشي ١٥٤، ١٩٥
الحجري ٣٦، ٤٧، ٥٤، ٥٨، ٦١، ١٠٣، ١٠٤
الحرملي ٢١، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ١٤٢
الحريري ١٤٤
حسان الحلاق ١٧٦
حسان بن عثمان بن يعفر الحوالي ٥٥
أبو الحسن ر: أبو الجيش
حسن إبراهيم حسن ١٠١
الحسن بن أحمد بن يعقوب ٨٣
حسن عبد العال ١٠٨
الحسن بن علي بن أبي طالب ١١٧، ١١٨
الحسن بن الناصر بن الهادي ٣٣
الحسين بن أحمد ر: القداح
حسين بن سلامة ٦٨، ٧٢، ٨١، ٨٢، ١٤٤، ١٤٨،
١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٨٥
الحسين بن عبد الله بن ميون القداح ر: القداح
الحسين بن القاسم الصنعاني ٣٣
الحادي ٣٠، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١،
٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥١، ٥٧، ٥٩، ٧٥، ٧٧
حمد الجاسر ١٤٢
أبو حنيفة (الإمام) ١٢٤
ابن حوشب ر: منصور الين
ابن حوقل ٧٤، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٥، ٨٩، ٩٠،
٩٣، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١٠٢، ١٠٥،
١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٨، ١١٩، ١٢٥، ١٢٨،
١٣٠، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٩، ١٥٩، ١٧١، ١٧٣
الحوقلي ٩٩
الحيمي ١٥٨
(خ)
الخربوطلي ٩٠، ٩٩
ابن خرداذبة ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩٣، ٩٥، ٩٧، ٩٩،
١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤،
١١٦، ١١٩، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١،
١٣٧

- الحزرجي ١٧، ١٩، ٢١، ٣٠، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٤،
 ٥٦، ٥٩، ٦٠، ٦٦، ٧٣، ٨٠، ٨١، ١٥٣
- ابن خزيمه ١٦٤
 خطاب (صارم الدين) ١٤٥
 الخطاب بن الواضح الحوالي ١٥
 الخطاب بن النعمان الحوالي ٤٧
 خيطان بن كامل ١٤٥
 الخطيب ١٦٥
 ابن خلدون ١٣، ١٤، ١٥، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠،
 ٢١، ٢٣، ٢٧، ٣٥، ٦١، ٦٧، ٦٩، ٧٣، ١٤٩
- (د)
 أبو داود ١٦٤
 الدعام بن إبراهيم الحمداني ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٦٢
 دوران ١٧٣
 ابن السديع ١٤، ٢٠، ٥٤، ٦٠، ٦٩، ٧٣، ١٤٩،
 ١٥٠، ١٧٣، ١٨٦
 دي خويه ٣٨، ٨٦، ٨٧
 دينكن ميتشل ١٨١، ١٩٦
- (ر)
 الرازي ٣٩، ٤١، ٥٣، ٥٦، ٥٩، ٧٠، ١٩١
 أبو الرازي محمد بن عبد المجيد ١٥، ٧٠
 ربيع حامد خليفة ١٧٣
 الربيع بن الروية ٦٣
 ابن أبي الرجال ٢٦، ٣٣، ٥٢، ٥٦، ٦٣، ٦٥
 ابن رسته ٢٨، ٤٧، ٥٠، ٥٢، ٦٣، ٨٥، ٩٢، ٩٥،
 ٩٨، ١٠٣، ١٣٢
- رشيد ٦٨
 ابن الرفعة ١٧٧، ١٨٠
 روبرت دارلي دوران ر: دوران.
 ربحان الكهلاني ١٨٥
- (ز)
 ابن زاكس ٥٨
 زاهر رياض ١٨٥
 الزاوي ١٥٦
 زبارة ٢٣
 الزركلي ١٤، ٢٣، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١
 زكار (د. سهيل) ١٨، ٤١، ٨٣
 ابن زياد ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٨١، ١٤١، ١٤٢
 زياد بن إبراهيم بن زياد ٦٨
 زياد بن أبي الجيش ر: عبدالله بن أبي الجيش.
 زياد بن محمد ٧٦، ٧٧، ٨٠
 أبو زيد البلخي ٨٥، ٨٩، ١٣٨
 زيد بن علي ٢٣
- (س)
 سامح (د. عبد الرحمن فهمي) ١٧٧، ١٧٨
 سبأ الأصغر ٦٠
 السبكي ٩٠
 س سعد ١٥، ٤٥، ٤٨، ٧٠
 أبو سعيد الجنابي ٤٠
 سعيد بن نجاح ١٨٥
 سليمان شاه ١٤٥
 ابن سمرة الجعدي ٦١، ٦٢، ٧٤
 السهيلي ٤٥
 سيف الدولة الأيوبي ١٥٦
 السيوطي ١٠٨
- (ش)
 شادول ١٤٤
 الشافعي (الإمام) ١٣٦
 الشجاع (د. عبد الرحمن) ٧١
 شخا بن جعفر ١٥٧

الشرجي ١١١

الشوكاني ١٠٩، ١٩٦

شيحة (د. مصطفى) ١٥٥

(ص)

صبحي الصالح (الدكتور) ١١٠، ١٣٢، ١٥٩

ابن الصلاح ١٠٨

(ض)

ضيف (د. شوقي ضيف) ١٨، ١١٢

(ط)

ابن طباطبا (محمد إبراهيم) ١٤، ٢٤، ٦٩

الطبري ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٤، ٢٥، ٣٩

٧٠، ٧٤، ٨٧

طغتكين بن أيوب ١٤٥، ١٥١

(ع)

عاصم الكوفي ١٢٦

العامري ١٨٥

أبو العباس السفاح ٦٤

عبد الجبار الحمداني ٤١

عبد الرحمن بن جعفر ١٧٤

عبد الرحمن بن محمد العلوي ٧٠

عبد الرحيم بن جعفر الهاشمي ١٧٤

عبد القاهر بن احمد بن يعفر ٥١

عبد الله (أو إبراهيم أو زياد) ابن أبي الجيش ٦٨

عبد الله بن عباس الشاوري ٤٣

عبد الله بن عمر الحمداني ٨٢

عبد الله بن أبي الغارات المجيدي ٧٤

عبد الله بن قحطان الحوالي ٥٥

عبد الله بن مسعود ١٠٩

عبد الله بن يوسف الشراحي ١٤٩

ابن عبد المجيد ٣٢، ٣٣

أبو عبيد بن سلام ١٧٧، ١٧٨

عبيد الله المهدي ١٣٥

أبو العتاهية ٢٦

عثمان بن أحمد بن محمد بن يعفر ٥١، ٥٢

عج بن حاج ٢٠، ٧٣

العجلوني ١٦٤

ابن العرجي ٤٤

العرشي ٦١، ٦٤

عريب بن سعد القرطبي ٢٠، ٣٩، ٧٣

أبو العشرة بن الروية ر: الربيع بن الروية.

عطية الله (أحمد) ٨٦، ١٥٣، ١٨٥

عقبة بن عامر ١٦٤

أبو العلاء (أمير الحج) ٤٦

ابن أبي العلاء ٦٠

العلوي ١٥، ١٩، ٢١، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٣٩

٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٥١، ٥٢

٥٤، ٦٣، ٧٣، ٧٤

علي بن إبراهيم بن زياد ٨١، ١١٨

علي بن إبراهيم (أخ أبي الجيش) ١٤٩

علي بن أبي طالب ٢٢، ٢٣

علي بن الفضل ٣٠، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠

٤١، ٤٢، ٤٣، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٨، ٥٩، ٦٠

٦١، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٦، ١١٧

علي بن محمد الصليحي ٦٠، ١٥٥، ١٥٦

علي بن مهدي ١٥٦، ١٨٦

علي وردان ٥٥

العلمي ١٩٥

عمارة اليني ٢٩، ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧٣

٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ١١٧

١٤٢، ١٤٩

المأمون (الخليفة) ١٣، ١٤، ١٦، ٢٥، ٤٦، ٥٦،

١٧٤، ١٧٢، ١٤٩، ١٣١، ٧٠، ٦٩، ٦٧، ٥٨

مبارك بن الكامل ١٤٥

المتوكل (الخليفة العباسي) ١٨، ٤٨

المجاهد سيف الدين علي الرسولي ١٤٤

ابن المجاور ٢٣، ٦٧، ١٢٣، ١٣٩، ١٤٤، ١٤٨،

١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨،

١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦،

١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦،

١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٥، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠،

١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦،

مجهول ١٥، ١٩، ٢٩، ٣٣، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢،

٥٤، ٦٤، ٧١، ٨٠

الحلي ١٤، ٢٤، ٣٦، ٣٧، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٧٤

محمد بن إبراهيم ر: ابن طباطبا.

محمد بن جعفر ١٧

محمد الحبيب ٣٥

محمد بن زياد ٦٧، ١٤١، ١٧٣

محمد بن عبد الملك الهمناني ٢٠، ٧٢

محمد بن علي ماهان ١٧٣، ١٧٤

محمد بن الفضل ر: علي بن الفضل.

محمد بن مظفر بن حاج ٧٣

محمد المنتصر ١٨

محمد بن نافع ٧٠

محمد بن يعفر الخوالي ١٧، ١٩، ٤٨، ٦٣،

باخرمة ٦٧، ٨١، ١١١، ١٢٣، ١٤٥

مخلص (عدي يوسف مخلص) ٩١

المرتضى بن الهادي ٣٢

المسعود يوسف بن أبي بكر ١٥٧

المسعودي ١٨، ٢١، ٢٦، ٢٩، ٨٠، ٨٥، ٩٠، ٩٥،

عمر بن الخطاب ١٥، ٧٠، ١٧٦

أبو عمرو بن العلاء البصري ١٢٦

العمري (الشيخ أ. د. يوسف علي يوسف) ٢٣، ٧٠

(غ)

غازي جبريل ١٤٥

(ف)

ابن أبي الفتوح الخولاني ٤٦، ٥٥، ٦٢، ٦٤

أبو الفداء ١٤٠، ١٧٠

ابن الفضل ر: علي بن الفضل.

ابن الفقيه ٩٥

فيروز ٤٠

(ق)

أبو القاسم الرامث ١٥٣، ١٥٦

القاسم العياشي الزبيدي ٢٣، ٥٦

القاسم بن الناصر بن الهادي ٣٢

القديح ٣٥

قدامة ٨٥، ٨٨، ٩٢، ٩٥، ٩٩، ١٠١، ١٠٥، ١١٠،

١١٢، ١١٥، ١١٩، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩،

١٣١، ١٣٧، ١٤٠، ١٧٢

قيس بن الضحاك ٨١

(ك)

كافور الإخشيدي ١٤٩، ١٨٥

الكبيسي ٥٧، ١٨٥

كراتشكوفسكي ٨٦، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٦،

٩٩، ١٠١، ١١٨

الكرملي ٦٤

(م)

المازندراني ٧٥

مالك بن أنس (الإمام) ١٢٦

- ملم اللحجي ٣٠، ٣١، ٤٣، ٤٤، ٥٥
مصطفى باشا ١٥٤
مصطفى غالب ٣٥
المطيع لله ١٧٤
المظفر بن حاج ٢٠، ٣٩، ٧٣
المظفر بن أبي الجيش ٨١
المظفر بن علي بن إبراهيم بن زياد ٨١
معاذ بن جبل ١٩٠
المعتصم ١٦، ٤٧، ٧١، ٧٢، ١٧٢، ١٧٤
المعتضد ١٩، ٧٤، ١٧٢
المعتد ١٩، ٤٨، ٥٠، ٦٩، ٧٢، ٧٥، ٨٧، ١١٢، ١٧٢
المعز بن إسماعيل بن طغتكين الأيوبي ١٤٥، ١٧٥
المعز الفاطمي ٢١، ٥٥
المقتدر بالله ٥٣، ٥٤، ١١٣
المقحفى ٤٧، ٥٤، ٦١، ١٣٦
المقديسي ٢٨، ٧٤، ٧٦، ٨١، ٨٦، ٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٦، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٥، ١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥
المقريزي ١٨
المكتفي بالله ١٩، ٢٠، ٥١، ٦٠، ٧٣، ٨٨
ملاحظ بن عبد الله الرومي ٢٠، ٧٤
المنتاب بن إبراهيم السباعي ٥٧
ابن المنذر ١٢٦
أبو المنصور من الله الفاتكي ١٥٠
المنصور القاسم بن علي العياني ر: القاسم العياني .
المنصور يحيى بن الناصر بن الهادي ٣٣
منصور البين ٣٠، ٣١، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤، ٥١، ٥٣
ابن منظور ١٠٨، ١٠٩، ١٦٢
منير الدين أحمد ١٠٨، ١١١
المهدي الفاطمي ٣٠، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٤
أبو موسى الأشعري ١٥٢
الموفق ١٨، ٤٨، ٥٠
المؤيد في الدين ٤٤
ميون القداح ٣٥
(ن)
أم الناصر أيوب بن طغتكين ١٤٥
ناصر خسرو ١٣٩، ١٤٣، ١٤٤
الناصر بن الهادي ٢٩، ٣٢، ٣٣، ٤٢، ٥٣، ٥٥، ٦٣، ٧٧، ١١٧، ١٤١
نجاح الحبشي ١٤٤
ابن النديم ٣٧، ٨٧، ٨٨، ٩٦، ١٠٥
نشوان الحميري ٢٧، ٣١، ٣٥، ٤٣، ٤٨، ٤٩، ٥٤
٥٨، ٥٩، ٦٠، ٧١، ٧٣
النظر بن شميل ٩٦
النعمان بن محمد (القاضي) ٤٢، ٤٩
ابن النقيب ١٥٤
نور الدين الرسولي ١٤٦
(هـ)
الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٨، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٨٣، ١١٨، ١١٩

هارون الرشيد ١٣، ٥٦

هشام بن عبد الملك ٢٣، ٦٧

هشام الكلبي ٩٦

الهمداني ١٥، ١٦، ١٩، ٢٤، ٢٥، ٢٨، ٢٩، ٣٠،

٣٩، ٤١، ٤٥، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢،

٥٣، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤،

٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٨٠، ٨٤، ٩٨، ١٢٠،

١٢٣، ١٣٦، ١٤١، ١٨٤

الهمداني (الحسين بن فيض الله) ٤٣

الهمداني (محمد بن عبد الملك) ٣٩

هند بنت أبي حبيش ٦٨

(و)

الواثق (الخليفة) ١٦، ٤٨، ٧١، ١٧٢

الواسمي ٥٥، ٦٣

الوصابي ٣٥، ٣٧، ٤٢، ٤٨، ٥٤، ٥٩، ٦١، ٦٦،

٧١، ٧٦، ٧٧، ٨١، ١٤٩، ١٥٣، ١٧٤

(ي)

ياقوت الحموي ٦١، ٩٢، ٩٦

يحيى بن الحسين بن القاسم ١٧، ٢١، ٢٥، ٣٨،

٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٣،

٧٠، ٧٣، ٧٥، ٨١، ٨٣

يزيد بن جرير القسري ١٤

يعفر بن عبد الرحمن الحوالي ١٥، ٤٧، ٤٨، ٤٩،

٦٣، ٧١، ٧٢، ٧٣

اليعقوبي ١٦، ٧٠، ٨٥، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٨، ٩٩،

١٠١، ١٠٣، ١٣٦، ١٣٧

أبو يعلى الفراء ١٨٠

يوسف الداعي ٥٦

يوسف بن محمد بن أبي بكر ١٤٥، ١٧٥

يوسف بن يحيى بن الناصر ٢٣، ٨١

الكتب والبحوث

(أ)

أئمة الين ٢٣

اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ١٨

أحسن التقاسيم ٢٨، ٧٤، ٨١، ٩١، ٩٤، ٩٨، ٩٩،

١٠٠، ١٠٢، ١٠٦، ١١٠، ١١٥، ١١٦، ١١٩،

١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧،

١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٨، ١٤٢،

١٤٣، ١٤٨، ١٥٢، ١٥٤، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠،

١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ١٧٨،

١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩١، ١٩٤

الأحكام السلطانية ١٨٠

أخبار القرامطة ١٨، ٤١

إرشاد الحائر في إقامة الجمعة بمجد الأشاعر ١٥٤

الاعتبار في التواريخ والأثار ويسمى تاريخ

وصاب ٣٥، ٤٢، ٤٨، ٥٤، ٥٩، ٦١، ٦٦،

٧١، ٧٦، ٨١، ١٤٩، ١٥٣، ١٧٤

الأعلاق النفيسة ٢٨، ٤٧، ٥٠، ٥٢، ٦٣، ٨٥،

٩٢، ٩٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٣٢

الأعلام ١٤، ٢٣، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١،

افتتاح الدعوة ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٠، ٤٢، ٤٩،

الإكليل ١٥، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٩، ٤٧،

٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٨،

٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٧١، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٨٠،

٩٨، ١٤١

الإكليل (مجلة) ٦٢، ٦٦، ١٠٨، ١٧٣

الألقاب الإسلامية ١٤٩

الأموال ١٧٧، ١٧٨

إنباء أبناء الزمن في تاريخ الين ٤٤، ٨٠

الإيضاح والتبيين في معرفة المكيال والميزان

١٧٧، ١٧٨

إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ٨٦،

٨٨

(ب)

بعية المستميد في تاريخ زبيد ١٤٩، ١٨٦

البلدان (للكتبي) ٩٦

البلدان (لليقوي) ٨٦، ٩٢، ٩٨، ١٠٣، ١٠٤

بلوغ المرام في شرح مسك الختام ٦١، ٦٤

بهجة الزمن في تاريخ الين ٢٢، ٣٣

(ت)

تاريخ الأدب الجغرافي ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠،

٩١، ٩٢، ٩٦، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١١٨

تاريخ الأدب العربي ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩،

٩٦، ٩١

تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية

لعلمائهم في القرن الخامس الهجري ١٠٨،

١١١

تاريخ ثغر عدن ٦٧، ٨١، ١١١، ١٢٣، ١٤٥

تاريخ ابن خلدون ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨،

٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٣٥، ٦١، ٦٧، ١٤٩

تاريخ الدعوة الإسماعيلية ٣٥

تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ١٨

تاريخ الرسل والملوك ر: تاريخ الطبري .

تاريخ الطبري ١٤، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٤، ٢٥،

٣٩، ٧٠، ٧٣، ٧٤، ٨٧

تاريخ عمارة ر: تاريخ البين .

تاريخ صنعاء ٣٩، ٤١، ٥٣، ٥٦، ٥٩، ٧١

تاريخ النقود الإسلامية ١٧٦

تاريخ وصاب ر: الاعتبار في التواريخ والآثار.

تاريخ اليعقوبي ١٦، ٧٠

تاريخ البين في الكوفي والفتن ١٥، ١٧، ١٩، ٣٩،

٣٣، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٦٣، ٦٤،

٧٢، ٨٠، ٨١

تاريخ البين المسمى (المفيد في أخبار صنعاء

وزييد) ٣٩، ٦٣، ٦٦، ٧٢، ٧٨، ٨٠،

٨١، ١٤٩

تاريخ البين (الواسعي) ٥٥، ٦٣

تثبت دلائل النبوة ٤١

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ١٠٨

التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١٠٨

ترتيب القاموس المحيط ١٥٦، ١٧٨

تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي ١٧٦

تقويم البلدان ١٤٠

تكملة تاريخ الطبري ٢٠، ٣٩، ٧٣

التنبيه والإشراف ١٨، ٢١، ٩٠

(ج)

الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز ٢١،

٢٦، ٢٧، ٣٣

جزيرة العرب ٩٦

جواهر تاريخ الأحقاف ٥٨

الجوهريتين العتيقتين ٢٩، ٤٩، ٥٢، ٦٣

(ح)

حدايق النام في الكلام على ما يتعلق بالحمام ١٥٨

لحدايق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ١٤، ٢٤،

٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٢، ٧٤

الحكمة الدرية والدلالة النبوية ٣٣

الخور العين ٢٧، ٣١، ٣٥، ٤٢، ٥٤

الحياة العلمية في البين في القرنين الثالث والرابع

للمهجرة ٧١، ٨٣، ١١١

(خ)

لخراج وصناعة الكتاب ٨٨، ٩٣، ١٠٣، ١١٠،

١١٣، ١١٥، ١١٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٩،

١٣٧، ١٤٠، ١٧٢

(د)

الدافعة ١٥، ٤٧

دراسة حول المنسوجات اليمنية في العصر

الإسلامي ١٧٣

الدواء العاجل في دفع العدو الصائل ١٩٦

دولة حشيشة في البين (دولة بني نجاح) ١٨٥

ديوان المؤيد ٤٤

(ر)

الرحلات ١١٢

الرحلة ١١٠، ١١٨

رحلة ابن بطوطة ١٣٩، ١٤٦، ١٥١، ١٥٨، ١٦٦،

١٨٧، ١٩١، ١٩٢

رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ٣٤

رسالة افتتاح الدعوة ر: افتتاح الدعوة.

الروض الأنف ٤٥

(س)

سرائر الحكمة (المقالة العاشرة) ١٤١

سفر نامه ١٣٩، ١٤٤

السلطان الخطاب (حياته وشعره) ٣٥

السلوك في طبقات العلماء والملوك ١٥، ١٧، ١٩،

٢٥، ٣٨، ٣٩، ٤٢، ٤٨، ٤٩، ٥٣، ٥٩، ٦٦،

٦٩، ٧١، ٧٤

سيرة المهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ١٥، ١٩،

٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٣، ٣٨،

٤١، ٤٣، ٥٢، ٥٤، ٥٩، ٦٣، ٧٣، ٧٤، ٨٣

(ص)

نصبت ٩٦

صفة جزيرة العرب ١٦، ١٩، ٤٥، ٤٩، ٦٣، ٧١،

٩٦، ١٢٠، ١٢٣، ١٣٦، ١٤١، ١٨٤

صلة تاريخ الطبري ٢٠، ٣٩، ٧٣

الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن ٤٣، ٨٠

صور الأقاليم ١٣٨

صورة الأرض ٧٤، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٩، ٩٠، ٩٤،

٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٢، ١٠٥، ١٠٩، ١١٠،

١١٤، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨،

١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٨، ١٤٣، ١٥٠، ١٥٩،

١٦٣، ١٦٨، ١٧١، ١٧٣

طبقات الخواص ١١١

طبقات الزيدية الصفري ٨١، ٨٣

طبقات الشافعية الكبرى ٩٠

طبقات فقهاء اليمن ٦١، ٦٢، ٧٤

الطبقات الكبرى ١٥، ٤٥، ٤٨، ٧١

(ع)

العبر وديوان المبتدأ والخبر ر: تاريخ ابن
حندون .

المعجد المبوك ٢١، ٣٠، ٥٣، ٥٤، ٥٦، ٥٨،

٥٩، ٦٠، ٦٦، ٧١، ٧٣، ٨٠، ٨١، ١٥٣

العصر العباسي الثاني ١٨

عيون الأخبار وفنون الآثار ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧،

٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤

(غ)

غاية الأمان في أخبار القطر الباني ١٧، ٢١، ٢٥،

٣٨، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٣،

٧٠

غربال الزمان ١٨٥

(ف)

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ١٠٩

الفهرست ٣٧، ٨٧، ٨٨، ٩٦، ١٠٥

(ق)

القاموس الإسلامي ٨٦، ١٥٣، ١٨٥

القرامطة ١٨، ٣٤

قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ١٤، ١٧، ١٩،

٢٠، ٣٦، ٥٤، ٥٦، ٦٠، ٦٩، ٧٣، ١٧٣

قصيدة الدامغة ر: الدامغة .

القضاء القبلي في المجتمع اليمني ١٩٥

(ك)

الكامل في التاريخ ٨١

كتاب من أخبار الزيدية ٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٣،

٤٤، ٥٥

كشف الخفاء ١٦٤

كشف أسرار الباطنية ٣٠، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨،

٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥٢، ٥٧، ٥٩، ٦٠،

٧٦، ٧٧

كشف الظنون ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١

(ل)

لسان العرب ٥٥، ١٠٨، ١٠٩، ١١٤، ١٦٢،

اللطائف السنية ٥٨، ١٨٥

(م)

مجموع بلدان الين وقبائلها ٣٦، ٤٧، ٥٤، ٥٨،
١٠٢، ١٠٤

المجموعة الفاخرة ٢٣

محاضرات في التاريخ الإسلامي ٢٣

مختار الصحاح ١٩١

مدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية
البنية ١٥٥

مروج الذهب ١٨، ٢٦، ٢٩، ٥٥، ٨٠، ٩٠، ١٤٢

مسالك الممالك (الاصطخري) ٣١، ٨٨-٨٩، ٩٣،
٩٧، ٩٩، ١١١، ١١٣، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢،

١٢٧، ١٣٠، ١٣١

المسالك والممالك (ابن خرداذبة) ٨٧، ١٠٠، ١٠١،
١٠٤-١٠٥، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٦،

١١٩، ١٢٢، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١،

١٣٦

المستبصر ٢٣، ٦٧، ١٢٣، ١٢٩، ١٤٤، ١٤٨،
١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٠،

١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨،

١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨،

١٧٩، ١٨٠، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٣،

١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦

المسعودي ٩٠

المسكوكات وكتابة التاريخ ١٧٢

مصادر الفكر العربي الإسلامي في الين ١٥٤

مطلع البدور ومجمع البحور ٣٦، ٣٣، ٥٢، ٥٦،
٦٣، ٦٥معالم التطور السياسي في دولة بني نجاح بالين
وعلاقتهم بالصليحيين ١٤٤

معالم القرية في أحكام الحبة ١٧٧، ١٨٠

معجم البلدان (ياقوت) ٦٢، ٩٦

معجم البلدان والقبائل البنية ٤٧، ٥٤، ٦١، ٦٢،
١٣٦معجم علم الاجتماع ١٨١، ١٨٢، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٢،
١٩٦المعجم الوسيط ٩٤، ١٠٨، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٣،
١٩٠، ١٩٣

المفيد ر: تاريخ الين .

مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ١٤، ٢٤

المقالة الخامسة (المهداني) ر: سرائر الحكمة .

المقتطف من تاريخ الين ٢٦، ٥٦

المقنسي البشاري: حياته ومنهجه ودراسة كتابه

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم من

الناحية التاريخية ٩١

مقدمة ابن صلاح ١٠٨

المكاييل في صدر الإسلام ١٧٧، ١٧٨

ملوك حمير وأقبال الين . قصيدة نشوان وشرحها
٤٩، ٥٠، ٥١، ٦٠، ٧١، ٧٣

منجد الطلاب ١٠٨، ١١٤

الموسوعة التاريخية الميسرة ١٧٢

الموسوعة العلمية الميسرة ١٦٦

(ن)

النتاج العلمي للين في العصر الذهبي للحضارة

الإسلامية ٣٤، ٣١

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٨، ٨٨

النظم الإسلامية ١٠١، ١١٠، ١٣٣، ١٥٩

(هـ)

هدية العارفين بأسماء المؤلفين واثار المصنفين ٨٧،

٨٨، ٨٩، ٩١

(و)

الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة

٢٢٢ هـ ١٨، ٤٨، ٥٠، ٥٣، ٥٤

(ي)

اليمين في صدر الإسلام ٤٥، ٦٤

اليمين في عهد الولاة ١٧، ١٩، ٢٥، ٥٠

المصطلحات والمسميات

(أ)	بيت المال ٧٠	الأئمة ٤٠
(ت)	التجعفر ٥٨	الأجناد ٥٥
	التقبل، المتقبل ١٥٩، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤	الأستاذ ١٤٧
(ج)	جاني الزكاة ١٦٣	الأسوار ١٤٨
	جامع ر: مسجد.	الأسواق ١٢٢
	الجاهلية ٥٨، ٦٣، ٧٣، ١٦٣، ١٩٥	الأسواق التجارية ١٠٩، ١٢٩
	الجباة ١٦٧	الإقليم ٥٥
	الجباية ١٦٠، ١٦٥	الإمام ٣٤، ٣٥، ٣٨
	الجمعة ١٣، ١٥٤	الإمام الإسماعيلي ٣٦، ٣٨
	الجنة ١٧٩	الإمام الفاطمي ٣٨
	الجهاد ١٠٩	الإمام المنتظر ٣٤
(ح)		الإمامة ٣٢، ٣٣
	الحج ١٠٢، ١٠٩	الأمانة ١٦٣
	الحجاب ٣٥	الإنابة ١٧
	الحضرة ١٠٢	أنساب الين ٨٤
	حلقة علمية ١٢٤	أهل ذمة ١٢٢
	حمامات ١٢١، ١٥٨، ١٦٥، ١٨٧	الأواني ١٢٧
(خ)		الأوقاف ١٦٥
	الخانات ١٥٨	(ب)
	الخراج ١٠٥، ١١٠، ١٣١، ١٣٣	باب الأبواب ٤٠
	الخط الكوفي ١٥٢	البريد (محطات بريدية) ٨٧، ٩٢، ١٠٠، ١٠١،
		١١٠، ١١٢، ١١٤، ١٢٠، ١٢٤، ١٣٧
		بريل (مطبعة) ١١٢

- الخطبة ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٦٨، ٧٢
 الخليفة، الخلفاء، الخلافة ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦٦، ١٨، ٢١، ٨٧، ٨٨، ١١٠، ١١٦
 الخليفة العباسي ٤٢
 الخليفة الفاطمي ١١٨
 الخمر (النبيذ) ١٦١، ١٦٢
 (د)
 دار الإسلام ١٧٢
 دار الخلافة ١٤، ١٧
 دار الضرب ١٦١، ١٧٤، ١٧٥
 دار الملك ١٥٧
 دار النبيذ ١٦١
 الداعي ٣٦
 الدبادب ١٩٥
 درهم ١٧٥، ١٧٧
 الدرهم السيفي ١٧٥
 الدواوين ١٠٢
 دواوين الجند ١٠٠
 دواوين الخراج ١٠٠، ١٣١، ١٣٢
 الدولة الأيوبية ١٧٥
 دولة الحكميين ١٣٣
 دولة الحوالبين ٤٩
 دولة الخلافة ٥٤
 الدولة الرسولية ١٤٦
 الدولة الزيادية ٦٦، ٧٠، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ١١٨، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٥٩
 ١٦٢، ١٦٩، ١٧٣
 الدولة الزيدية ٨٤، ١١٦-١١٧، ١٣٣، ١٤١
 الدولة الصليحية ٤٤، ١٤٤
 الدولة العباسية ٤٧، ٥٥، ٥١، ٦٨، ٦٩، ٧٠،
 ١١٢، ١١٠، ١٠١، ٧٨، ٧٤، ٧٢، ٧١
 ١١٤، ١١٥، ١١٩، ١٣١، ١٣٢، ١٤١، ١٤٢
 ١٧٢، ١٧٤
 دولة أبي العلاء الأصبحي ٣٩
 الدولة العلوية ٣٩
 الدولة الفاطمية ١١٠، ١١٨
 دولة الكردي ٣٩
 دولة المناخين ٣٩
 الدولة النجاشية ٨٢، ١٤٤
 الدولة الهاشمية ٣٧، ٥٤، ٦٣
 الدولة اليعفرية ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٧١
 ١٣٣
 الدينار العباسي ١٧٤
 دينار عثري ١٣٣، ١٧٣
 ديوان الصدقات ١٣٢
 (ذ)
 الذراع ١٨٠
 (ر)
 رباط ١٥٥
 الرحلات العلمية ١١١
 الرحلات العلمية الجغرافية ١١١
 الرحلة ١٠٨، ١٠٩
 الرسائل الإخوانية ١٢
 الرسائل الرسمية ١٢
 الرساتيق ٥٥
 الرضا من آل محمد ٢٥
 رطل ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩
 (ز)
 زبدي ١٧٩
 الزكاة ٥٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٦٢
 الزواج ١٩٢

(ظ)	(س)
الظاهرة ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٤، ١٩٥	سبوت ١٩١
(ع)	السجن ١٩، ٢٩، ٧٧، ٨٠، ١٤١
العادات ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣	السقايات ٢٢
العثرية ١٧٤	السكك (عطاط) ١٠١، ١٣٧
العشر ١٣٤	سكة (عملة) ٧٢، ١١٢، ١١٤، ١٤٩
العشرية ١٣٢	سنكة ر: الصنجة .
عشور التجارة ١٣٣، ١٥٣	السور ١٢٣، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١
العصبية (أو العصبيات) ١٥، ١٦، ٢٨	(ش)
عصر الحرم ١٤٥	الشريحة ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦، ١٨٧
علم الاجتماع ١٠٧	الشفوت ١٨٨
علم الطرق ٨٨	(ص)
علم القراءات ١٢٦	الصاع ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨
علوم القرآن ١٢٦	الصبح ١٨٩
علوم اللغة ١٢٦	صلاة الجمعة ر: الجمعة .
المواف ١٨٩	الصناعات الجلدية ١٢٧
عيدي الفطر والأضحى ١٩١	صنق ١٦٠
(ف)	الصنجة ١٧٦
الفارسية ١٤٣	الصوافي ١٦٥، ١٦٧
الفرقيعات ١٩٥	(ض)
فقه ١٠٣	ضامن (ضمين أو الضمانات) ١٥٩، ١٦٠، ١٦١،
الفقهاء ١٢٤، ١٦٢، ١٧	١٦٥، ١٦٤، ١٦٢
الفلوس ١٧٦	ضرائب (أو ضريبة) ٥٠، ٩٤، ١٠٣، ١٣٣، ١٣٤،
(ق)	١٥٠، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٤
قيام القيامة (مصطلح إسماعيلي) ٤١	(ط)
القراءات ١٢٦	البطائفة ١٨١
القرتب ١٥١	طاغوت ١٩٦
القطيب ١٨٩	الطبقة ١٨٢، ١٨٣
القند ١٨٩	الطبل ١٩٤، ١٩٥
قيراط ١٧٩	الطرح ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤
	طواحين الهواء ١٦٦

١٩٦، ١٦٥	(ك)	الكبان ١٨٩
المكوك ١٧٧، ١٧٦		الكساء ١٢٧
الملاجئ ١٢٢		كفارة اليمين ١٧٦
الملتج ١٨٩		الكنيسة ١٤٧
ملوك حمير ٥٨		الكور ١١٥، ٩٤، ٥٥
ملوك الكلاع ٥٨	(ل)	لاتينية (لغة) ١٧٦
ملوك المعافر ٦٠		اللاهوت ١٤٧
المن ١٧٩، ١٧٨		اللوح ١٨٨
مناجم الذهب والفضة ٢٩		اللواء ٥٥
منبر ١٢٤		ليلة الإفاضية (مصطلح إسماعيلي) ٤١
منشآت دنيوية ١٤٧	(م)	الحافظة ١١٥، ٥٥
منشآت دينية ١٤٧		المختب ١٧٧
المنع ١٩٦، ١٩٥		المخالف (الخلف) ١١٣، ٩٤، ٩٢، ٧٢، ٥٥
المهر ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤		١٤٠، ١٣٦، ١١٩، ١١٧
الموازين ١٧٦، ١٧١		المد ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩
الموالي ١٨		المدايغ (مدايغ الجلود) ١٦١، ١٣٣
الموسيقى ١٩٤		مدافن الطعام ١٦٨
المبضنة ١٥٨	(ن)	مدرسة ١٢٤
		المرصد (نقطة تفتيش) ١٦٤
		المزامير ١٩٤
		مساجد (المسجد) ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥،
		١٥٨، ١٤٧، ١٢٩
		المستشفيات ١٢٢
(و)		مصانع الزيت ١٢٨
الوراقون ١٢٤		المظهر ١٩٠
الوزارة ١٤٩		مفروكة (الفرق) ١٩٣، ١٩٤
الولاء (الولاية) ١٢، ١٤، ١٥، ١١٥		المكايل ١٦٩، ١٧١، ١٧٦، ١٧٧
(ي)		المكوس (المكس) ١٠٢، ١٣٣، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٤،
يونانية (لغة) ١٧٦		

الفرق والمذاهب والجماعات والقبائل

(أ)	(ب)
الآبارة ٢٤	الباطنية ٣٤، ٤٤، ٦٤، ١٥٦
الأباضية ٣١	البجة ١٨٥
الأثراك ١٧	البرامكة ٨٧
الأثاريون ١٤٧، ١٥٥	آل البيت ٥٩
الإثنى عشرية ١١، ٣٤، ٣٥	(ت)
الأحباش ١٨٥	تغلب بن وائل ٦٧
الأخشيديون ١٨٥	(ث)
الأدراسة ١٧	ثقيف ١٨٤
الإسماعيلية، المذهب الإسماعيلي ١١، ١٢، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٩، ٥٧، ٦٤، ١٤٣	بني ثمامة ٦٠
١٨٦، ١٥٦، ١٤٤	(ج)
الأشاعر ر: الأشعريون .	الجعافر ٥٨، ٧٣
الأشعريون ٦٦، ١٥٢، ١٨٤	الجفام ٢٧
الأغالبية ١٧	جماعة ٤٦، ٦٤
الأكراد ١٤٥	جنب ٤٤
الأكيليون ١٩، ٢٤، ٢٧	(ح)
الإمامية ٢٢، ٣٣، ٣٥	بنو الحارث ٢٤، ٤٦، ٦٤
الأمويون، بنو أمية ٦٦، ٧٦، ٩٩، ١٤٠	حامي ١٨٥
الأنبوع ٦٢	الحبشة، حبشية ٢٣، ١٢١، ١٢٨، ١٣٣، ١٤٣، ١٨٥
أهل البيت ٢٤	الحكيون ٢٠، ٤٦، ٥٧، ٧٣
الأوريون ١٨٢	حير ٢٤، ٥٨، ٦١، ١٢٠، ١٨٦
الأويون ١٤٤، ١٤٥، ١٥١، ١٦١، ١٨٤	الخنفية (مذهب أبي حنيفة) ١٢٥، ١٧٧

- الحواريون ١٦، ٢٤، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٤، ١١٦، ١١٧
- (خ)
- الخواتين ١٤٥
- الخولج ٣١، ١٢٥، ١٥٦، ١٨٦
- خولان ٤٦، ٥٦، ٦٤، ٩٣، ١٢٠، ١٨٤
- خولان العالية ٦٤
- خولان قضاة ٦٤
- (د)
- آل الدعام ٤٦، ٦٣
- (ر)
- الريبعة ٦٤
- الرسوليون ١٤٦
- الرومان ١٧٧
- آل الروية ٤٦، ٤٩، ٥٢
- (ز)
- آل زياد ٤٦، ٥٧، ٦٨، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ١١٢، ١١٨، ١٢٣، ١٣٧، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٦، ١٧٤، ١٨٤، ١٨٥
- ١٨٦
- الزيدية ١١، ١٢، ١٤، ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٣٢، ٣٣، ٥٧، ٨٣، ١١٩
- بنو زريع ١٢٣
- الزنج ١٨، ١٢٨
- (س)
- آل ساهان ٩٢
- سبأ ٨٧، ٩٣، ٩٨
- السباعيون ٥٧
- بنو سعد ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٦٤
- (السفانية) مذهب سفيان بن عيينة ١٢٦
- السلمايون ٢٤
- السنة (أهل) ١٢٥
- (ش)
- (الشافعي) المذهب الشافعي ١٢٦
- الساميون ٥٢
- آل الشراحي ٤٦، ٤٧، ٧٢، ٧٥، ١١٦، ١٤١
- ١٤٢، ١٤٩، ١٥٣، ١٧٤، ١٨٤، ١٨٦
- بنو شهاب ٢٤
- الشيعة ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٢، ٤٥
- ٤٩، ٥٩، ١٢٥، ١٥٦
- (ص)
- آل الصليحي ٦١، ١٥٦، ١٨٤، ١٨٦
- الصوفية ١٧٦
- (ض)
- آل الضحاك ٤٦، ٥٥، ٥٦، ٦٢، ٦٣، ١١٩
- (ط)
- بنو طريف الحكمي ٧٤، ١٧٣
- آل طريف ١٩، ٣٨، ٥٢
- الطولونيون ١٧، ١٨٤
- (ظ)
- ظلم ٣١
- (ع)
- العباسية ١١، ١٢، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٥٣، ٥٧، ٥٩، ٦٤، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ١٠٠، ١٠١، ١٠٤، ١١٠، ١١٦، ١٧١، ١٧٤

(ل)	بنو عبد المدان ٤٦ ، ٦٤
اللعيون ٢٤	العثرة ٥٩
(م)	العثانيون ١٥٤
الماركسي (مذهب) ١٨٢	العدنانية ٢٥
الماسونية ٣٤	العراقيون ٥٣
المالكية (مذهب مالك بن أنس) ١٣٦	العرب ٩٣ ، ١١٧ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٨٥
متطوعة ١٣	
بنو مجيد ٤٦ ، ٧٤	عك ٦٧ ، ١٣٦ ، ١٣٧
الخانيون ٥٨ ، ٦٣	العلويون ١٤ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ١١٩
مذاهب فقهية ١٢٥	العلوية (حركة) ٦٩ ، ١٧٣
مذاهب فكرية ١٢٥	العمرىون ١٢٠
مذبح (المذبحيون) ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٦٣	(ف)
مذهب ابن المنذر ١٣٦	الفاطمية ١٢ ، ١٨ ، ٥٧ ، ٩٢ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٤٣
المصريون ٥٢	الفرس ٥٢ ، ٦٣ ، ١٢١ ، ١٨٦
المعتزلة ١٢٥	آل بني فطيمة ٣٥ ، ٢٦
آل المكرمان ٤٩	(ق)
المناخيون (ذو مناخ ، المناخي) ١٦ ، ٤٦ ، ٤٧	القحطانية ١٥ ، ٢٥ ، ٨٤
١١٦ ، ٨٠ ، ٧٠ ، ٦٣ ، ٥٩ ، ٥٨ ، ٤٩	قدم ٣١
آل المنتاب ٤٦	القرء ١٢٤
بنو مهدي ١٤٤ ، ١٤٨ ، ١٥١ ، ١٥٦ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٨٦ ، ١٨٤	القرمطية (القرامطة أو القرمطي) ١١ ، ١٣ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٨٠ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٤٣
(ن)	قريش ١٠٩
بنو نجاح (النجاحيون - النجاحية) ٨٢ ، ١٤٤	
١٨٦ ، ١٨٥ ، ١٨٤ ، ١٧٤ ، ١٦٣ ، ١٥٠	
الزارية ١٥	
النعمانية (النصارى) ١٢٢ ، ١٤٧	(ك)
النويون ١٢١ ، ١٨٥	الكباريون ٢٤
(هـ)	آل الكرندي ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٨ ، ٦١
الهادية ٦٢ ، ٧٩	الكلاع ٥٨ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٢ ، ٦٤
آل الهزيلي ٤٩	كهلان ٦٤

اليعفريون (اليعفرية أو آل يعفر أو بنو يعفر)	همدان ٣٠، ٢٨، ٤٦، ٤٩، ٦٣، ٧٠، ٧٦، ١٣٠،
١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٧، ٢٩، ٣٧،	١٨٤، ١٤٢
٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١،	آل الهيثم (بنو الهيثم - بنو الهيثم) ٤٦، ٥٨، ٦٢
٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦١، ٧١، ٧٣،	(و)
٧٣، ٧٦، ٧٩، ١٠٤، ١١٢، ١١٨، ١١٩،	الوائلون (بنو وائل) ٤٦، ٥٨، ٦١
١٤١، ١٣٢	بنو وافر ١٨٤
اليانية ١٥، ٢٥	(ي)
اليهودية ١٢٢	بنو يافع ٢٤
	اليامية ٦٤

البلدان والأماكن

(أ)

إب ١٣٠، ٥٨

أبين ٥٣

أتاقت ١٣٩، ٢٤

آسيا ٨٣

أفريقيا ١٢٨

الأندلس ١١٧، ٨٤، ٢١

الأهواب ١٥٣

(ب)

البحر الأحمر ١٣٦، ١٤٣، ١٦٥، ١٨٥

بحر القلزم ١٢٨

البحرين ١٨، ٤٠، ١١٢، ١٣٠

بربارة ١٥٣

البصرة ٢٣، ١٢٧

بغداد ١١، ١٣، ١٧، ١٨، ٢١، ٦٥، ١٣٩، ١٥٢،

١٧١

البقعة ١٥٣

بلاد الكلاع ٦١

بلاد ما بين النهرين ١٧٨

بلاد المشرق ١١٧

بلاد همدان ١٢٥

بيت ذحار ٢٤

بيت المقدس ٩١

بيحان ٤٩

بروت ٨٣، ١٣٨

(ت)

تعز ١٦، ٣٩، ١٤٦

التعكر ٦٢

تهامة ٢١، ٢٥، ٧٨، ٣٩، ٤٧، ٥٤، ٥٧، ٦٠، ٦٦،

٦٧، ٦٩، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٩٣،

١١٦، ١١٨، ١٢٦، ١٣٧

(ث)

الثلاث ٥٤

(ج)

جامع (مسجد) الأشاعر ١٥٣، ١٥٤

جامع صنعاء ١٥٣

الجامع الكبير (زبيد) ١٥٣، ١٥٣، ١٥٤

جامعة صنعاء ١٣٥

جامعة القاهرة ٨٣

جبل خقات ١٢٣

جبلان المركبة ١٤١

جدة ١١٤، ١٢٨

الجزيرة العربية ٩٤، ١١٥، ١٢٣

الحناد ١٥٦، ١٥٧

الجبد ٤٩، ٥٩، ٦١، ٧٠

جيبوق ١٥٣

جيشان ٣٧

(ح)

الحشة ١٤٣، ١٨٤، ١٨٥

الحجاز ٢٣، ٢٨، ١١٥، ١٩٠، ١٩٥،	٨٠، ٨١، ١٠٢، ١٠٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢،
الحجرية ٢٩، ١٢٦،	١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧،
حجة ٣٦	١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤،
الحدرة ١٣٧، ١٣١،	١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢،
الحرمين ١٨، ١٠٤،	١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١،
حصن الخضراء ١٢٣،	١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٦٩،
حصن القوارير ١٥١،	١٧٠، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧،
الحصيب ١٣٦، ١٣٩، ١٨٤،	١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٩١،
حضر موت ٤٩، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ١١٣، ١٢٥،	١٩٢، ١٩٣، ١٩٥،

زيلع ١٥٣

(خ)

(س)

السائلة ر: وادي السرار.

السحول ١٣٠

سرو حير ٢٤، ٥٨، ٦٢

سنحان ٤٤، ١٠٤

السند ١٢٨

سهام ١٥١

(د)

دار الفكر ٨٣

دجلة ١٨، ١٠٤

دهلك ١٤٣، ١٦٨

الديلم ٢١

(ش)

شاحط ٦١

الشام ١١، ١٧، ٣٥، ٣٨، ٥٥، ٨٤، ١٠٩، ١١٩،

١٤٨

الشارق ١٤٨، ١٥١

شيام ٤٧، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٨، ٧١، ١٠٣، ١١٦،

١١٩

شيام أقيان ١٦

الشحر أقيان ١٦

الشحر ١٢٨، ١٣٠

الشرجة ١١٨، ١٢٧، ١٣١، ١٤٢،

شمان ٦٢

(ذ)

ذمار ٣٨

(ر)

الرضراض ٦٣

الرضعة ٥٤

رمع ١٣٦، ١٣٧،

ريدة ٥٦، ٧٦، ١٢٣،

ريمة ٦١، ١٣٦،

(ز)

زبيد ٢٠، ٢٣، ٣٩، ٤٢، ٥٥، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٧٧،

(ص)

الصحراء الشرقية ١٨٥

صعدة ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٣٣، ٤٢، ٥٢، ٥٤،

٥٥، ٥٩، ٦٣، ٦٤، ٦٨، ٧٢، ٧٥، ٧٦، ٩٣،

١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩،

١٣٤، ١٣٩

صنعاء ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣١، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٣٩،

٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥،

٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٧٠، ٧٦، ٨٧،

٩٢، ٩٣، ٩٧، ١٠٣، ١٠٤، ١١٣، ١١٦،

١١٩، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩،

١٣٠، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٣،

١٤٧، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٦

الصين ٩٢، ١٢٨

(ط)

الطائف ١٨

طبرستان ٨٧

(ع)

عثر ٧٤، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٤، ١٧٣،

عدن ٣٦، ٥٠، ٥٣، ٦٢، ٧٦، ٩٢، ٩٣، ١١٠،

١١٢، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٨،

١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٤٢، ١٤٣،

١٤٦، ١٤٨، ١٥٣، ١٦٠، ١٦٣، ١٧٦، ١٩١،

١٩٤

عدن أبين ٣٥، ٣٦

عدن لاعة ٣٥، ٣٦، ٣٧،

العدين ٦١

العراق ١٢، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٥٥، ٦٠، ٦٧، ٨٤،

٩١، ١٦٧، ١٧٢،

عركبة ٤٧، ٧٢

عطنة ١٢٧، ١٣١

عمان ٩٣، ١١٤، ١١٥، ١٣٦، ١٣٧،

عيان ٢٤

(غ)

غلافقة ١٢٨، ١٣٦، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٨، ١٥١،

١٥٢، ١٦٦، ١٧٠

(ف)

فارس ١٢٨

الفازة ١٩٠

الفرات ١٨

(ق)

القاهرة ١٧١

القرن الأفريقي ١٥٣

القسطنطينية ٩٢

قصر الجنبذ ١٥٦

قصر كوكبان ١٦

(ك)

كحلان حضور (كحلان خبان أو كحلان الحداد)

٥٤، ٥٥

الكدراء ٦٨، ٧٢

الكعبة ١٥٦

كلية الآداب (جامعة صنعاء) ١٠٨، ١٣٥،

كلية الآداب (جامعة القاهرة) ٨٣

كران ١٣٤

الكوفة ١٤، ١٥، ١٨، ٢٣، ٢٤، ١٢٣،

كوكبان ٤٧

(ل)

لاعة ٣٥

لحج ٤٦، ٥٣، ٦٠، ٦١

مكتبة الحياة ١٣٨	ليدن ١١٢
المكتبة الغريبة (جامع صنعاء) ١٥٤	(م)
المناطق الوسطى ١٢٦	مأرب ٦٠، ٨٧، ٩٢، ١٠٣، ١٣٤
المنذب ١٣٦، ١٣٧	الخاء ١٢١، ١٣٧
المهجم ٢٩، ١٥٥	مخلاف الجبلان ١١٦، ١٣٦
المهدية بالمغرب ٤٣	مخلاف جعفر ٥٥، ٥٨، ٦٧، ٧٢، ٧٥، ٧٦، ٨٠، ١١٦
مهرة ١٢٠	
الموصل ١٥	مخلاف الركب ١٣٧
(ن)	المخلاف السلياني ١٣٣
نجد الين ١١٦	مخلاف شاحط ٦١
نجران ٢٨، ٣٠، ٤٦، ٥٥، ٥٧، ٦٣، ٦٤، ٩٣	المدينة ١٤، ٢٣، ٢٦، ١٠٤، ١٧٧
النجد الأشرف ٩١	المنذخرة ١٦، ٣١، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٦٠، ٧٠، ٧٢، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٩٣، ١١٧
النيل ١٨٥	مسجد الأشاعر ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤
(هـ)	مسجد الأهواب ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧
هجر ١١٥	المسجد الجامع ١٥٤
الهند ١٢٨، ١٥٧	مسجد السدرة ١٥٥
هولندا ١١٢	مسجد الهند ١٥٥
(و)	المسلب ١٥٣
وادي رمع ١٤١	مسور ٣٧، ٤٢، ٥٣
وادي زبيد ١٤١	المشهد ١٥٦، ١٥٧
وادي السرار ١٠٤	مصر ١٧، ٢١، ٤٠، ٥٥، ٥٧، ٨٤، ١١٨، ١٤٣، ١٤٤، ١٨٥
وادي ظهر ٢٤	المعافر ١٦، ٣٩، ٤٩، ٦٠، ١٣٦
وصاب (وصاب العالي) ١٣٦، ١٤١	المعقر ٦٨، ٧٢
(ي)	المغرب ١٢، ١٧، ٢١، ٣٠، ٤٤، ١١٧، ١١٨
يافع ٣٩	مكة ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٢٨، ٣٩، ٤٩
يام ٤٤، ٤٩، ٦٤	٥٣، ٥٤، ٥٥، ٧٣، ٧٤، ٩٢، ٩٣، ١٠٤، ١١٣
يريم ٥٤	١١٩، ١٢٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٢، ١٥٣، ١٥٥
الجامعة ٩٣، ١١٣	١٥٨، ١٧٥، ١٩١، ١٩٤، ١٩٥

فهرس الموضوعات

٥	☆ مقدمة
١١	☆ الوضع السياسي في اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين :
١٣	أولاً - الاتجاه العباسي :
٢٢	ثانياً - الاتجاه الشيعي :
٢٣	١ - التيار الزيدي
٣١	- عوامل انحسار دولة الهادي
٣٣	٢ - الاتجاه الشيعي الإمامي - الإسماعيلي
٤٤	ثالثاً - الاتجاه القبلي :
٤٦	١ - صنعاء
٥٧	٢ - غربي صنعاء
٥٧	٣ - جنوبي صنعاء :
٥٨	- المناخيون
٦٠	- آل الكرندي
٦١	- الوائليون
٦٢	- الأنبوع
٦٢	- الخثانيون
٦٢	- بنو الهيثمي
٦٢	٤ - شرقي صنعاء
٦٣	٥ - شمالي صنعاء
٦٦	☆ نشأة الدولة الزيادية بين الحقيقة والخيال
٨٣	☆ المادة التاريخية للين عند الرحالة والجغرافيين حتى نهاية القرن الرابع الهجري

١٠٨	☆ الين في عيون الرحالة المسلمين في القرن الرابع الهجري :
١١٢	- المشاهدات الإدارية والسياسية
١١٩	- المشاهدات الاجتماعية
١٢٢	- المشاهدات العمرانية
١٢٤	- المشاهدات العلمية
١٣٧	- المشاهدات الاقتصادية
١٣٥	☆ زبيد بأقلام الرحالة حتى منتصف القرن الثامن الهجري :
١٣٦	- وجود المدينة وموقعها
١٤٠	- لقطات عن الدور السياسي للمدينة
١٤٧	- المظاهر العمرانية
١٥٨	- لقطات من الوضع الاقتصادي
١٨٠	- جوانب من الحياة الاجتماعية
١٩٧	☆ قائمة المراجع
٢١١	☆ الفهارس :
٢١٣	- الآيات القرآنية
٢١٣	- الأحاديث النبوية
٢١٤	- الأعلام
٢٢١	- الكتب والبحوث
٢٢٦	- المصطلحات والمسميات
٢٣٠	- الفرق والمذاهب والجماعات والقبائل
٢٣٤	- البلدان والأماكن
٢٣٨	- الموضوعات

المؤلف :

- الدكتور / عبد الرحمن عبد الواحد محمد يحيى الشجاع
- ينتسب إلى أسرة الشجاع القاطنة جبل صبر المطل على مدينة تعز
- تلقى أغلب تعليمه منذ المراحل الأولى في الأزهر الشريف ونال من جامعتة

العريقة :

- الليسانس في التاريخ والحضارة عام ١٩٧٣ م
- الماجستير عام ١٩٨٣ م
- الدكتوراه (العالمية) عام ١٩٨٦ م
- تخصصه الدقيق : تاريخ اليمن الإسلامي
- حصل على درجة أستاذ مساعد عام ١٩٩٠ م
- يتولى حالياً رئاسة قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة صنعاء
- شارك في أكثر من ندوة علمية
- له بحوث وكتب منشورة منها :
- اليمن في صدر الإسلام
- النظم الإسلامية في اليمن

اليَمَن في عُيُونِ الرِّجَالِ

أدب الرحلات مورد هام من موارد التاريخ على مختلف مشاربها .
فالرحالة يلحظ بعينه ويسمع بأذنيه ويلس بيديه ويتذوق
ويتفاعل بكلياته ويحاول نقل ذلك كله إلى القارئ .. قد يوفق بنقل
الصورة المطلوبة كاملة وقد تشبه عقبات عن ذلك .

وهذا الكتاب يستخدم أدب الرحلات بوصفها مادة علمية يسد بها
بعض الفجوات التاريخية التي لا تتحدث عنها كتب التاريخ المتخصصة
حتى القرن السابع الهجري .

وليس معنى هذا عدم الاستعانة بالمصادر التاريخية وإنما كانت كتب
الرحلات قطباً ومحوراً في معظم بحوث هذا الكتاب أو أنها حلت بعض
الإشكالات التي حيرت المؤرخين أو ألجأتهم إلى تناقضات في كتاباتهم .

فيحاول تتبع الرحالة واحداً واحداً ويستخرج مناهجهم في الكتابة
ومصادر معلوماتهم ومدى استفادة تاريخ اليمن منها .